الجمهوريـــة الجزائريـــة الديمقراطيـــة الشعبيـــة

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة منتوري - قسنطينة - قسم اللغة العربية وآدابها

كليـــــة الآداب واللغات الرقم :

رقم التسجيل :

مفهوم الخطاب الإصلاحي عند الشيخ مبارك الميلي

رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير

(شعبة اللغويات)

إعداد الباحث : إشراف الأستاذ الدكتور :

سليـــم مزهود **عبد الله حمـــادي**

أعضاء لجنة المناقشة

1- الدكتور :	جامعة :	رئيسا
2- الأستاذ الدكتور : عبد الله حمادي	جامعة : منتوري (قسنطينة)	مشرفا ومقررا
3- الدكتور :	جامعة :	عضوا مناقشا
4- الدكتور :	جامعة :	عضوا ناقشا

السنة الجامعية : 2005 / 2006

المقـــــــــــدمة

المـــقـــدمـــة

التعريف بالموضوع وأهميته :

واجهت أمتنا الجزائرية المسلمة تحديات جمة وخطيرة استهدفت هويتها وعقيدتها وتراثها وحضارتها وثرواتها وعزتها وكرامتها وحريتها ، فكان **الخطاب الإصلاحي** من أهم أنـــواع الخطـــاب في حيـــاة الجزائريين المسلمين أثناء فترة الاحتلال الفرنسي للجزائر خاصة بعد مرور مائة عام على الاحـــتلال ، وحلول الأزمات الاقتصادية الطاحنة ، منها أزمة الفقر التي عاشتها الجزائر في بداية الثلاثينيـــات مـــن القرن العشرين ، وانتشار البدع الدينية المبتعدة عن ينابيع العقيدة الإسلامية ، ومن ثم فإن السبيل الأمثل للقضاء على تلك البدع هو **الإصلاح الديني** الذي يعد القاعدة الرئيسة التي ترتكز عليهـــا الهويـــة ، وتستقيم بها حياة الفرد المسلم ، ومن ثمّ تستقيم حياة المجتمع المسلم .

لقد سجل لنا التاريخ العربي والإسلامي العديد من الخطابات التي جاء بها المفكـــرون والعلمـــاء المسلمون بهدف الإصلاح والتغيير والتجديد ، وكان لها آثار إيجابية متفاوتة ، لعل أبرزها وأهمها هـــو إبقاء روح العقيدة حيّة في نفوس المسلمين ، ليبقى الأمل الكبير أن تستعيد الأمة العربيـــة والإســـلامية موقعها الحضاري الرائد ، إلاّ أن ما حدث على يد جمعية العلماء المسلمين الجزائريين يبقى نقطة تحول مهمة في تاريخ الجزائر الحديثة .

ومن ثم فإن **دراسة الخطاب الإصلاحي** لواحد من أعضاء تلك الجمعية- **الشيخ مبارك الميلـــي-** المتضمن قضايا الدين والحياة والاجتماع الإنساني تعد أمراً ضرورياً وملحاً ، يكتسب ضرورته من أهمية التعرف إلى الفكر الإصلاحي الجزائري الذي استطاع إحداث تحولات فكريـــة واجتماعيـــة أدت إلى تغييرات سياسية في مسار الحياة العامة للمسلمين الجزائريين في داخل الجزائر وخارجها ، وترجع تلك الأهمية أيضاً إلى أن الفكر الإصلاحي الذي تضمنه خطاب الشيخ مبارك الميلي ، يهدف إلى نفخ روح العقيدة الإسلامية وبعث الحركة الإصلاحية في المجتمع الجزائري ، والعمل على تطبيقها وتحريك عقول الناس وقلوبهم إلى منابعها الصحيحة والأصيلة ، مع ما يستلزم من توسيع المسافة بين الدين والطريـــق الصوفي المنحرف .

إن الإطلالة على هذه الشخصية تصبح ذات أهمية كبيرة ، إذ إن لها تأثيرا جيدا علـــى الســـاحة العربية الإسلامية ، وخاصة في الجزائر .

إننا من خلال هذه الدراسة نحاول الكشف عن **مفهوم الخطاب الإصـــلاحي** وســـر نجاحـــه في استنهاض صف الأمة الجزائرية المسلمة والحفاظ على عقيدتها من الزيف والبدع والخرافات التي حلت بها .

ومما لا شك فيه أن الخطاب الإصلاحي للشيخ مبارك الميلي منذ انطلاقته ، كان يحمل مشـــروع نهضة الأمة الجزائرية ، الذي يحمل في طياته رغبة ملحة في إحداث تغيير في البنى والأسس النظرية الـــتي تستند إليها الطرق الصوفية والجماعات الدينية المنحرفة ، وإحداث تغيير في الواقع الاجتماعي الـــذي ابتعد عن جادة الصواب ، من أجل بناء المجتمع الجزائري المسلم وتحقيق إنسانيته ، وتصحيح عقيدته ، في وقت بلغت فيه الشعوذات والخرافات أوجها ، وانحرفت الطرق الصوفية ، بتشجيع من الاحـــتلال الفرنسي الغاشم ، ومن ثم فإن النهوض بالأمة تطلّب من الخطاب الإصلاحي أن يأخذ بعين الاعتبـــار الكثير من عناصر الواقع الاجتماعي الذي يشكو من خلل في عقيدته التي يدين بها ، ونقصد العقيـــدةَ الإسلامية ، وإن هذا الخلل يحتاج إلى إعادة تقويم وتصحيح المفاهيم من أجل نهضة الأمة .

إن معالجة الخطاب الإصلاحي للعلامة الشيخ مبارك الميلي ، اقتضى منا التعرف على الفكر الســـلفي الذي عرف به الشيخ مبارك ، وهو الفكر الإسلامي الداعي إلى توحيد الله تعـــالى ، رافضـــا الشـــرك ومظاهره .

واحتاج التعرف على فكر الشيخ مبارك الميلي إلى أن بذلنا جهودا كـــبيرة للإطـــلاع - قـــدر مـــا استطعنا- على مقالات الشيخ مبارك الميلي وخطاباته .

وفيما عدا كتاب الشرك ومظاهره وكتاب تاريخ الجزائر المؤلف من جزأين ، نجـــد أن مقـــالات الشيخ وخطاباته قد نشرت في صحف جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ، وبعضها قد جمعت لتشـــكل موضوعات الكتابين السابقين .

أسباب اختيار بالموضوع وإشكالية البحث :

وقد وقع اختيار البحث على مفهوم الخطاب الإصلاحي عند الشيخ مبارك الميلي ، لأسباب عديدة ، أهمها أن الخطاب الإصلاحي هو الذي أصلح حال المجتمع الجزائري ، وزرع فيه حب العلـــم والـــدين والتمسك بالوطن ، لينتج فردا صالحا ، يستطيع حمل مقوماته الدينية والوطنية ، فيسهم في تحرير بـــلاده

من قيود الذل والهوان ، ومن أجل تحقيق هذا الهدف عمل الخطاب الإصلاحي على إبطال مـــزاعم الصوفية المنحرفة ، كما عمل على إحياء اللغة العربية والتراث الديني للأمة ، وطهّر الإسلام من الشوائب التي علقت به خلال العقود الأخيرة من الزمن ، واستطاع أن يجعل المجتمع الجزائـــري يتوحّـــد دينيـــا ووطنيا ، وكوّن الإطارات الإصلاحية المخلصة التي رفعت من شأن هذا الوطن ، واستردت له حقوقـــه المسلوبة .

ومما دفعني إلى كتابة هذا البحث أيضا هو أن الخطاب الإصلاحي قد جاء بالخير والنفع الكثير علـــى بلدتي ميلة وضواحيها ، إذ منذ طفولتي وأنا أسمع بالأثر العظيم الذي أحدثه الشيخ مبارك الميلي في ميلة ، وبمواقف رائعة حركت فؤادي ، ومن بينها أن الشيخ مبارك الميلي ركب ذات مرة حافلة "حامّة" مثـــل بقية الناس ، وإذا برجل بسيط يصعد إلى الحافلة ، ويجلس في مكان وجده فارغا ، فنهره السائق وقال : إن هذا المكان محجوز لزوجة الدركي الفرنسي ، فنزل الشيخ مبارك من الحافلة تعبيرا عن رفضه لهـــذا التمييز الذي قام به السائق بين الرجل الجزائري البسيط والمرأة الفرنسية الغنية في بلاد هي من حق ذلك الرجل البسيط ، وإذ بركاب الحافلة ينزلون جميعا ، فلم يبق في الحافلة سوى السائق ، كما لفتت انتباهي تلك النشاطات الإصلاحية التي أحيت بلدة ميلة ، منها إسهامه في بناء المسجد الجامع ســـنة 1935م ، وتأسيس مدرسة حياة الشباب سنة 1936م .

ولما بلغتُ المرحلة الجامعية من تعلمي ، بدأت تظهر رغبتي الشديدة في معرفة حقيقة الخطاب ، لكن وجدت نفسي تائها في هذا الموضوع ، إذ لم أقم بتحدد الخطاب الذي أسعى إلى البحث فيه ، حتى أنار الله لي الطريق ، واستمعتُ إلى ما وجهني إليه الأستاذ المشرف على هذا البحث الأستاذ عبد الله حمادي ، بأن أبحث في مفهوم الخطاب الإصلاحي عند الشيخ مبارك الميلي ، لاسيما وأنا متعلق يه إلى حد كبير ، وبدأت أبحث في سر إسهام الشيخ مبارك بخطابه الإصلاحي في نهضة الأمة الجزائرية ، فوجدت نفســـي بعد القراءة الأولية لخطابات الشيخ مبارك أمام محاور رئيسة لمعالجة مفهوم الخطاب الإصـــلاحي ، إذ إن نقطة البحث الأساسية في هذا البحث هي محاولة ضبط مفهوم الخطاب الإصلاحي ، وتحديـــد أهدافـــه ومنهجه ، وأهم تلك المحاور هي :

- هل دراسة حياة الشيخ مبارك الميلي وأهم أعماله تكشف لنا عن مفهوم الخطاب الإصلاحي ومسيرته ؟ وتكشف عن مكانته بين العلماء ، وسر تلقيبه بالعلامة وفيلسوف جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ؟
- ما مفهوم الخطاب الإصلاحي عند الشيخ مبارك الميلي ؟
- ما هو المنهج الذي اتبعه الشيخ مبارك الميلي في خطابه الإصلاحي من أجل النهوض بالمجتمع ؟
- هل كان خطاب الشيخ مبارك الميلي متماشيا مع الواقع الجزائري ؟ أم كان تقليدا حرفيا لمنهج الحركة الإصلاحية في العالم العربي والإسلامي ؟

منهج البحث :

إن طبيعة المضامين المتنوعة لهذا البحث ، جعلتني أحاول استعمال منهج تكاملي من أجل فهم خطاب الشيخ مبارك الميلي من خلال أعماله ، وأهم المناهج التي اتبعتها في هذا البحث هي :

1- **المنهج التاريخي الوصفي الكرونولوجي** : الذي استعملته في تتبع حياة الشيخ مبارك الميلي حتى النهاية ، ومعرفة مدى تأثره بمن سبقوه ومدى تأثيره في الذين جاءوا بعده ، واستعملته أيضا في تتبع مسيرة الخطاب الإصلاحي ، والحديث عن أبرز حملة الخطاب الإصلاحي .

2- **المنهج التحليلي** : الذي استعمله في دراسة وتحليل مختلف القضايا الفكرية والدينية والتربوية انطلاقا من مفهوم الشيخ مبارك الميلي للإصلاح .

3- **المنهج المقارن** : الذي وظفته كلما دعت الضرورة من أجل المقارنة بين جهود الشيخ مبارك الميلي ومفهومه للإصلاح ، وبين جهود مصلحين آخرين ومفاهيمهم للإصلاح .

4- **المنهج الفني اللغوي** : الذي استعملته عند تحليل الخطاب الإصلاحي وتحديد المعاني التي يتضمنها هذا الخطاب ودراسة لغته .

صعوبات البحث :

واجهتني أثناء إنجازي لهذا البحث صعوبات عديدة ، أهمها جمع المصادر والمراجع ، واستنباط المادة العلمية وتفصيلها وفق خطة الرسالة ، لاسيما وأن معظم مقالات الشيخ مبارك الميلي وخطاباته توجد في ثنايا الدوريات وصحف الجمعية التي ينشر فيها آراءه ، وأن بعض تلك المقالات لم استطع الحصول عليها ، ناهيك عن صعوبات جمع الشهادات الشفوية حيث نجد تناقضا بين بعض الشهادات لاسيما تلك المتعلقة بحياة الشيخ مبارك الميلي ، إضافة إلى التحاق أهم من عاصروه بالرفيق الأعلى ، خاصة معلمه الشيخ **مزهود** الذي خبر تلميذه مبارك ، ولو كان حيا لحد الآن ربما أفاد بحثنا هذا إفادة جمة .

كما أني قد واجهت في جمع مادة الموضوع وفي انتقاء ما يناسب البحث ويخدم الهدف صعوبات جمة ، منها عدم توفر كتاب يفرد الخطاب الإصلاحي عند الشيخ مبارك الميلي ، فمعظم الكتب والدراسات قد تناولت بالتفصيل موضوع الخطاب الإصلاحي عن الشيخ **عبد الحميد بن باديس** والشيخ **البشير الإبراهيمي** ، إذا استثنينا رسالة الماجستير لعلي بن الطاهر التي أفردها لدراسة جهود الشيخ مبارك الميلي الإصلاحية .

ثم إني وجدت نفسي واقعا بين أحد أمرين ؛ إما أن تخضع نفسي إلى العاطفة في إصدار الأحكام لاسيما تلك التي تتعلق برجل الإصلاح الشيخ مبارك الميلي ، فأظهر تأثري الكبير به ، إذ إنه قدم الكثير إلى الجزائر من خلال نشاطاته الإصلاحية ، كرجل دافع عن أصالة الجزائر وتراثها الديني ، وعمل على الحفاظ على عقيدتها الإسلامية الصحيحة ، حتى لا ينحرف بها أي كان إلى البدعة والضلال ، وأن أبدي حقدي على المستعمر بسبب احتلاله وطني الغالي الجزائر ، ومحاولته طمس الشخصية الجزائرية إذ حارب دينها ولغتها ، وعمل على إسكات قول الحق فيها ، وقام بخنق الحرية الفكرية والدينية ، بالرغم من أنه يرفع شعار البلد الحر ويساند حرية التعبير ، لكن عاطفتي هذه قد تقضي على الموضوعية ، وأنا أعلم أن البحث ينبغي أن يلتزم الموضوعية ويتجرد من العاطفة .

والتزام الموضوعية هو الأمر الذي يغالب العاطفة في نفسي ، إذ لزم الوقوف موقف الحياد في تقديم رجال الإصلاح الجزائريين وتبيان دورهم الرائد في خدمة الوطن والمجتمع الجزائري ، لكن كيف أستطيع أن أقف موقف الحياد من الاحتلال وكل ما يمكن أن يسيء إلى وطني الجزائر ؟؟ خاصة وأنا أشعر بالمسؤولية الوطنية تجاه بلدي ككل باحث جزائري ، لاسيما في هذه المرحلة التاريخية الحاسمة التي تحاول الجزائر فيها جاهدة أن تزرع الروح الوطنية في كل فرد من أفراد مجتمعها .

وبذلت ما في وسعي من جهد لأجمع مادة البحث من المكتبات ، ثم بدأت في كتابة الموضوع وفق خطة البحث محاولا التجرد بقدر الإمكان من العاطفة ، وعانيت في هذا التجرد معاناة لا يدركها إلا من بحث في قضايا الأمة لاسيما تلك التي تلمس ناحية الوطن ، علما أن أستاذي المشرف الأستاذ عبد الله حمادي كان أول من أشار لي بضرورة الابتعاد عن العاطفة قدر الإمكان ، وتوثيق كل حكم صادر على شخصية الشيخ مبارك الميلي حتى يدرك القارئ أن وزن الشيخ مبارك هو حقيقة تاريخية وليس من نسج عاطفتنا .

وحسبي من هذا البحث إن أخطأت أني كنت مخلصا له ، دائم الوفاء ، وأن التعب قد نال مني وكاد يغلبني في مرات عديدة لولا إرادتي الكبيرة في إنجاز هذا البحث .

ولا يفوتني أن أقدم جزيل شكري إلى أستاذي عبد الله حمادي الذي شرّفني بالإشراف على هذه الرسالة ، وأعارني بعض المراجع و لم يبخل علي بالتوجيه في كل مسألة من مسائل البحث رآني أزيغ فيها عن منهج البحث ، كما أعترف أن هذا البحث يدين بشكل خاص إلى أبي عبد الحميد وأختي نجاة اللذين لازماني طيلة فترة إنجاز البحث بالمساعدة ، وكذلك أختي المكتبية وهيبة ، وأشكر أمي الكريمة فاطمة التي كانت تتكرم علي أثناء إنجاز البحث ، وتطلب مني أن أتمهّل في الإنجاز حتى أتقنه أو أقترب من درجة الإتقان ، فكانت تسهر على راحتي ، كما أشكر كل من أسهم في دعم هذا البحث من قريب أو بعيد .

مصادر البحث ومراجعه :

أما بخصوص مصادر البحث ومراجعه المعتمدة في هذه الدراسة فيمكن تصنيفها حسب الأهمية كما يأتي :

أولا : كتاب الشيخ مبارك الميلي الموسوم "الشرك ومظاهره" ، لأن هذا الكتاب كان عصارة خطابات الشيخ مبارك الميلي في الإصلاح الديني .

ثانيا : الجرائد التي كانت تصدر خلال مرحلة الخطاب الإصلاحي ويكتب فيها الشيخ مبارك الميلي ، وخاصة جريدة البصائر لسان الحال الناطق لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين ، والتي جمعت في كتاب "مجموعة جريدة البصائر" ، وطبع بدار البعث - قسنطينة - ، وكذلك آثاره المنشورة في الصحف الأخرى ، منها جريدة المنتقد ، جريدة الشهاب ، البرق ، الإصلاح"سلسلة1" ، صحيفة وادي ميزاب .

ثالثا : الرواية الشفوية عن الأشخاص الذين عايشوا الشيخ مبارك الميلي أو كانوا من تلامذته ، إذ تحدثت إلى بعضهم حول حياة الشيخ مبارك وأعماله ، لأنهم يعرفون عنه ما لم تدونه الصحف والكتب .

رابعا : الكتب التي تناولت تاريخ الحركة الإصلاحية في الجزائر خلال فترة الشيخ مبارك الميلي ، والكتب التي تناولت مفاهيم الخطاب .

خامسا : المجلات المختلفة الصادرة في الجزائر المستقلة والتي تحكي عن الشيخ مبارك الميلي وخطاباته ، خاصة مجلة الثقافة الصادرة عن وزارة الثقافة والسياحة .

الدراسات السابقة عن الشيخ مبارك الميلي :

من عاصروه :

- ظهرت في أربعينية الشيخ مبارك الميلي ، أول الأعمال التي تحكي عنه منـــها (دراسة عن مبارك الميلي المؤرخ المصلح والصحافي الكبير ، للطالب عبد الحميـــد رزوق الجزائري ، وقصيدتين لطالبين من طلبة الزيتونة هما : الأزهر بـــن بلقاســـم الجزائري ، وحسين المهدي الجزائري ؛ وقد تميزت دراسة زروق بتحليـــل نفســـية الشيخ مبارك الميلي ومزاياه ، واهتمت بإبراز خصائص كتاباته ، وتوافق سلوكه مع أعماله وتطابق سيرته مع جهاده ونضاله)[1]

- شهادات حول الشيخ مبارك الميلي بعد وفاته ، يدلي بها بعض زملائه من أمثال الشيخ الإبراهيمي .

- أما عن الكتابات المعاصرة للشيخ مبارك الميلي بالفرنسية ، فقد أورد الباحث علي بن الطاهر في رسالة ماجستير حول أعمال الشيخ مبارك الميلي الإصلاحية ، أن : J.Desparmet كتب بمجلـــة "إفريقيـــا الفرنســـية" L'Afrique Française دراستين بعنوان :

– Naissance d'une histoire nationale d'Algérie . (كتبها سنة : 1933م)

– Histoire des arabes et les oulama d'Algérie . (كتبها سنة : 1934م)

وذكر ابن الطاهر ما كتبه جان نوال سنة 1938م ، في مجلة "إفريقيا الفرنسية" بعنوان : "التطور الديني في ميلة" .

---

[1] - **محمد الصالح الجابري** : المؤرخ الجزائري مبارك الميلي في الصحافة التونسية . الثقافة ، مجلة تصدرها وزارة الإعلام والثقافة بالجزائر ، سنة 1989، عدد 102 ، ص 28 و 32

الكتب الحديثة :

- **محمد حداد** : "حفريات تأويلية في الخطاب الإصلاحي العربي"، دار الطليعة ، بيروت ، الطبعة الأولى ، سنة 2002 م ، ويبدو الكاتب محمد حداد متأثرا بالفيلسوف فوكو ، حيث يهتم في مؤلفه بالخطاب الإصلاحي ومحاولة نقد المعرفة المباشرة واستكشاف الاستراتيجيات التواصلية والخطابية التي يستعملها الفواعل الاجتماعيون في حلّ القضايا الثقافية للمجموعة حسب توجّهاتهم وتنافسهم على الإدارة الرمزية للمجتمع ، وقد بيّن الباحث منطلقاته اللسانية في تفكيك الخطاب ، مقترحا منهجا سمّاه "بلاغة الخطاب الإقناعي" ، وهي تكملة لبلاغة الخطاب الجمالي ... لا تدرس الاستعارة والكناية والمجاز المرسل والجناس والطباق ، بل تدرس الاختلاق والتهذيب والتضمين والتضخيم والتلطيف [2]

- **علي مراد:**

"Le réformisme musulman en Algérie de 1925-1940" ؛ أول الدراسات بعد الاستقلال في إبراز مسيرة رجال الإصلاح ؛ ومنهم الشيخ مبارك الميلي ، وقد جعل مدينة الأغواط نموذجا لبعض المراكز الإصلاحية .

- **محمد علي دبوز** : " أعلام الإصلاح في الجزائر1921-1975م"، الجزء الثالث ، ط1، سنة 1978م ؛ وفيها يسرد حياة الشيخ مبارك الميلي ونشأته ، بعدما سافر إلى مسقط رأس الشيخ مبارك ، بقرية أرمامن دوار أولاد مبارك ، وحاول من هناك معرفة كل شيء عن حياة الشيخ مبارك .

[2] - **محمد الحداد** : حفريات تأويلية في الخطاب الإصلاحي العربي ، بيروت ، دار الطليعة ، 2002م ، ط1 ، ص13 و 23

- **أحمد حماني :** "صراع بين السنة والبدعة" ، حيث يورد خصـــومات الشـــيخ مبارك ضد شيوخ الطريقة العلوية ، وقد أورد مقالات أصلية للشيخ مبارك الميلـــي نشرتها الشهاب .

- **الشيخ خير الدين :** "مذكرات الشيخ خير الدين" ج1 ، وهو معاصر الشيخ مبارك في الدراسة والنشاط الإصلاحي .

- **الشيخ محمد الصالح بن عتيق :** مواقف في الدعوة والإصلاح ، دار البعث ، وهو من تلاميذ الشيخ مبارك ، تحدث عن جهوده الدعوية فيما يتعلق بنشـــاطاته في مدينة ميلة وذكر تأثره به .

- **أحمد توفيق المدني :** "حياة كفاح" جزء 2 ، "1925-1945م"، وهو معاصر للشيخ مبارك الميلي .

- **عبد المالك مرتاض :** "نهضة الأدب العـــربي المعاصـــر في الجزائـــر"1925-1954م "، نشر عام 1983م ، وقد خص الشيخ مبارك الميلي بدراسة نقدية لكتاب الشيخ الموسوم : "تاريخ الجزائر" ، وذلك في نحو 25 صفحة.

- **محمد ناصر :** "المقالة الصحفية الجزائريـــة ، نشـــأتها وتطورهـــا وأعلامهـــا من1930 إلى 1931م" ، طبع سنة 1978م ؛ وهو دليل هام لتتبع مقالات الشـــيخ مبارك في مختلف الصحف الإصلاحية وتحديد خصائص الأسلوب الصـــحفي عنـــد الميلي .

- **أبو القاسم سعد الله :** الحركة الوطنية الجزائرية "1900- 1930"، حيـــث ذكر أن الميلي يعد أول مؤرخ جزائري حديث ، حاول إعادة كتابة تاريخ الجزائـــر على أساس وطني .

الوثائق :

- **سجل مؤتمر جمعية العلماء** ، وهو تقرير عن المؤتمر السنوي الرابع لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين صدر عن دار الكتب الجزائر سنة 1982م ، بقلم الشيخ البشير الإبراهيمي ، تضمن محاضرة عن السرف المالي في حوالي 40 صفحة ، ألقاها مبارك الميلي على المشاركين في المؤتمر بتكليف من الجمعية .

الأبحاث والدوريات :

- **عبد اللطيف عبادة** : أهم من كتب في الفكر والفلسفة العقدية للشيخ مبارك خاصة في دراسة كتاب "الشرك ومظاهره بين الشيخ مبارك الميلي وشيخ الإسلام ابن تيمية" ، وكتب في مجلة الثقافة بحثا بعنوان" الفكر السياسي عند مبارك الميلي" ، في مجلة الثقافة التي تصدرها وزارة الثقافة بالجزائر ، عدد 85 .

- **أحمد صاري** : "مبارك الميلي ودوره في الحركة الإصلاحية" ، ترجم للشيخ بدقة حيث أبرز محطات في حياة الشيخ الميلي ، نشر في مجلة جامعة الأمير عبد القادر في عددها السابع "مارس 2001" .

- **أحمد بن دياب** : كتب عن مبارك الميلي في ذكراه الثانية والثلاثين في مجلة الثقافة عدد مارس 1977م ؛ هو عبارة عن ترجمة للشيخ مبارك الميلي ، كما كتب دراسة عن جهود الشيخ مبارك الميلي في الصحافة ، بعنوان : "الأستاذ مبارك الميلي والصحافة" ، في مجلة الثقافة في عددها 68 ، سنة 1979م ، وهي دراسة عن جهود الشيخ في الصحافة .

- وكتب **عبد الرحمن الجيلالي** في العدد 80 عام 1984م : "من وحي ذكرى مرور أربعة عقود على وفاة الشيخ مبارك الميلي" .

- وكتب **عبد اللطيف عبادة** في العدد 85 من مجلة الثقافة ، عـــام 1985م : "الشرك ومظاهره عند الشيخ مبارك الميلي وشيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن تيمية".

- وكتب **حمزة بوكوشة** في العدد 88 من مجلة الثقافة ، عام 1985م "مبـــارك الميلي عالم حجة نظار" .

- **محمد الصالح الجابري** : " المؤرخ الجزائـــري مبـــارك الميلـــي في الصـــحافة التونسية " ؛ الدراسة الواردة في مجلة الثقافة العدد 102 ، عـــام 1889م ، وهـــي دراسة تميزت بالتركيز على فترة التحصيل العلمي للشيخ مبـــارك الميلـــي بتـــونس ومكانته الخاصة في الوسط العلمي الزيتوني والتي امتدت مدة طويلة .

- **لمنور مروش** : الجديد والقديم في كتاب "تاريخ الجزائر في القديم والحديث" ، في مجلة "نقد" عدد 11 سنة 1998 م ، وهو كتاب نقدي .

الرسائل الجامعية :

- **عبد الكريم بوالصفصاف** : في رسالته العلمية : جمعية العلمـــاء المســـلمين الجزائريين وعلاقتها بالحركات الجزائرية الأخرى دراسة تاريخية وإيديولوجية مقارنة ، حيث خص الباحث الشيخ مبارك الميلي بترجمة وافية في مختلف مراحل حياته وتعلمه ثم تعليمه وعمله الإصلاحي ، وأبرز مكانته بين صفوف العلماء والمصلحين ، وذكر بأهمية مؤلفاته في النهضة الإسلامية الإصلاحية .

- بحث قام به **مجموعة من الأساتذة** من جامعة الأمير عبد القادر الإســـلامية ، بقسنطينة ، بعنوان : "التجديد في الفكر العقدي الإسلامي منـــهجا وموضـــوعا" ، وأشرف على البحث مولود سعادة ، وقد عرض في هذا البحث للتجديد العقدي من خلال الشيخ عبد الحميد بن باديس والشيخ مبارك الميلي .

- رسالة لنيل شهادة الماجستير للباحث **علي بن الطاهر** ، بعنوان : " مبارك الميلي وأعماله الإصلاحية "، المسجلة في قسم التاريخ بجامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية ، قسنطينة 2001 م .

- رسالة لنيل شهادة الماجستير للباحثة **فوزية لوصيف** ، بعنوان : "التجديد في الفكر العقدي عند الشيخ مبارك الميلي ، دراسة في رسالة الشرك ومظاهره". جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية ، نوقشت في 2004 م .

- أما الذين كتبوا في الحركة الإصلاحية في الجزائر وأفردوها بالدراسة فمنهم الدكتور **بوصفصاف عبد الكريم** في الرسالة التي تقدم بها لنيل دبلوم الدراسات المعمقة سنة 1978م ، بعنوان "جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في الحركة الوطنية الجزائرية 1931-1945م"، ط1 ، دار البعث قسنطينة ، سنة1981م .

وقال الدكتور بوصفصاف إن أول وأهم من كتب باللغة الفرنسية من الجزائريين في الحركة الإصلاحية في الجزائر، هو الدكتور **علي مراد:** " الإصلاح الإسلامي في الجزائر من1925م حتى 1940م"، وقد درس العلماء من الوجهة الإصلاحية في إطار المنظمات والحركات الإصلاحية الأخرى .

خطة البحث :

يتكون البحث من مقدمة ومدخل ثم ثلاثة فصول ، أما المقدمة فتتناول أهمية البحث في موضوع الخطاب الإصلاحي ، والصعوبات التي واجهتني أثناء إنجازه ، والمنهج المختار ، وذكر أهم البحوث والدراسات التي سبقت هذا البحث في تناول موضوع الخطاب الإصلاحي .

أما المدخل فيتناول مفهوم الخطاب بدءا بتحديد معنى الخطاب لغة ثم اصطلاحا ، ثم مفهوم الخطاب عند القدامى من الغرب ثم المحدثين منهم ، ثم مفهومه عند العرب قديما وحديثا ، ثم مفهوم الخطاب الإصلاحي ورواده في العالم العربي والإسلامي .

وأما الفصل الأول فيتحدث عن التجربة الإصلاحية في الجزائر ، بدءا من نشوء الخطاب الإصلاحي في ظل واقع الاحتلال الفرنسي للجزائر، لنصل إلى الحديث عن رواد الخطاب الإصلاحي في الجزائر ، ثم نخصص بالذكر جمعية العلماء المسلمين ، وكيف فهمت الخطاب الإصلاحي .

أما الفصل الثاني ففيه الحديث عن الخطاب الإصلاحي عند الشيخ مبارك الميلي ؛ ولأن التعــرف إلى شخصية الشيخ مبارك الميلي والظروف التي أحاطت بشخصه ، وما تراكم من عوامل ذاتيــة وفكريــة اجتماعية ، هو التمهيد الطبيعي لفهم الخطاب الإصلاحي للشيخ مبارك الميلي ، فإن هذا الفصل يبــدأ بتعريف الشيخ مبارك ، بدءا من ولادته ونشأته ، إلى أن وافته المنية ، ثم يبين دور الشيخ مبارك الميلــي الإصلاحي في جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ، ويبرز أهم مؤلفات الشيخ مبارك وقيمتــها الجليلــة حسب ما يقره أهل الاختصاص ، ويقدم شهادات العلماء المعاصرين للشيخ مبارك الميلي وثناءهم عليه ، ثم يقدم مفهوم الخطاب الإصلاحي عند الشيخ مبارك ، وكيف عمل من خلال هذا المفهوم على إعادة إحياء السنة وتصحيح العقيدة الإسلامية في ذهن المجتمع الجزائري ، ثم يبرز الفصل مظــاهر الخطــاب الإصلاحي مبينا موقف الخطاب الإصلاحي من العقيدة والتراث ، ومحاربته للطرق الصوفية ، ويطــرح إشكالية تهربه من معالجة القضايا السياسية ، وأسباب ذلك ، وما الطريقة الــتي اســتطاع الخطــاب الإصلاحي عبرها أن يبرز وطنيته ، ثم يتحدث عن قضية التعليم حيث يبرز تشجيع الخطاب الإصلاحي للتعليم واهتمامه البالغ بضرورة تعليم المرأة ، ثم الحديث عن الصحافة التي غــدت وســيلة الخطــاب الإصلاحي في دعوته الإصلاحية ، مبرزا دور الصحافة والصعوبات التي واجهتــها في ســبيل الــدعوة الإصلاحية .

وأما الفصل الثالث ، فيعالج لغة الخطاب الإصلاحي ، ضمن دراسة فنية للخطاب الإصلاحي عنــد الشيخ مبارك الميلي في كتابه الموسوم برسالة الشرك ومظاهره ، حيث يدرس البحثُ بعــض ألفاظــه وأساليبه دراسة لغوية ، ويركز الفصل على دلالة استخدام الألفاظ ، والضمائر ، وإبراز أهــم سمــات الخطاب الإصلاحي وخصائصه اللغوية ، ثم تبيان منهج الخطاب الإصلاحي في تأليف رسالة الشــرك ومظاهره ، وقسّم إلى ثلاثة مناهج : أولها المنهج الفني ثم المنهج السلفي وأخيرا المنهج التــاريخي ، أمــا المنهج الفني فكان فيه الحديث عن المصادر والمراجع اللغوية التي استعملها الخطاب الإصلاحي ، وطريقة

الانتقال من موضوع إلى آخر وتتبع المعاني ، وإصدار الأحكام والترجيح ، وأما المنهج السلفي ففيه كيفية تعامل الخطاب الإصلاحي مع القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة وتراث السلف الصالح ، وأما المنهج التاريخي فتمثل في نقل الأحداث وسرد الحكايات وفيه استناد النقل إلى القرآن والتفاسير المشهورة ، والأخبار المروية عن المسلمين الأوائل ، وكتب التاريخ والسيرة .

وختمت البحث بخلاصة نتائج الخطاب الإصلاحي والآثار الفكرية التي تركها على الساحة الجزائرية والتي ولدت في الأخير تحرر المجتمع من قيود الخرافة والشعوذة والبدع ، وتهيئة الظروف لاستقلال الجزائر ، كما أبرزت في الخاتمة الدور المتميز للشيخ مبارك الميلي ومنهجيته الرائدة في حقل الإصلاح .

مدخـــــــــل :

مفهوم الخطاب الإصلاحي :

أ - الخطابُ لغـــــــة :

أما عن مفهوم الخطاب الإصلاحي لغة ؛ فقد جاء في لسان العرب : (الخطاب والمخاطبـــة : مراجعة الكلام ، وقد خاطبه بالكلام مخاطبةً وخطاباً ، وهما يتخاطبان ، وفصل الخطاب : أن يفصل بين الحق والباطل ويميّز بين الحكم وضده)[3]

والخطاب كما ورد في كتاب الكليات ، هو (الكلام الذي يُقصد به الإفهام ، إفهام من هـــو أهل للفهم ، والكلام الذي لا يقصد به إفهام المستمع فإنه لا يسمى خطاباً)[4] ، وورد في معجم ألفاظ القرآن الكريم معنى خاطب : (خَاطَبَهُ مخاطبةً وخطاباً : تكلم معه ، والخطب : الشأن الذي تقع فيـــه المخاطبة) [5] ، وقد ورد لفظ الخطاب في قوله تعالى : ﴿ وَشَدَدْنَا مُلْكَـــهُ وَآتَيْنَـــاهُ الْحِكْمَـــةَ وَفَصْـــلَ الْخِطَابِ ﴾[6] ، وقد وردت كلمة الخطاب في " معجم الوسيط " ؛ (بمعنى الكلام والرسالة) [7] ، وهو (المواجهة بالكلام ، أو ما يخاطب به الرجل صاحبه ، ونقيضه الجواب)[8] ، والخطاب هـــو (مقطـــع كلامي يحمل معلومات يريد المرسل المتكلم أو الكاتب أن ينقلها إلى المرسل إليه أو السامع أو القارئ ، ويكتب الأول رسالة ، ويفهمها الآخر بناءً على نظام لغوي مشترك بينهما)[9]

---

[3] - **ابن منظور** : لسان العرب . طبعة دار الجيل ودار لسان العرب ، بيروت،عام 1988م ، مجلد 2 ، ص 856

[4] - **أبو البقاء الكفَوي** : الكليات . طبعة مؤسسة الرسالة ، بعناية عدنان درويش ومحمد المصري ، بيروت ، 1992م ، ص419

[5] - **مجمع اللغة العربية** : معجم ألفاظ القرآن الكريم . الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية ، القاهرة ، 1996م ، المجلد2 ، (مادة خطب)

[6] - **سورة ص**: آية 20

[7] - **مجمع اللغة العربية** : المعجم الوسيط . أخرجه إبراهيم مصطفى وآخرون ، دار الدعوة ، استانبول ، عام1989م ، ص243

[8] - **محمد العدناني** : معجم الأخطاء الشائعة . مكتبه لبنان ، بيروت ، عام 1980م ، ط2 ، مادة (خطب)

[9] - **إميل يعقوب** : قاموس المصطلحات اللغوية والأدبية . دار العلم للملايين ، بيروت ، عام1987، مادة (خطب)

في حين وردت لفظة الخطاب في "المنجد في اللغة العربية المعاصرة " ؛ (بمعنى الكلام الموجه إلى الجمهور من المستمعين في مناسبة من المناسبات)[10] ، ويعرف أسلوب الخطاب بأنه (أسلوب يعتمد على المحسنات اللفظية والتأثير العاطفي)[11]

إن الخطاب كمفردة لغوية يشير إلى مصدر الفعل خاطب يخاطب خطاباً ومخاطبة ، وهو يدل على توجيه الكلام لمن يفهم ، أي نقله من الدلالة على الحدث المجرد من الزمن إلى الدلالة الاسمية ، فأصبح قديماً يدل على ما خوطب به وهو الكلام [12]

نستنتج مما سبق أننا عندما نرجع إلى الجذور اللغوية للفظة الخطاب نجد معناها يدور حول الكلام بقصد الإبانة ، وحول ما يتلفّظ به .

ب - الخطاب اصطلاحا :

عرف "معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة" الخطابَ بأنه : (مجموع التعابير الخاصة التي تتحدد بوظائفها الاجتماعية ومشروعها الأيديولوجي)[13]، وأورد الدكتور طه عبد الرحمن تعريفا اصطلاحيا للخطاب فقال : (إن المنطوق به - أي الخطاب- الذي يصلح أن يكون كلاماً : هو الذي ينهض بتمام المقتضيات التواصلية الواجبة في حق ما يسمى خطاباً ، إذ حدُّ الخطاب أنه كلّ منطوق به موجَّه إلى الغير بغرض إفهامه مقصوداً مخصوصاً)[14]، وأما (الكلام فهو ما تركب من مجموعة متناسقة من المفردات لها معنى مفيد ، والجملة هي الصورة اللفظية الصغرى أو الوحدة الكتابية الدنيا للقول أو للكلام الموضوع للفهم أو الإفهام ، وهي تبين أن صورة ذهنية كانت قد تألفت أجزاؤها في ذهن المتكلم الذي سعى في

---

[10] - **المنجد في اللغة العربية المعاصرة** . بيروت ، دار المشرق ، عام2000م ، ص396

[11] - **المصدر نفسه** . ص 396

[12] - **عبد الهادي بن ظافر الشهري** : استراتيجيات الخطاب ، مقاربة لغوية تداولية . دار الكتاب الجديد المتحدة ، بيروت ، 2004م ، ط1، ص36

[13] - **سعد علوش** : معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة . الدار البيضاء ، عام 1985م ، ص83

[14] - **طه عبد الرحمان** : اللسان والميزان . طبعة المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، عام1998م ، ص215

نقلها - حسب قواعد معينة وأساليب شائعة - إلى ذهن السامع ، ولا يكون الكلام تاما والجملة المفيدة إلا إذا روعيت فيهما شروط خاصة ، ومنها ما تعود إلى متطلبات اللغة وقيودها)[15]

واجتهد في تعريف الخطاب اصطلاحا العديدُ من الباحثين (الذين تتميز بحوثهم بالصبغة الابستمولوجية ، وبالأخص تلك المنتمية لفكر ما بعد الحداثة ، إذ قدموا مجموعة من الاجتهادات والتعريفات الخاصة بالخطاب ، ومن بين تلك التعريفات التي ينتمي معظمها لمدارس ما بعد الحداثة الأدبية ، قول هاريس : "إن الخطاب ملفوظ طويل أو متتالي من الجمل" ، وقول بنفنست : "إن الخطاب هو كل لفظ يفترض متكلماً ومستمعاً وعند الأول هدف التأثير على الثاني بطريقة ما" ، وقول هارتمان وستورك إن الخطاب نص محكوم بوحدة كلية واضحة ، يتألف من صيغ تعبيرية متوالية ، تصدر من متحدث فرد ، يبلغ رسالة ما ") [16]

وعرف ميشيل فوكو الخطاب اصطلاحا بقوله : (الخطاب "مجموعة من الملفوظات بوصفها تنتمي إلى نفس التشكيلة الخطابية ، فهو ليس وحدة بلاغية أو صورية قابلة لأن تتكرر إلى ما لا نهاية بل هو عبارة عن عدد محصور من الملفوظات التي نستطيع تحديد شروط وجودها ، إنه تاريخي من جهة أخرى ، جزء من الزمن ، وحدة وانفصال في التاريخ ذاته ، يطرح مشكلة حدوده الخاصة ، وألوان قطيعته وتحولاته والأنماط النوعية لزمانيته بدلَ أن يطرح مشكلة انبجاسه المباغت وسط تواطؤ الزمن") [17]

---

[15] - **ريمون طحان** : الألسنية العربية . دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، عام 1981م ، ط2 ، ص44

[16] - **عبد الله إبراهيم** : الثقافة العربية والمرجعيات المستعارة . المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، سنة1999م ، ط1 ، ص108

[17] - **السيد ولد أباه** : التاريخ والحقيقة لدى ميشيل فوكو . الدار العربية للعلوم ، بيروت ، سنة2004م ، ط2 ، ص110

ج - الخطاب عند الغرب القدامى والمحدثين :

ربط أفلاطون مفهوم الخطاب بالفلسفة ، إذ ترجع (إلى أفلاطون أولُ محاولة جادة تهـــدف إلى ضبط حدود المفهوم الفلسفي للخطاب ، وشحنه بدلالته الخاصة استنادا إلى قواعد عقلية محددة ، الأمر الذي يمكن معه التأكد أنه- مع تلك المحاولة الأولى- بدأت تتبلور ملامح الخطاب الفلسفي الحقيقي في الثقافة اليونانية) [18] ، والخطاب الفلسفي (منذ أفلاطون يعطي الأولوية والسيادة للكلام على حساب الكتابة ، إذ إن الكلام والفكر يقومان على أساس وهم مؤداه أن الفكر وهو يتكلم ، يظل حاضرا أمام ذاته ومطابقا لذاته ، وأنه يقدم المعنى مباشرة ، بينما تتسم الكتابة بالاضـــطراب وعـــدم الاســـتقرار وتفكك المعنى ؛ ومن ثمة فالكتابة محط شك واستبعاد عن طرق الخطاب الذي يودّ إثبـــات حضـــوره لمباشرة المعنى)[19]

والمحاورة الأفلاطونية (تماثل المرويات الشفافية ، إذ يتجلى دور الراوي بشخص سقراط وهو يبسط الأفكار ويورد الحكايات ويضرب الأمثال ، ويسعى خلال ذلك لإثارة الأسئلة وفي كل ذلـــك يبدو مفارقا لما يتكلم بها لأنه يستعير الحوادث والوقائع والحكايات ويرسلها هادفا إلى التأثير في المتلقي ، وهذا المتكلم الراوي المفارق هو أهم خصائص المرويات الشفافية القديمة)[20]

ويتصل مفهوم أرسطو للخطاب بالمنطق ، (إذ يقوم المنطق الأرسطي إلى حـــد كـــبير علـــى خصائص اللغة اليونانية ، ففكرة المنطق عند أرسطو تتأثر بمعطيات لغوية نحوية ، ويستعمل هذه المعطيات في الخطاب ، ويهدف الخطاب عند أرسطو إلى الإقناع في المحاورات والجدل الذي كان شـــائعا عنـــد اليونانيين)[21]

---

[18] - **الموسوعة الفلسفية العربية** . معهد الإنماء العربي ، مج 1 بيروت ، 1986 ، ص771

[19] - **اميل برهييه** : الفلسفة اليونانية . ترجمة جورج طرابيشي بيروت ، دار الطليعة 1987 ص119 و 137

[20] - **عبدالله ابراهيم** : السردية العربية . المركز الثقافي العربي، بيروت ، لبنان ، عام1992م ، ص11-16

[21] - **فايز الداية** : علم الدلالة العربي ، النظرية والتطبيق ، دراسة تاريخية ، تأصيلية ، نقدية . دار الفكر ، دمشق ، سنة1996م ، ط1، ص103-104 .

أما في تاريخ اللسانيات فنجد أن علماء اللغة يفرقون بين "الخطاب" وبين "الحديث" ، إذ إن "الحديث" يمكن أن يجمع في عينة لغوية واحدة ، ويحلل إلى عناصر صغرى بدءاً بالصوت "الفونيم" ؛ لأنه أصغر وحدة ، بينما تحليل الخطاب يسير في اتجاه آخر ، إذ إن الجملة هي الوحدة الصغرى التي يحلل إليها ، والواقع أن علم اللغة العام الذي وضع أساسه (فرديناند دي سوسير في كتابه الذي صدر سنة 1916م : "دروس في اللسانيات العامة : COUR DE LINGUISTIQUE GENERALE" ، والذي ترجم إلى الإنجليزية سنة 1954م ، وكان المفتاح الرئيس للبنيوية ، هو الذي حدد مفهوم اللغة على أنها مجموعة بُنى "STRUCTURES" مضمومة إلى بعض ، وقواعد تعمل بين العناصر داخل الكلمات ، وإن أصغر العناصر الأولية لأية لغة هي الوحدات الصوتية الصغرى فونيمات "PHONEM")[22] ، وأما الخطاب فيرادف الكلام لدى دي سوسير ، ومن سمات الكلام التعدد والتلون والتنوع ، والخطابُ عنده يعارض اللغة ، إذ يوضح سوسير الفرق بين اللغة والكلام بقوله : (إن اللغة والكلام عندنا ليسا بشيء واحد ، فإنما هي منه بمثابة قسم معين وان كان أساسيا ، والحق يقال ، فهي في الآن نفسه نتاج اجتماعي لملكة الكلام ومجموعة من المواضعات يتبناها الكيان الاجتماعي ليمكن الأفراد من ممارسة هذه الملكة ، وإذا أخذنا الكلام جملة، بدا لنا متعدد الأشكال متباين المقومات موزعا في الآن نفسه ، إلى ما هو فردي ، وإلى ما هو اجتماعي ... أما اللغة فهي على عكس ذلك ؛ كل بذاته ومبدأ من مبادئ التبويب)[23]

ويعرف هاريس الخطاب بأنه (" ملفوظ طويل أو هو متتالية من الجمل تكون منغلقة ، يمكن من خلالها معاينة سلسلة من العناصر ، بواسطة المنهجيّة التوزيعيّة ، وبشكل يجعلنا نظل في مجال لساني

---

[22] - **عبد الستار جواد** : اللغة الإعلامية ، دراسة في صناعة النصوص الإعلامية وتحليلها . منشورات دار الهلال للترجمة ، عمان ، عام 1998م ، ص51

[23] - **فرديناند دي سوسير** : دروس في الألسنية العامة . ترجمة صالح القرماوي وآخرين ، الدار العربية للكتاب ، ليبيا - تونس ، 1985م ، ص29

محض" ، أمّا الفرنسي إميل بنفنست فقد عرّف الخطاب من منظور مختلف له أبلغ الأثر في الدراسات الأدبيّة التي تقوم على دعائم لسانية ، فالخطاب عند بنفست هو "الملفوظ منظور إليه من وجهة آليات وعمليات اشتغاله في التواصل ، وبمعنى آخر هو كلّ تلفظ يفرض متكلماً ومستمعاً ، وعند الأوّل هدف التأثير على الثاني بطريقة ما")[24]

ويعرف تودروف "Todrou" الخطاب بأنه (أيّ منطوق أو فعل كلامي يفترض وجود راوٍ ومستمع ، وفي نية الراوي التأثير على المستمع بطريقة ما)[25] .

أما شولتر"Sholter" ، فقد عرف الخطاب بأنه (تلك الجوانب التقويمية والتقديرية أو الإقناعية أو البلاغية في نص ما ، أي في مقابل الجوانب التي تسمى أو تشخص أو تنقل فقط)[26] .

ويذهب كل من جافري ليتش ومايكل شورت إلى أن الخطاب (" اتصال يعتبر صفقة بين المتكلم والمستمع ونشاطا متبادلا بينهما ، وتتوقف صيغته على غرضه الاجتماعي ، بينما يعتبر النص ببساطة اتصالا لغويا ، محكيا كان أو مكتوبا ، تقنن وسيلته المسموعة والمرئية" ، ويعلق هوثرون على المفارقة بين النص والخطاب فيقول : " يعالج مايكل ستابس مفهومي النص والخطاب وكأنهما مترادفان ، لكنه يلاحظ أنه في استعمالات أخرى قد يكون النص مكتوبا ، بينما يكون الخطاب محكيا ، وقد لا يكون النص تفاعليا ، بينما يكون الخطاب كذلك ... وقد يكون النص طويلا أو قصيرا ، لكن الخطاب يوحي بطول معين ، ويتميز النص بانسجام في الشكل والصيغة ، بينما يطبع الخطاب انسجام أعمق من حيث الدلالة والمعنى ") [27]

---

[24] - **يقطين سعيد** : تحليل الخطاب الروائي . المركز الثقافي العربي ، بيروت ، عام 1989م ، ط1 ، ص17

[25] - **تزفتان تودروف** : اللغة والأدب في الخطاب الأدبي . ترجمة سعيد الغانمي . المركز الثقافي ، بيروت ، عام1993 ، ص48

[26] - **روبرت شولتر** : السيمياء والتأويل . ترجمة سعيد الغانمي . المركز الثقافي ، بيروت ، عام1993 ، ص48

[27] - **سارة ميلز** : الخطاب . ترجمة يوسف بغول . منشورات مخبر الترجمة في الأدب واللسانيات ، جامعة منتوري ، قسنطينة ، مطبعة البعث ، قسنطينة2004م ، ص 3

ويحيل "فوكو" Fouco Mechal الخطاب إلى فكرة استنبطت من واقع معرفي بقوله : (" إن كل خطاب ظاهر ينطلق سرا وخفية من شيء ما تم قوله ، والخطاب ليس مجرد جملة تم التلفظ بهـــا أو مجرد نص سبقت كتابته ، بل هو شيء لم يقل أبدا ... وكتابته ليست سوى باطن نفسها " ، ويحـــدد فوكو تعريفا للخطاب بقوله :" الخطاب هو النصوص والأقوال كما تعطي مجموع كلماتها ونظام بنائها وبنيتها المنطقية أو تنظيمها البنائي ") [28]

إن (" تحليل الخطاب " الذي استخدمه فوكو يعد واحداً مـــن الطـــرق المقترحـــة لتحليـــل الأيديولوجيا ، والخطابات عند مشيل فوكو تعني التجسيدات ؛ "النصوص" المنظمة للمعرفة وللممارسة في تمفصلها مع الزمان والمكان ، وقد كشفت خطابات معينة عن وجود "إدراك" محدد ، وهو المصطلح الذي استخدمه فوكو ليشير إلى وجود منظومة من العلاقات أكثر تعقيداً)[29]

ويباين روجر فاولر بين الخطاب والايدولوجيا ، فيقول : (إن الخطاب كلام أو كتابة ينظـــر إليهما من زاوية الاعتقادات والقيم التي يجسدانها ، وتمثل هذه الاعتقادات وما إلى ذلك أسلوبَ نظر إلى العالم وتنظما وتمثيلا للتجربة أي الأيديولوجيا ، بالمعنى الموضوعي الحيادي ، إن مختلف أنماط الخطـــاب ترمز إلى مختلف أشكال تمثيل التجربة ، ومصدر هذه الأشكال من التمثيل ؛ سياق الاتصال الذي يكمن فيه الخطاب)[30] ، وفي العام 1985م ، عرّف موشلر الخطاب : (على أنه "الحوار" ، ثم قام بإجـــــراء

---

28 - **ميشيل فوكو** : حفريات المعرفة . ترجمة : سالم يفوت . المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، عام1987م ، ص31/25 .

29 - **السيد يسين** : بحثا عن هوية جديدة للعلوم الاجتماعية في الوطن العربي . مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، عـــام1986م ، ص398

30- **سارة ميلز** : الخطاب . ص 4

تحليلاته للخطاب ؛ "الحوار" ، وكانت تلك التحليلات توحي بتأثره بآراء مدرسة بيرفكام التي حصرت الخطاب في "الحوار" ، والتي أثرت في تعريفات العديد من اللسانيين الذين يكتبون بالإنجليزية ، ومثال ذلك مايكل هوو في كتابه "حول ظاهر الخطاب" الذي أكد بأنه سيتعامل مع الخطاب باعتباره "المونولوج" شفوياً كان أم كتابيّا) [31] .

أما الفرق بين اللغة "LANGUAGE" ، والخطاب "DISCOURSE" (فيتضح من أطروحات عالم فقه اللغة "فرديناد دي سوسير" ، إذ قال : "فاللغة كما يسمونها ، تعد شيئاً اجتماعيا يمتلكه المجتمع بأسره ، أما الخطاب فيعني بالنسبة إليه منجز فردي ، فاللغة وسيلة ممكنة ، بينما الخطاب يؤخذ على أنه أنشطة وممارسات فعلية اتصالية)[32] ، وذهب "ايستهوب" (إلى ضرورة التفريق بين مصطلح "الخطاب" و"اللغة" ، فالخطاب يعني الطريقة التي تشكل بها الجمل نسقا متتابعا ، وتشارك في كل متجانس وتتنوع على السواء ، ثم إن الجمل تترابط في الخطاب كي تصنع نصا)[33] ، ويباين إيميل بنفنيست بين الخطاب والمنظومة اللغوية فيقول : (تعتبر الجملة ، وهي ابتكار غير معرّف يتخذ أصنافا

---

31 - **عبد الستار جواد** : اللغة الإعلامية . ص 70

32- **يقطين سعيد** : تحليل الخطاب الروائي . ص 24-25

33- **ديان مكدونيل** : مقدمة في نظريات الخطاب ، ترجمة وتقديم عزالدين اسماعيل . المكتبة الأكاديمية ، القاهرة ، عام2001 م ، ص 73

وألوانا ، جوهر الكلام الإنساني كواقع لغوي ، ونستنتج من ذلك أننا نغادر معها عالم اللغة كمنظومة من الرموز ، ونلج في عالم آخر ألا وهو عالم اللغة كأداة للاتصال تجد تعبيرها في الخطاب)[34] ، في حين (يؤكد "هندس" و"هيرست" أن الخطاب هو"أفكار وضعت في نظم محددة من التعاقب نتيجة لآثار محدودة ، تتمثل في طرح القضايا ، ثم نقدها وحلها ، وهي بمثابة نتيجة لذلك النظام)[35] .

نستنتج مما سبق أنّ : (الدلالات والمفاهيم الخاصة بالخطاب ، قد تعددت عند الدارسين الغربيين ، بتعدد مجالاتهم واختصاصاتهم)[36] ، كما نستنتج أن (لفظ الخطاب عند الغرب هو الكلام المكتوب أو الملفوظ الذي يتجاوز الجملة الواحدة ، و تعريفات الخطاب تشير إلى أنه مجموعة دالة من أشكال الأداء اللفظي حيث تشكل الجمل نظاماً متتابعاً تسهم به في نسق كلي متغاير ومتحد الخواص ، ويتضمن جملة من الأفكار التي تعبر عن رؤية لها منطقها الخاص)[37]

34 – **سارة ميلز** : الخطاب . ص 3

35 - **ديان مكدونيل** : مقدمة في نظريات الخطاب . ص 73

36 - **يقطين سعيد** : تحليل الخطاب الروائي . ص 26

37 – **محمد الماكري** : الشكل والخطاب . المركز الثقافي العربي ، بيروت 1991م ، ص المقدمة

د - الخطاب عند العرب القدامى والمحدثين :

ذهب التهاوني إلى أن الخطاب - بحسب أصول اللغة - هو : (توجيه الكلام نحو الغير للإفهام)[38] ، ويؤكد الجرجاني أن الكلام هو (المعنى المركب الذي فيه الإسناد التام أو ما تضمن كلمتين بالإسناد) [39] ، ويورد الزمخشري تفسيرا لفصل الخطاب بقوله : (إنه الكلام المبين الدال على المقصود بلا التباس)[40] ، وذهب الزمخشري إلى أن الكلام هو : (تركيب من كلمتين أسندت إحداهما إلى الأخرى)[41] ، ويعرف الآمدي الخطاب فيقول : (إن الخطاب هو اللفظ المتواضع عليه ، المقصود به إفهام من هو متهيئ لفهمه)[42] ، وخص الآمدي الكلام الموسوم بالبيان والتبيان وتجنب الإبهام والغموض واللبس ، بمعنى الخطاب ، فخلق تلازما بين المصطلحين : "كلام" و "خطاب")[43] ، وعرف ابن جني (الكلام على أنه الخطاب ، والخطاب هو لفظ مستقل بنفسه ، مفيد لمعناه ، يتسم بالأصل الشفهي)[44] .

---

[38] - **التهاوني** : كشاف اصطلاحات الفنون . تحقيق : لطفي عبد البديع . الهيئة العامة للكتاب ، القاهرة ، 1972م ، ج2 ، ص175

[39] - **علي بن محمد الجرجاني** : التعريفات . مكتبة لبنان ، بيروت ، عام1978م ، (مادة كلام)

[40] - **الزمخشري** : الكشاف . دار الكتاب العربي ، بيروت ، عام1987م ، ج4 ، ص80

[41] - **سيف الدين الآمدي** : منتهى السول في علم الأصول . الجمعية العلمية الأزهرية المصرية ، القاهرة ، د ت ، ج1 ، ص 17

[42] - **سيف الدين الآمدي** : الإحكام في أصول الأحكام . دار الكتب العلمية ، بيروت ، عام 1980م ، ج 1، ص 136

[43] - **سيف الدين الآمدي** : المبين في شرح ألفاظ الحكماء والمتكلمين ، تحقيق عبد الأمير الأعسم ، بغداد ، 1985 . ص 385

44 - **ابن جني** : الخصائص . تحقيق محمد لي النجار . الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، عام 1999م ، ط4 ، ج1 ، ص32

أما عن مفهوم الخطاب حديثا ، فيحدده محمد عابد الجابري ، بأنه (" بناء من الأفكـــار إذا تعلّق الأمر بوجهة نظر يعبّر عنها تعبيراً استدلاليّاً ، وإلا فهو أحاسيس ومشاعر ؛ فن أو شـــعر يحمـــل وجهة نظر ، أو هو هذه الوجهة من النظر مصوغة في بناء استدلالي ؛ أي استعمال مواد "مفـــاهيم" ، ولا بد من إقامة علاقات معينة بين تلك المواد حتى يصبح بناءً يشد بعضه بعضاً ، - الاســـتدلال- أو - المحاكـــــــمة العقلية- ، وسواء تعلّق الأمر بالمواد أو بطريقة البناء فلا بد من تقديم أو تأخير ، ولا بد من تضخيم أو بتر... " ولما كان كل بناء يخضع لقواعد معينة تجعله قادراً على أداء وظيفته ، فـــإن الخطاب يعكس كذلك مدى قدرة صاحبه على احترام تلك القواعد ؛ أي على مدى استثماره لهـــا ، لتقديم وجهة نظره إلى القارئ بالصورة التي تجعلها تؤدي مهمتها لدى هذا الأخير ؛ مهمـــة الإخبـــار والإقناع ... ويفرّق الجابري بين الخطاب والتأويل فيقول : (" ... النصوص مجموعة لها جانبان : ما يقدمه المرسل وهو"الخطاب" ، وما يصل المتلقي وهو"التأويل")[45]

ويرى السيد يسين (أن الفضل في صك الخطاب ونشره يعود إلى مفكرين وكتاب في المغـــرب العربي ... وأن مصطلح "الخطاب" يعني في عمومه أسلوب التناول أو صياغة وعرض الأفكار والقضايا والمشكلات)[46]

وفهم عبد السلام المسدي "الخطاب" على (أنّه الكلام أو المقال ، وعدّه كياناً أفرزته علاقات معينة بموجبها التأمت أجزاؤه ، وقد تولّد عن ذلك تيار يعرّف الملفوظ الأدبي بكونه جهازاً خاصاً مـــن القيم طالما أنه محيط ألسني مستقل بذاته ، وهو ما أفضى إلى القول بأن الأثر الأدبي بنيةٌ ألسنية تتحاور مع السياق المضموني تحاوراً خاصاً)[47]

وأما "الخطاب" عند جابر عصفور فهو (الطريقة التي تشكل بها الجمل نظاماً متتابعاً تسهم به في نسق كلي متغيّر ومتحد الخواص ، أو على نحو يمكن معه أَنْ تتآلف الجمل في خطاب بعينه لتشكّـــــل

---

[45] - **محمد عابد الجابري** : الخطاب العربي المعاصر . دار الطليعة ، بيروت ، عام1982م ، ص 17- 18 و 35

[46] - **السيد يسين** : بحثا عن هوية جديدة للعلوم الاجتماعية في الوطن العربي . ص 397

[47] - **عبد السلام المسدي** : الأسلوبية والأسلوب . الدار العربية للكتاب ، ليبيا . عام 1997م ، ص 110

خطاباً أوسع ينطوي على أكثر من نصٍّ مفرد ، وقد يوصف الخطاب بأنّه مجموعة دالة من أشكال الأداء اللفظي تنتجها مجموعة من العلاقات أو يوصف بأنّه مساق العلاقات المتعينة التي تستخدم لتحقيق أغراض معينة)[48]

وليس الخطاب عند سعيد يقطين غير (الطريقة التي تُقدَّم بها المادة الحكائية في الرواية ، وقد تكون المادة الحكائية واحدة ، لكن ما يتغيّر هو الخطاب في محاولته كتابتها ونظمها ، فلو أعطينا لمجموعة من الكتاب الروائيين مادة قابلة لأن تحكى ، وحددنا لهم سلفاً شخصياتها وأحداثها المركزية ، وزمانها وفضاءها ، لوجدناهم يقدمون لنا خطابات تختلف باختلاف اتجاهاتهم ومواقفهم ، وإن كانت القصة التي يعالجون واحدة)[49]

وقد وسع مصطفى ناصف نطاق الخطاب ، حين (أشار إلى وجود خطابات كثيرة ، وطرق مختلفة لدراستها مؤكداً أنّ العلاقات الاجتماعية لا يستوعبها خطاب واحد ، ولا يمكن أن يعتبر الخطاب الأدبي خلاصة واقعية لنشاط اللغة الكثيف المتقاطع)[50]

ويفرّق الأستاذ الحدّاد بين القول والخطاب ، فالقول هو (أداء مُمَأْسَسَ "INSTITUTIONNALISE" ، يراعي الشروط الصورية للقبول اللغوي- قواعد النحو والصرف مثلا- ، أمّا الخطاب فيخضع لنوع مُواز من القواعد والآليات لا علاقة لها بالبنى الماقبلية للغة ، كما أنّها ليست متروكة لمطلق اختيار الفرد ، ولعلّ هذا التفريق يوافق التفريق بين النحوية "GRAMMATICALITE" ، والمقبولية "ACCEPTABILITE" ، وهو تفريق لطيف عرضت له المدرسة التوليدية ، فالجملة " قد تكون سليمة من حيث التراكيب والبنى النحوية ، ولكنها لا تتمتّع بالقبول ، لأنّها لا تستجيب لشروط نجاح القول ، أو تُخلّ بمبادئ المحادثة ... أي أنها تفشل في أداء عمل لغوي قولي ، ومعلوم أنّ مصطلح "جملة" في هذا السياق لا ينطبق على المقام ، فنحن إزاء أقوال أو

49- **جابر عصفور** : عصر البنيويّة ، من ليفي شتراوس إلى فوكو . دار الأفاق العربية ، بغداد ، عام 1985م ، ص 269

49 - **سعيد يقطين** : تحليل الخطاب الروائي . ص 7

50 - **مصطفى ناصف** : اللغة والتفسير والتواصل . سلسة عالم المعرفة ، عام 1995 ، ص 332

خطابات ، إذ إن الجملة هي كيان نظريّ وليست مفهوما تواصليا ، إنها محدودة بضوابط اللغة ، غـــير مَعْنيّة بالأداء التواصلي)[51]

وقد بحث الأستاذ الحداد إشكالية الكتابة والمشافهة في الخطاب الإصلاحي ، فرأى أنه خطابٌ (ظلَّ ممزّقا - من وجهة نظر سوسيولوجية وثقافية - بين رؤيتين للعالم : الرؤية الشعبية التي تستكين للأمـــر الواقع لأنها ترى فيه عقابا إلهيا وتجسيدا لعلامات الساعة كما أعلنها النبي ، والرؤية النخبوية التي تتّجـــه نحو الانخراط في المشروع الغربي باعتباره بديلا للوضع القائم ، من دون أيّ اهتمام بالوعي الشعبي الذي لا يمثّل في نظرها إلا وعيا هامشيا ، وهذا التوسّط بين الرؤيتين هو الذي يحدّد للخطـــاب الإصـــلاحي خصوصيته باعتباره محاولة في تعبئة وعي الجماعة ، وهو أيضا الذي يمنعه من تخطّي حـــدود معيّنـــة في المعاصرة لأنّ تخطّي هذه الحدود يعني انقطاعه عن التواصل مع هذا الوعي الذي يريد تعبئته ، وبعبـــارة أخرى إنه لا يقطع تماما مع الثقافة الشعبية الشفوية ، فلا ينخرط تماما في المنطق الجديد للكتابـــة ؛ أي منطق الثقافة المكتوبة الجديدة التي أتى بها الغرب بديلا عن الثقافة المكتوبة التقليدية ، كما أنّه لا يصـــل إلى حدّ تشكيل خطاب معقّد ذي صرامة منطقية لا يعتمد الأسطورة ، ولا يستعمل الاستعارة إلا عـــن وعي ، وبهذا التوصيف يبدو خطاب الإصلاح في القرن التاسع عشر خطابا قد وقـــف علـــى الأزمـــة الحضارية و لم تُمكّنْ نزعته التوفيقية من الخروج من الأزمة ، ولكنها أجّلت الحسم بمحاولتها تلبية هاجس الجمع بين حداثة غربية وأصالة إسلامية ؛ لذلك فمن اليسير أن نلاحظ أنّ خطاب النخب الســـاعية إلى التواصل مع العامّة" ، يتوفّر على مقوّمات أشّرَ عليها الأستاذ الحداد في خطاب محمد عبده الإصلاحي ، ولعل منطق التبرير يبدو موضعا مشتركا يلتقي فيه الخطابان الشعبي والإصلاحي ، لكـــن الأول يفـــزع تلقائيا إلى فكرة نهاية الزمان ، أمّا الثاني فيقوم بتوظيف فكرة الرجل الذي يبعثه الله على رأس كل مائة سنة ليجدّد الدين)[52]

---

[51] - **محمد الحداد** : حفريات تأويلية في الخطاب الإصلاحي العربي . ص 23 و ما بعدها

[52] - **محمد الحداد** : المرجع نفسه . ص 49 - 50

هـ - رواد الخطاب الإصلاحي في العالم العربي والإسلامي الحديث :

إن الحديث عن الخطاب الإصلاحي ضمن سياقه التاريخي هو حديث عن الرجال الذين تحققت فيهم وبواسطتهم اليقظة العربية الاجتماعية والدينية في العصر الحديث ، لقد كان أولئك الرجال من (العلماء الأحرار أفرادا قلائل ، لا يتجاوزون الأنامل ، لا يجمعهم زمان ولا مكان ولا حزب ولا هيئة ، ولا ناد من الأندية فضلا عن برنامج مسطر معلوم ، وإنما جمعتهم فكرة مشرفة ، وعقيدة حارة وآلام مشتركة ، ذلك وحده هو الذي أقنع كل واحد منهم على انفراد بوجوب السعي من أجل إصلاح حال الأمة الجزائرية العريقة ، ذلك أن كل واحد منهم شعر شعورا عميقا بما ساقه الاستعمار إليها من محن ، وما أنزله عليها من ضربات لتمزيق وحدها وتشريد سكانها الآمنين وإغراقها في بحر من الجهل والفقر)[53] ، أولئك العلماء المصلحون هم من سموا أنفسهم بالمصلحين ، وسميت حركتهم بالإصلاح ، وكان مظهر حركتهم في الأول دينيا محضا ، ولكنه دين واسع نظيف ، يتناول الحياة من جذورها ، ويرقى معها حتى يصل إلى أعلى أغصانها ، وإن أولئك العلماء الإصلاحيين المعاصرين ما جاءوا إلا على سنة سلفهم المتقدمين وما قاموا إلا بما يفرضه عليهم الدين من تثبيت المسلمين على الحق ، وإرشاد الضالين والذود عن سنة خاتم الأنبياء والمرسلين .

حاول الخطاب الإصلاحي فتح الطريق للنهوض بكافة السبل والطرائق ، انطلاقا من التسليم بحقيقة "التخلف" و"الركود" التي كان يعانيها الواقع الإسلامي ، إذ كان الشيخ جمال الدين الأفغاني يرى أن (لا نجاة للمسلمين إلا بالاتحاد والعودة إلى الأصول الأولى ... فكان الإصلاح عند الأفغاني يتمثل في دعوة المسلمين إلى الدين الصحيح الذي يدعو إلى العزة والقوة لا إلى الاستسلام والتخاذل ... كما دعا إلى إصلاح مناهج التعليم ... وتطهير الكتب من التفريعات والتشبيهات التي تغرق الدارسين في القشور دون أن تقودهم إلى اللب مباشرة ، حيث نادى الشيخ الأفغاني (بضرورة تطهير الإسلام من الخرافات والأوهام الإسرائيليات التي تطرقت إليه حتى أفسدت قيمه الروحية ، فظن الناس مثلا أن الإيمان بالقضاء

---

[53] - **عبد الكريم بوالصفصاف** : جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في تطور الحركة الوطنية الجزائرية 1931– 1945م . رسالة لنيل دبلوم الدرسات المعمقة . دار البعث للطباعة والنشر ، قسنطينة ، سنة 1981م ، ص 367

والقدر معناه ترك العمل للركون إلى الكسل ، وقد فطن الشيخ الأفغاني إلى أهمية العنصر الديني في الخطاب الإصلاحي ، حيث رأى أن الدين كان أساسا في إصلاح هذه الأمة ، بل في دفعها إلى المقدمة في كثير من عصور التاريخ ، ولعدة قرون وفي فترات متفاوتة ، الدين هو السبيل الرئيس في توحيد الهمم من أجل إنقاذ الأمة ودفعها مرة جديدة في طريق الحضارة ، ولكن بشرط أن يطهر الإسلام من الأوهام والخرافات التي لحقت به في عصر التدهور)[54] ، لكن الفكر الإصلاحي يمتزج بالسياسة في مفهوم الخطاب عند الشيخ جمال الدين الأفغاني ، إذ كان يمازج بين الدين والسياسة ، فكانت دعوته الإصلاحية مشوبة بالفكرة السياسية ، حيث ربط الشيخ الأفغاني الإصلاح السياسي بالإصلاح الديني ، وما يوضح هذا الربط أن الشيخ جمال الدين الأفغاني (لما هاجر إلى مصر كان أول أثر له فيها، طبع سجل " جمعية أم القرى" ، الذي نقّحه ست مرات ، وقال في آخر مرة : "إن الإنسان يتجرأ أن يقول ويكتب في بلاد الحرية ما لا يتجرأ عليه في بلاد الاستبداد ، بل إن بلاد الحرية تولد في الذهن من الأفكار والآراء ما لا يتولد في غيرها)[55]

و لم يكن الخطاب الإصلاحي للشيخ محمد عبده مختلفا في منطلقاته العامة عن خطاب الأفغاني ، لكنه كان يختلف معه في مسألة السياسة ، إذ إن مفهوم الخطاب الإصلاحي عند الشيخ محمد عبده يتمثل في الإصلاح الديني التربوي الاجتماعي المتبرئ من "ساس يسوس" ، والحامل لمبدأ "ما دخلت السياسة أمرا إلا أفسدته" ، فكان الشيخ محمد عبده يسير دائما " بمبدأ إبعاد السياسة عن الإصلاح .

إن هذا الموقف من الإمام محمد عبده كان سببا للجفوة التي فصلت بينه وبين أستاذه الأفغاني ، وقد كتب الإمام عبده إثر عودته من المنفى إلى مصر ، يقول عن الأفغاني : (" إن السيد جمال الدين كان صاحب اقتدار عجيب لو صرفه ووجهه للتعليم والتربية لأفاد الإسلام أكبر فائدة ، وقد عرضت عليه حين كنا في باريس أن نترك السياسة ، ونذهب إلى مكان بعيد عن مراقبة الحكومات ، ونعلم

---

[54] - **محمود قاسم** : مناهج الإصلاح في الشرق منذ أواخر القرن التاسع عشر حتى عصر النهضة المعاصرة ، فكرة جمال الدين الأفغاني عن الإصلاح . مجلة الثقافة ، عدد 81 . ص 22 - 23 و 25

[55] - **صالح خرفي** : المدارس والمعاهد العليا ، دورها في النهضة العربية الحديثة . المجلة الجزائرية للتربية ، مجلة فصلية يصدرها المعهد التربوي الوطني تحت إشراف وزارة التربية الوطنية ، السنة الأولى ، الفصل الرابع ، عام 1995م ، عدد 4 ، ص 35 و 59

ونرقي من نختار من التلاميذ على مشربنا ، فلا تمضي عشر سنين إلا ويكون كذا وكذا من التلاميذ يتبعوننا في ترك أوطانهم والسير في الأرض لنشر الإصلاح المطلوب فينتشر أحسن الانتشار ، فقال لي الأفغاني : إنما أنت مثبط" ، ومن اللافت للنظر أن مفهوم عبده للحركات الإصلاحية هو الذي لقي صداه في أبناء المغرب العربي في أواخر القرن التاسع عشر ، وأوائل القرن العشرين ، فتلقوه على ظمأ)[56]

وقد شاء الحق سبحانه وتعالى أن يبعث على رأس كل قرن من المسلمين من يجدد لهم دينهم ، إذ إننا لا نكاد نجد فترة زمنية قد خلت من عالم بارز يرفع راية الإصلاح فيها ، ويحمل لواء التجديد بما يبثه من آراء ، وينشره من مؤلفات يرشد بها الناس إلى جادة الصواب ، فكان أول من (نادى بالإصلاح الديني علما وعملا نداء - سمعه العالم الإسلامي كله - من الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده ، وأول من قام بخدمة العالم الإسلامي بنشرة إسلامية عالمية هو تلميذه حجة الإسلام السيد محمد رشيد رضا صاحب المنار ، رحمهما الله)[57] ، وإذا كان (بعض الباحثين يربطون الحركة الإصلاحية بمصادر شرقية باعتبار أن جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده من الرواد الأوائل ، فإن ابن نبي يذهب بها إلى أبعد من ذلك ، فهو يرجعها إلى الوهابية التي هي ثمرة تعاقب المصلحين منذ ابن تيمية في القرن الثامن للهجرة) ، وكان من حسن حظ الأفغاني أن فكرته في النهوض بعثت الحركة في كل مكان ، وكشفت عن الشعوب الإسلامية غطاءها ؛ ولقد بلغ تأثير تلك القوة الفعالة الجزائر فأخذت منها بنصيب)[58] .

بدأت مرحلة الخطاب الإصلاحي في العالم العربي الإسلامي الحديث مع جمال الدين الأفغاني ، والشيخ محمد عبده ، وابن أبي ضياف ، و خير الدين التونسي ، وغيرهم ، وكان للجرائد والمجلات العربية الآتية من الشرق بشكل سري أثر كبير في الإعانة المعنوية للمصلحين الجزائريين ، الذين اجتهدوا في نشر الإصلاح في ظل انتمائهم إلى العالم العربي والإسلامي ، وصب الإصلاح في خدمة المجتمع

---

[56] - **صالح خرفي** : المدارس والمعاهد العليا ، دورها في النهضة العربية الحديثة . المجلة الجزائرية للتربية . عدد 4 ، ص 35 و 60

[57] - **مجموعة جريدة البصائر** ، ص 79

[58] - **محمد العربي ممريش** : مالك بن نبي والاتجاه الحضاري في الحركة الوطنية بين الحربين 1920- 1938م . مجلة الثقافة ، عدد 85 ، ص 205 - 206

والحفاظ على ثوابت الأمة وتماسك عقيدتها ، (فمن الواضح أن كل دعاة الإصلاح في جميع العصـــور الإسلامية كانوا يستوحون دعوتهم من مبادئ الإسلام الصحيحة ، فكانوا يبـــدأون بـــتطهير النفـــوس والعقول من البدع والخرافات ، وما يتصل بالأسس العقائدية ، ثم يتدرجون في سلم الحياة الاجتماعيـــة والسياسية ، وهذا الطريق هو الذي سار عليه علماء الجزائر في الربع الثاني من القرن العشرين ، فقد كان (للإسلام دور هام في الإصلاح خلال كل عصر من العصور التي شاهدت انحطاطا واضحا في الحيـــاة الفكرية والاجتماعية والدينية ، لذلك فإن المصلحين الذين برزوا على رأس كل عصر كانوا يرجعون في معالجة الأمراض الاجتماعية ومحاربة البدع والخرافات التي تحيط بالدين إلى منابع الإســـلام الصـــحيحة الصافية)[59]

ولعل أهم من دعا في القرن الثامن عشر إلى تنقية الإسلام من الانحرافات عن طريـــق القـــرآن والسنة هو (الشيخ محمد بن عبد الوهاب "1703 - 1792" ؛ وهو من العلماء المجـــددين ، ولـــد في العُيَينة بنجد ، ناصره محمد بن سعود ، له رسائل منها "كتاب التوحيد" ، "كشف الشبهات" ، "تفسير الفاتحة")[60] ، وإليه (تنسب الحركة الوهابية ؛ وهي دعوة إصلاحية دينية سلفية ، قامت كرد فعل على مفاسد المجتمع الإسلامي ، فحاربت البدع وفي مقدمتها الطرقية)[61] .

ثم يأتي علماء إصلاح آخرون يكملون مسيرة التغيير والإصلاح ، ومنهم الشيخ حسن العطار ، وهو (شيخ الجامع الأزهر في القرن التاســـع عشر حيث دعا إلى تغيير طريقة حياتنا ، وأول طريق للتغير هو أن نتعلم العلوم التي ما زلنا نجهلها ، والشيخ العطار "ت 1834م" : هو عالم مصري مغربي الأصل ، تولى جريدة "الوقائع المصرية" ، ثم مشيخة الأزهر عام 1830م ، له حواش في الأصول والمنطق والنحو ، وكتاب في الإنشاء والمراسلات ، وديوان شعر ، كما اشتهر في المرحلة نفسها الإمـــــام محمد بن علي

---

[59] - **عبد الكريم بوالصفصاف** : جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في تطور الحركة الوطنيـــة الجزائريـــة 1931 – 1945 م . ص 52 - 54

[60] - **مجموعة مؤلفين** : المنجد في اللغة والإعلام . دار المشرق ، بيروت ، السنة 2003 م ، ط 26 ، ص 369

[61] - **محمد العربي ممريش** : مالك بن نبي والاتجاه الحضاري في الحركة الوطنية بين الحربي 1920- 1938م ، مجلة الثقافة ، عـــدد 85 ، ص 205

الشوكاني (بدعوته إلى نبذ التقليد ، والشوكاني "1760م - 1834م" ، هو فقيه من علمـــاء الـــيمن ، عاش في صنعاء وولي قضاءها ، وكان يرى تحريم التقليد ، وله ما ينيف على مائة مؤلف ، منها "إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق في علم الأصول") [62] ، ويبرز في تونس بعد سنوات (خير الـــدين التونســـي "1822- 1889 م" ، وهو شخصية تونسية ، تنتمي إلى النخبة العثمانية التي تبنت الإصلاحات الإدارية والسياسية والعسكرية على النمط الأوروبي ، وقد رأى أن التجارب النهضوية والتنموية التي تبنتها النخبة السياسية في القرن التاسع عشر في مصر بزعامة محمد علي باشا ، وفي تونس بقيادة أحمد باي ، قد فشلتا فشلا ذريعا ، وهذا يعود إلى تقليد الغرب ، وعدم فهم الأزمة الحقيقية التي هزت كيان الإنسان المسلم في عصرهم ، وأصدر التونسي كل هذا في كتابه الشهير "أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالـــك" في العام 1867م)[63] ، ثم جاء جمال الدين الأفغاني والشيخ محمد عبده وحاولوا إقامة جسور بين مبـــادئ الدين وما أتى به العالم الحديث من أفكار ، فأما الشيخ جمال الدين الأفغاني ، فقد (ظهر في فترة كان فيها الاستعمار الغربي يحتل فيها بلاد المسلمين ، فحمل لواء الكفاح ، داعياً إليه ، وفضـــح ألاعيـــب الاستعمار وكشف مؤامراته ، ودعا إلى توحيد صفوف الأمة الممزقة ، ودفعهـــا إلى طريـــق التغـــيير والإصلاح والبناء ، بمعالجة الجهل ، ومحاربة التقليد والتعصب المذهبي والطائفي ، والعمل بكتـــاب الله وسنته ، وإدراك حقيقة الاستخلاف الإلهي للإنسان في أرضه ، والإفادة الكاملة مـــن مـــواطن القـــوة الحضارية العلمية والعمرانية في الحضارة الحديثة ، فكان بحق مصلحاً دينيا سياسياً واجتماعياً وفكريـــاً ، وكان بحق رائداً من رواد الإصلاح ، فله الفضل العظيم في الإصلاح ... ولد في أسعد أباد بأفغانستان سنة 1839م ، ويرتقي الأفغاني من سلالة علي الترمذي المحدث الشهير ، الذي لا زال تأليفه يحمل اسمه وهو سنن الترمذي ، ويرجع نسب الترمذي إلى الحسين بن علي بن أبي طالب)[64] ، وقد لقّب الأفغاني (بفيلسوف الإسلام في عصره . ويكفيه منزلة أنه كون مدرسة فكرية عظيمة تخرج فيها المفكـــرون

---

62 - **مجموعة مؤلفين** : المنجد في اللغة والإعلام . ص 338 و 375

63 - **خير الدين التونسي** : أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك ، تحقيق : منصف الشنوف . الـــدار التونســـية للنشـــر ، تـــونس ، السنة 1972 م ، ص مقدمة الناشر

64 - **عبد الكريم بوالصفصاف** : جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في تطور الحركة الوطنيـــة الجزائريـــة 1931 – 1945م . ص 59

والعلماء المصلحون من أمثال الإمام محمد عبده وتلميذه الشيخ محمد رشيد رضا . من أهم كتبه : "إبطال الدهريين")[65]

ويوم (أسس الأفغاني "جمعية العروة الوثقى في كلكونتة بالهند سنة 1882م ، كان من بين أعضائها بعض رجال الإصلاح والسياسة في المغرب العربي ، منهم الأمير عبد القادر في أخريات أيامه ، والمصلح السياسي التونسي محمد بيرم الخامس ، والمصلح الزيتوني الشيخ محمد السنوسي الذي أسس فرعا للعروة الوثقى في تونس ، وانتفض جمال الدين الأفغاني ينفخ الروح في الدين والسياسة ويصل شتات الأمة بمجلته "العروة الوثقى" ، ويجوب العالم الإسلامي داعية مستنفرا ، يواجه الاستبداد في أحكامه وحكامه ، ويفضح الغرب في أطماعه وغاياته ، فعاش طريدا في هذا وذاك ، حتى قضي مكتوم النفس ، مخنوق الصوت ، فصار رمزا للصحوة الصادقة)[66] ، إذ بعد أن أنشأ الشيخ الأفغاني مجلة العروة الوثقى (في باريس عام 1883م ، سافر إلى إيران ثم إلى روسيا ، ثم عاد إلى إيران داعيا إلى الإصلاح فغدر به الشاه ، فترك إيران نحو البصرة ثم إلى انجلترا ، وأخيرا احتال عليه السلطان عبد الحميد ودعاه إلى الأستانة فسجنه ، حتى توفاه الله عام 1897م)[67] .

وكان محمد عبده "1849-1905" بمساعدة تلميذه رشيد رضا الداعية الأول في مصر إلى الحركة الإصلاحية المعاصرة في العالم الإسلامي التي تركزت على الدعوة إلى الإصلاح والرجوع بالإسلام إلى صفاوته القديمة لاسيما في الأزمنة المعاصرة ؛ والشيخ محمد عبده هو من علماء المسلمين المعاصرين الدعاة إلى الإصلاح ، "1849م-1905م" ، ولد في دلتا بمصر ، وهو (سياسي مصري ، تلميذ الأزهر ، حرر جريدة "الوقائع المصرية" ، ناوأ الإنجليز فنفي ، أصدر في باريس مع جمال الدين الأفغاني جريدة "العروة الوثقى" ، ثم عاد إلى بيروت فاشتغل بالتدريس والتأليف ، هو مفتي الديار المصرية عام 1899م ، من مؤلفاته "رسالة التوحيد" ، و"شرح مقامات البديع الهمذاني" ، " شرح نهج

---

[65] - **مجموعة مؤلفين** : المنجد في اللغة والإعلام . ص 57

[66] - **صالح خرفي** : المدارس والمعاهد العليا . دورها في النهضة العربية لحديثة . المجلة الجزائرية للتربية ، عدد 4 ، ص 35 و 59

[67] - **محمود قاسم** : مناهج الإصلاح في الشرق منذ أواخر القرن التاسع عشر حتى عصر النهضة المعاصرة ، فكرة جمال الدين الأفغاني عن الإصلاح . مجلة الثقافة ، عدد 81 ، ص 16

البلاغة" ، "تفسير القرآن" ، ومجموع مقالاته)[68] . واعتبر الشيخ محمد عبده (وهو على قيد الحياة أكبر مصلح مسلم في الفترة المعاصرة ، أما الشيخ رشيد رضا ؛ فهو (من علماء الدين الإسلامي ؛ ولـــد في القلمون بلبنان ، وهو صاحب مجلة المنار المشهورة بالقاهرة ، وتلميذ الشيخ محمد عبده ، عرف بالدعوة إلى الإصلاح ، نشر تفسير القرآن على منهج أستاذه محمد عبده)[69]

و (انتفض في عصر الأفغاني ومحمد عبده زعيم إصلاح التعليم الأزهـــري ، عبـــدُ الـــرحمن الكواكبي ، يناصر الأفغاني ، ويفضح أمام أمته المغلوبة على أمرها ، المغتالة في وعيها ، في كتابه "طبائع الاستبداد" ، ويستنفرها لمؤتمر مشهود ، واجتماع حاشد في" أم القرى" لتتدبر أمرهـــا ، وتستشـــرف مصيرها ، وكأنه يهب بالأمة أن تؤوب إلى النبع الأصلي من جديد ، وتعود أدراجها إلى مهد الإســـلام الأول إن أرادت لنفسها خلاصا في حاضرها ، ومصيرا محمودا في غدها)[70]

وعبد الرحمن الكواكبي ("1849- 1902" : صحافي وأديب سوري ، ولد في حلب ، وأنشأ فيها جريدة "الشهباء"عام 1877 م ، واشتهر بتحرره ودعوته إلى الإصلاح ، فاضطهده الأتراك وهاجر مصر ، من أهم مؤلفاته "أم القرى" ، و"طبائع الاستبداد" ، واشتهر بالدعوة إلى الإصلاح الاجتمـــاعي الأديبُ اللغوي عبد القادر المغربيّ "ت 1956م" ، رئيس المجمع العلمي في دمشق ، من أهم مؤلفاته : "البيّنات في الدين والاجتماع والأدب والتاريخ")[71]

وأما الذين ساروا في طريق الإصلاح في مصر لكن طريقهم كانت مختلفة عن المنهج الســـلفي الذي انتهجه الشيخ محمد عبده ، فنجد من أبرزهم قاسم أمـــين ("1865- 1907" ، وهـــو أديـــب مصري ، اشتهر بالدعوة إلى تحرير المرأة)[72] ، وقد كرس قاسم أمين جل حياته لقضية النهضة ، خاصة قضية تحرير المرأة من قيد التقاليد البالية التي تقف ضد تعليمها ، وتجعلها مسجونة منعزلة في بيتها ، كأنها

---

[68] - **مجموعة مؤلفين** : المنجد في اللغة والإعلام . ص 369

[69] - **عبد الكريم بوالصفصاف** : جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في تطور الحركة الوطنيـــة الجزائريـــة 1931 – 1945 م . ص 54 و 391

[70] - **صالح خرفي** : المدارس والمعاهد العليا . دورها في النهضة العربية لحديثة . المجلة الجزائرية للتربية ، عدد 4 ، ص 33

[71] - **مجموعة مؤلفين** : المنجد في اللغة والإعلام . ط 26 ، ص 470 و 558

[72] - **مجموعة مؤلفين** : المرجع نفسه . ص 71

متاع للرجل ، وليس إنسانا يساوي ذاك الرجل في الحقوق والواجبات ، لكن قاسم أمين يختلف عـــن الشيخ مبارك الميلي والمدرسة الإصلاحية من أمثال محمد عبده والأفغاني ، إذ إن قاسم أمين لا يستند إلى مرجعية التراث بشكل انتقائي ، فهو لا يحتقر التراث ولا يستهين به ، بمعنى أن الخطاب الإصلاحي عند قاسم أمين لا يتسم بالسلفية كما عند رواد الإصلاح .

أما الذين لم يختلفوا عن منهج محمد عبده في طريق الإصلاح ، فمنهم رفاعـــة الطهطـــاوي ؛ (المصلح الأزهري الذي أسس "مدرسة الألسن" في القاهرة ، وهو إمام أول بعثة علمية مصرية إلــــى فرنسا وواعظها)[73] ، ومنهم (عبد العزيز جاويش ؛ ولد في الإسكندريّة 1876م ، وطلب العلـــم في الأزهر ، ثمّ انتقل إلى دار العلوم ، عمل مدرّساً في جامعة أكسفورد للّغة العربيّة ، ثم رأس تحرير جريدة "اللّواء" ، و"الهداية" ، و"الهلال العثمّاني"، و"العالم الإسلاميّ" ، وكان لـــه نشاطات كـــثيرة لخدمـــة الإسلام ، توفّي في القاهرة سنة 1929م ، وعبد الرّحمن قراعة ؛ 1863- 1939" ، هو مفتي الـــدّيار المصريّة عام 1921م ، من مواليد أسيوط ، عمل بالتّدريس في الأزهر ، ثمّ عُيّن مفتياً بمديريّة سوهاج ، وقاضياً بأسوان ، ورئيساً لمحكمة بني سويف ، وعضواً بالمحكمة الشّرعيّة العليا ، وعضواً بجماعة كبـــار العلماء)[74] ، وأحمد تيمور باشا ("1871- 1930" ؛ أصله من الموصـــل ، درس مبـــادئ العربيّـــة والفرنسيّة والتّركيّة والفارسيّة ، ولازم الشّيخ طاهر الجزائري ثلاث عشرة سنة ، ترك في خزانته ثلاثـــة عشر ألف مجلّد نصفها مخطوط ، كان عضواً في المجمع العلمي بدمشق والقاهرة ، من أهم كتبه "معجم الألفاظ العاميّة المصريّة" ، و"تصحيح أغلاط لسان العرب" ، وغيرها)[75] ، ومحمّد الخضـــر حســـين ("1876- 1958م" ؛ وهو عالم إسلامي ، وباحث أديب ، تولّى مشيخة الأزهر ، انتقل من تـــونس قاصداً بلاد الشّام ودرّس في الجامع الأمويّ ، سُجن في عهد جمال باشا ، وترك دمشق بعـــد دخـــول الفرنسيين واستقرّ في مصر هارباً من حكم الإعدام الّذي أصدره الفرنسيون ضده ، ثم أســـس جمعيّـــة الهداية الإسلاميّة ، وتولّى تحرير مجلّة "نور الإسلام" ، و"لواء الإسلام" ، ترك كتباً كثيرة ، منها : "نقض

[73] - **صالح خرفي** : المدارس والمعاهد العليا ، دورها في النهضة العربية الحديثة . المجلة الجزائرية للتربية ، عدد 4 ، ص 42

[74] - **مصطفى نجيب** : أعلام مصر في القرن العشرين . وكالة أنباء الشّرق الأوسط . عام1996، ص 301 و 305

[75] - **محمد كرد علي** : المعاصرون . دار صادر ، بيروت ، السنة 1993 م ، ط 2 ، ص 37

كتاب الإسلام" و"أصول الحكم" ، و"نقض كتاب في الشّـعر الجـاهلي" ، و"دراسـات في العربيّـة وتاريخها" ، وغيرها)[76] ، ومن السائرين في طريق الإصلاح أيضا علي جلال الحسيني (وهو من القضاة المشتغلين بالعلم والأدب والشّعر والتّاريخ، تخرّج بمدرسة الحقوق ، وولي مناصب في القضاء ، من أهم تصانيفه "محاسن آثار الأوّلين فيما للنساء وما عليهن في قـوانين قـدماء المصـريين" ، تـوفّي سـنة 1932م)[77] .

أما في تونس فمن أهم رجال الإصلاح فيها (الشيخ محمد النخلي "1862- 1924م" ، وقـد شغل منصب أستاذ التفسير ، وُلد بالقيروان وتوفي بتونس ، وهو شاعر وفقيه من أعلام ومدرسي جامع الزيتونة ، كان متأثراً بمدرسة عبده والأفغاني ، ومحمد الشاذلي خزنة دار ("1879 - 1954" ؛ و هـو شاعر وسياسي تونسي ، من شعراء النهضة الحديثة في بلاده ، اشتهر بنشـاطه القـومي والـدعوة إلى الإصلاح الاجتماعي ، له ديوان وأغان شعبية)[78] ، وظهر في تونس أيضا : (المصلح خير الدين باشـا التونسي ، أما الشيخ محمد الطاهر بن عاشور ("1879- 1973م" ؛ فهو من زعماء إصلاح التعلـيم الزيتوني ، فقيه ومفسر ، من أشهر مؤلفاته في التفسير "التحرير والتنوير" ، وهو مـن كبـار علمـاء الزيتونة ، وله شرح "ديوان بشار" و"النابغة الذبياني" ، ترأس سنة 1907م "جمعية الزيتونة" التي عملت على إصلاح التعليم الزيتوني . وأما البشير صفر ("1863-1917 م" فيعدّ أبا النهضة التونسية ؛ وهو زعيم وطني ، خطيب وكاتب وصحفي ، درس بالمدرسة الصادقية ، وسافر إلى باريس ضمن أول بعثة صادقية للدراسة في فرنسا ، أسس سنة 1888م جريدة "الحاضرة" ، وأسس "المدرسة الخلدونية" سـنة 1896م ؛ التي كان أهم أهدافها تعليم ما لا يدرس من العلوم في جامع الزيتونة ، مثل التاريخ والجغرافيا والاقتصاد السياسي والفيزياء والكيمياء ، وفن الرسم ، وكان البشير صفر يدرّس مجـانا في الخلدونية

---

[76] - **عبد الله العقيل** : من أعلام الحركة والدّعوة الإسلاميّة المعاصرة . ص 633

[77] - **عمر رضا كحّالة** : معجم المؤلّفين . بيروت ، دار إحياء التّراث العربيّ ، د .ت ،ج 7 ص 53

[78] - **مجموعة مؤلفين** : المنجد في اللغة والإعلام . ص 326

دروس الجغرافيا والتاريخ ، ومن خلالها يشرح أهداف الاستعمار والأخطار المحدقـــة بالعـــالم العـــربي الإسلامي)[79] .

أما في المغرب الأقصى فأهم من رفع لواء الإصلاح (السلطان سليم بن سيدي محمد بن عبد الله أحد مفاخر ملوك المسلمين في القرن الثاني عشر ، حيث كان هذا الإمام علامة مشاركا تحريرا سلفيا ، مصلحا كبيرا ، عاملا بعلمه ، آمرا بالمعروف ، ناهيا عن المنكر ، داعيا للسنة ، محاربا للبدعة ، معلمـــا للأمة ما علمه الله ، منفذا فيها لأحكام الله)[80] .

ومن الذين اهتموا بقضايا الإصلاح في المغرب الأقصى حديثا محمد بن الحاج الطيب الحســـني الوزاني ، إذ (كتب في الإصلاح ، وهو من أشراف مدينة مكناس الوزانيين بالمغرب الأقصى)[81] .

ويعد المصلح الشيخ محمد الدين الخطيب (أحد رجال النهضة العربية الإسلامية الحديثة)[82] ؛ ("1886–1969" : هو المحقق الصحفي ، كتب في قضايا الإصلاح ، وعمل في تحريـــر جريـــدة "المؤيد" ، واشتغل في"الأهرام" ، ورأس تحرير مجلة"الأزهر" ، وحرر في جريدة "القبلة" ، وتـــولى إدارة جريدة "العاصمة" ، وشارك في الثورة العربية الكبرى ، وفي اللجنة الوطنية العليا ، اســـتقر في مصـــر ، وأصدر مجلتيه : "الزهراء" و "الفتح" ، وكان من أوائل مؤسسي جمعية الشبان المسلمين ، وأنشأ المطبعة السلفية ومكتبتها ، فأشرف على نشر عدد كبير من كتب التراث وغيرها ، ومن أهم مؤلفاته : "تاريخ مدينة الزهراء بالأندلس" ، و"الأزهر ، ماضيه وحاضره" و"الرعيل الأول" و"الحديقة" وغيرها)[83].

---

[79] - **صالح خرفي** : المدارس والمعاهد العليا ، دورها في النهضة العربية الحديثة . المجلة الجزائرية للتربية ، عدد 4 ، ص 42 و 62 - 63 و 68

[80] - **عمار طالبي** : ابن باديس حياته وآثاره . ج 3 ، ص 135

[81] - **مجموعة جريدة البصائر** (ع 13 ص 4) ط ، ص 104

[82] - **صالح خرفي** : المدارس والمعاهد العليا ، دورها في النهضة العربية الحديثة . المجلة الجزائرية للتربية ، عدد 4. ص 43

[83] - **محمد مطيع الحافظ** ، **نزار أباظة** : تاريخ علماء دمشق في القرن الرابع الهجري . دار الفكر ، دمشـــق ، عـــام1986 م ، ج 2 ، ص 847 - 848

لقد برز جيل رسالة الإصلاح في العالم الإسلامي كله ، و لم يكن هذا الجيل من أبناء العـــرب فحسب ، إذ برز من غير العرب مصلحون أبلوا بلاء حسنا في الدعوة الإصلاحية إلى تطهـــير الـــدين الإسلامي من الخرافات والبدع ، ومنهم (المصلح الإسلامي حسين أحمد الفيض آبادي الهندي ، الذي أسس مدرسة العلوم الشرعية بالمدينة المنورة سنة 1920م)[84]

[84] - **صالح خرفي** : المدارس والمعاهد العليا ، دورها في النهضة العربية لحديثة . المجلة الجزائرية للتربية ، عدد 4 . ص 49

الفصل الأول :

التجربة الاصلاحية في الجزائر

بين النظرية والتطبيق

أولا : نشوء الخطاب الإصلاحي في الجزائر :

1- الواقع الجزائري في ظل الحملات الاستعمارية :

أ – الحياة السياسية والاجتماعية :

إن للجزائر موقعا إستراتيجيا دوليا متميزا ، فهي البوابة الحصينة لقارة إفريقيا والوطن العربي ، وهي سر من أسرار وحدة المسلمين في التصدي للهجمات الغربية وأطماعها ، إذ (استطاعت الجزائر في الربع الأول من القرن السادس عشر وبفضل امتلاكها أسطولا بحريا قويا أن تفرض إرادتها على الدول الأوروبية ، وترغمها على دفع إتاوات مقابل ضمان الأمن والسلام لمراكبها في حوض البحر الأبيض المتوسط ، كما امتازت الجزائر بغنى اقتصادي كبير يرجع إلى ثرواتها الزراعية والحيوانية)[85] ، مما حرك أطماع الإسبانيين والانجليز والفرنسيين في الجزائر ، فبعد (فشل الحملة الاسبانية على مدينة الجزائر في أوت عام 1601م ، التي وضع خطتها قرصان فرنسي اسمه روكي ، أخذ الفرنسيون يعتدون على السفن الجزائرية ، فرد الرياس الجزائريون بالمثل على السفن الفرنسية ، لكن الجزائر تعرضت إلى حادث أليم فقدت بسببه نصف أسطولها البحري ، في كارثة "لافلون" ، فعندما استنجد الباب العالي بأسطول الجزائر لمساعدته في حروبه في منطقة البحر الأدرياتيكي بشرق المتوسط ، ذهب علي بتشيني على رأس هذا الأسطول ، لكن العواصف الهوجاء اضطرته إلى الاحتماء ببعض موانئ إيطاليا: "لافلون"، إذ تعرض لهجوم غادر أدى إلى تحطيم نصف الأسطول ، ومقتل كثير من قادته)[86] ، واستمرت (محاولات الغرب للهجوم على الجزائر ، وتحطيم قوتها العسكرية مستندين من ضعف الخلافة العثمانية المتزايد ، والانقسامات المتعددة على المستوى الاجتماعي بالشمال الإفريقي عامة حيث أصبح يعيش حالة صراع مستمرة نتيجة لسوء تدبير الحكام وسياستهم القائمة على المصلحة الشخصية ، واستطاعت الجزائر أن تتغلب على عجز الميزانية العامة نتيجة سياسة التقشف التي انتهجها الداي ، كما استطاعت تحرير

---

[85] - **صالح فركوس** : المختصر في تاريخ الجزائر ، من عهد الفينيقيين إلى خروج الفرنسيين (814 ق.م - 1962م) . دار العلوم للنشر والتوزيع ، عنابة ، السنة 2002 م ، ص83 و 89

[86] - **صالح فركوس** : المرجع نفسه . ص93 و 96

المرسى الكبير ووهران من الاحتلال الاسباني) [87] ، و لم تعد للخلافة العثمانية الضعيفة سلطة على الجزائر ، لكن ظاهرة الاستبداد وسياسة الضرائب التي انتهجها الدايات قد عادت على الجزائر بالويلات والفتن الأهلية وسفك الدماء ، وكثر التمرد ونهب الثورات على الحكم التركي المتعسف ، إضافة إلى معاداة شيوخ الزوايا ومريدي الطرق للحكام بعد حرمانهم من الامتيازات والعطايا التي كانوا يحصلون عليها ، وحدثت مجاعات من كثرة الأهوال والفتن ، وكثر قطاع الطرق ، وارتفعت الأسعار بشرق البلاد نتيجة الجفاف الذي حل به ، وانتشرت الأوبئة في عامة الجزائر ، ونشأت طبقة دخيلة بالبلاد غالبيتهم من الجالية اليهودية ، وسيطر بوخريص وبوشناق اليهوديان على التجارة الخارجية الجزائرية للحبوب ، وعملا على تذبذب العلاقات السياسية بين الجزائر وفرنسا ، إذ أقنعا اليهوديان فرنسا بتجميد ديون الجزائر عليها ، بالرغم من رسائل الداي إلى ملك فرنسا الذي لم يجب على تلك الرسائل ، ليهين الداي ، إذ برر القنصل الفرنسي دوفال عدم إجابة الملك على رسائل الداي ؛ أنه لا يجيب مَن دونه ، فغضب الداي ، وقال لدوفال اخرج يا ملعون مشيرا بمروحته إلى دوفال فلمست وجنته ، فاتخذت فرنسا حادثة المروحة ذريعة لاحتلال الجزائر [88]

ولأن (الجزائر بهذه المكانة العظيمة ، فقد كانت الحملة العسكرية الفرنسية على الجزائر بمثابة رهان على تشتيت صف المسلمين وتفريقهم)[89]

إن فرنسا طيلة سبعين عاما" 1830- 1900م" قد (نهبت الجزائريين وسلبتهم وطاردتهم وشردتهم لتعمر القطر الجزائري بالايطاليين والمالطيين والاسبانيين الذين جاءوا يحملون أهدافا متعددة ، كان بعضهم بدافع المغامرة الاقتصادية ، وكان البعض الآخر بحوافز وطنية واجتماعية وسياسية متعددة ، ومن الثابت أن احتلال الجزائر لم يكن مجرد نزهة عسكرية لجيش الاحتلال ، بل إن مقاومة الشعب

---

[87] - **صالح فركوس** : : المختصر في تاريخ الجزائر ، من عهد الفينيقيين إلى خروج الفرنسيين (814 ق.م - 1962م) . ص100 - 102

[88] - **صالح فركوس** : المرجع نفسه . 104 - 108 ص 136- 137

[89] - **بسام العسلي** : الأمير الخالد الهاشمي الجزائري ، انطلاقة الاستعمار من الجزائر إلى العالم الإسلامي . دار النفائس ، بيروت ، لبنان ، السنة 1984م ، ص 15

الجزائري لهذا الغزو قد امتازت ببطولة نادرة ، غير أن الشيء الذي لا سبيل إلى نكرانه ، هو أن فرنسا كانت سنة 1830م قوية الجانب في الميدان العسكري ، ومن الزيف العسكري والمتناقضات الصارخة أنهم يدعون أن الجزائر كانت جوهرة ضائعة ويصفونها بالتقدم في شتى المجالات الحضارية في آن واحد ، لكن الهدف الذي كان نصب عين الاحتلال هو تأهيل الجزائر وتعميرها بمستوطنين أوروبيين يحلون محل الجزائريين ، فاستمرت عملية الاستيطان الأوروبي في الجزائر من1800م إلى1847م)[90] .

واستمر الغزو الثقافي ومحاولة تحطيم الشخصية الوطنية ، إذ (عزز الاحتلال غزوه العسكري للجزائر بغزو ثقافي فكري محاولة منه تحطيم الشخصية القومية للشعب الجزائري) [91] ، وتعد (ثورة الأمير عبد القادر في وجه الحملة الفرنسية على الجزائر ، "1930-1847م" ، الوقفة العربية الأولى في وجه أول هجمة للأطماع الغربية في الوطن العربي)[92] .

لقد عمل الاحتلال الفرنسي على (القضاء على معظم مراكز الثقافة العربية واللغة العربية التي تتمثل في المدارس والجوامع والزوايا التي كانت قائمة في البلاد قبل الاحتلال فحول بعضها إلى معاهد للثقافة الفرنسية وسلم بعضها إلى الهيئات التبشيرية المسيحية لنشاطها في هدم عقيدة الجزائريين وهد البعض الآخر بدعوى إعادة تخطيط المدن الجزائرية ، فقبل عام1837م كان في قسنطينة وحدها ثلاثمائة مدرسة وزارية لم يبق منها بعد الاحتلال إلا ثلاثين مدرسة فقط ، كما نهب الاحتلال التراث الثقافي العربي الإسلامي الذي عثر عليه في المكتبات الجزائرية مثل المحفوظات والوثائق والكتب في الفترة الممتدة بين 1830- 1900م ، فضلا عن المكتبات والكتب التي أحرقوها أو بعثروها كما فعلوا بمكتبة الأمير عبد القادر قائد المقاومة الجزائرية في سنوات الاحتلال "1832 - 1847" ، بعد أن أسره الاحتلال الفرنسي عام 1847 م)[93]

---

[90] - **عبد الكريم بوالصفصاف** : جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في تطور الحركة الوطنية الجزائرية 1931 – 1945م . ص 27 - 28

[91] - **عمار طالبي** : ابن باديس حياته وآثاره . دار المغرب الإسلامي 1983 ، ط 2 ، ج 3 ، ص 94

[92] - **صالح خرفي** : المدارس والمعاهد العليا ، دورها في النهضة العربية الحديثة . المجلة الجزائرية للتربية ، عدد 4 ، ص 58

[93] - **عمار طالبي** : المرجع السابق . ص 95 - 96

ومنذ ذلك العام (خضعت الجزائر لقوانين الانديجينا CODE DE L'INDIGEN ؛ القوانين الاستثنائية الخاصة بالسكان الوطنيين ، وأهمها أن للحاكم سلطة في توقيع العقوبات على الجزائريين دونما محاكمة من أجل الحفاظ على الأمن العام ، وفرض عقوبات جماعية صارمة على المنطقة التي تحدث فيها جريمة ما ، باعتبار أن سكان تلك المنطقة مسؤولون مسؤولية جماعية عن الجريمة ...)[94]

لقد كان الاحتلال ينهش لحم الأمة بالسلب والنهب بكل المعاني التي يحملها اللفظان ، إذ (كان يستعمل في ذلك أرفع النظريات العلمية لأحط غاياته وأهدافه)[95] ، ومن ذلك أن (مارست فرنسا سياسة الإبادة الجماعية للجزائريين)[96] ، أما من الناحية الاقتصادية فقد عاش المجتمع الجزائري أسوا مظاهر الفقر والحرمان ، إبان الاحتلال الفرنسي لاسيما في سنوات الثلاثينيات ، وقد صور مترجم الإدارة الفرنسية غورجو هذه المأساة بالقول : (إننا لا يمكننا أن نتصور حالة الفقر والحرمان الشنيعين التي يتخبط فيها الجزء الكبير من الأسر في القبائل من أقصى الجزائر إلى أقصاها الآخر)[97] ، و أصبح (المستوطنون يسيطرون على معظم الأراضي وجميع وسائل الإنتاج، كما عمل الاحتلال من الناحية الثقافية على تحطيم المدارس وتحويل المساجد إلى كنائس تمارس فيها الطقوس المسيحية ، فانحط المستوى العلمي انحطاطا كبيرا ، وحاولت السلطات الفرنسية أن تعوض هذه الكتاتيب بالمدارس الابتدائية ، لكن تلك المدارس لم تف بحاجات الراغبين في التعليم ، إذ لم يكن عدد التلاميذ أكثر من ستين ألفا من مجموع سبعمائة وخمسين ألف طفل في سن التعليم ، إذ إن التعليم في هذه المدارس لم يكن قوميا ولا وطنيا ولا دينيا إسلاميا ، بل إنهم كانوا يدرسون تاريخ عظماء فرنسا)[98] ،

---

[94] - **تركي رابح** : الشهاب - لسان الإسلام والعروبة والوطنية في الجزائر (1925- 1935) - دورها في نهضة الجزائر الحديثة . مجلة الثقافة ، عدد 81 ، ص 185

[95] - **مالك بن نبي** : وجهة العالم الإسلامي ، مقدمة الكتاب لمحمد المبارك .دار الفكر ، دمشق ، سوريا ، سنة1986م ، ص9-10

[96] - Jurquet Jacquess : La révolution nationale algérienne et le parti communiste français . éditions du centenaire*2eme* éditions . Paris . année 1979 . P 20 et suivante

[97] - **الجيلالي صاري** ، محفوظ قداش : الجزائر في التاريخ ، المقاومة السياسية 1900- 1954 ، الطريق الإصلاحي والطريق الثوري ، ترجمة عبد القادر حراث . المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، عام 1987 ، ص198- 199

[98] - **عبد الكريم بوالصفصاف** : جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في تطور الحركة الوطنية الجزائرية 1931- 1945م . ص 35 و41 - 42.

فانتشرت (الأمية بين مختلف طبقات الشعب ، و لم تتجاوز نسبة التعليم 8 % بين أطفال الجزائر في المدارس التابعة لحكومة الاحتلال من عدد الأطفال الذين هم في سن الدراسة الابتدائية)[99] ، مما يفسر محاولة الإدارة الفرنسية طمس الشخصية الجزائرية الوطنية ، والعمل على عزل الوطنيين عن العالم الخارجي ، فكان هذا سببا رئيسا في ظهور بعض المتنورين الجزائريين من ذوي الثقافة العربية من جهة ، والثقافة الغربية من جهة أخرى ، وكان أولئك العلماء (المتنورون هم العلماء المصلحون الذين قضوا زهرة شبابهم في الحجاز وسوريا وتونس ومصر ... عادوا إلى الوطن ، وعملوا على توحيد الجهود ، وتكتيل القوى الحرة للقضاء على كل مظهر من مظاهر الانحراف التي تخدم الاستعمار وتساعده على البقاء في الجزائر على حساب الشخصية الوطنية ، فكانوا هم الذين أحيوا حقيقة الإسلام بالجزائر باثين فيه وعيا دينيا وقوميا)[100]

ب- الحياة الدينية :

كانت بداية الصوفية في الجزائر إيجابية ، حيث اتسمت (منذ بدء الاحتلال الفرنسي للجزائر بالمحافظة على الإسلام والتراث العربي ونشر الثقافة العربية الإسلامية والرياضة الروحية ، وقام بعض رجال الصوفية بمواجهة الاحتلال ، إذ إن معظم الثورات خلال القرن التاسع عشر ضد الحكم الفرنسي في الجزائر كانت قد أعدت ونظمت ونفذت بوحي من الزوايا ، وقد كان الأمير عبد القادر أحد رجالاتها ، حيث انتسب إلى الطريقة القادرية ، وهكذا كانت الزوايا الصالحة في الجزائر مصدرا للعلم والهداية ، وحماية الدين والصلاح ، ومنبع اليقظة والنهضة ... وعونا للإصلاح ، ومنبتا لثورات عديدة في الجزائر على الاستعمار) [101]

---

[99] - **تركي رابح** : الشهاب – لسان الإسلام والعروبة والوطنية في الجزائر (1925- 1935)- دورها في نهضة الجزائر الحديثة . مجلة الثقافة ، عدد 81 . ص186

[100] - **عبد الكريم بوالصفصاف** : جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في تطور الحركة الوطنية الجزائرية 1931- 1945م ص 196

[101] - **محمد علي دبوز** : أعلام الإصلاح في الجزائر . ج 1 ، ص 19

لكن إذا (كانت بعض الزوايا رمزا للعلم والدين ، والجهاد ضد الغزاة الأجانب ، فإن بعضها سرعان ما انحرف عن مبادئها وأهدافها ، وانضم إلى الزوايا الفاسدة مع سقوط البلاد تحت وطأة الاستعمار ، وأضحى عميلا للاحتلال ومعينا له على الجزائريين ، وتحول جلها إلى إفساد العقائد ونشر الخرافات والأباطيل ، ففرقت وحدة الأمة وتماسكها الاجتماعي حتى أصبحت الجماهير الجاهلة تعتقد في شيوخ الطرق الصوفية بأنهم القابضون لأرواح البشر ، وهنا تدخل الزاوية في مرحلتها الثانية ، وكانت غاية هذه الزوايا هي الاهتمام بجموع الفقراء المنتشرين في المساجد والزوايا وإصلاح حالهم ، وقد كانت بعض الزوايا تنشر عقائد مخالفة للدين) [102]

ومن ذلك أنْ (كان شيخ الزاوية يوحي لأتباعه بأن قراءة "صلاة الفاتح" أفضل من تلاوة القرآن ستة آلاف مرة ، ويزعمون أن صلاة الفاتح من كلام الله القديم ولا يترتب عليها ثواب إلا لمن اعتقد أنها كذلك ، وأن صلاة الفاتح علمها النبي لصاحب الطريقة و لم يعلمها لغيره ، وأن مؤسس الطريقة أفضل الأولياء)[103]

وزعم بعض الطرقيين أن (كل من انتسب إلى تلك الطريقة يدخل الجنة بغير حساب ... إلى آخره من الخرافات والأباطيل التي لا تخرج في معناها عن الكفر والإلحاد ، ولا يصدقها العقل ، وظلت الطرق الصوفية في هدوء ظاهري تام تسيطر على الحياة الدينية والاجتماعية ، وإذا كانت الثورات الشعبية ضد الحكم الفرنسي في الجزائر إبان القرن التاسع عشر قد نظمت ونفذت بوحي من بعض هذه الطرق ، فإن المنحرفة منها أصبحت بعد حين من الدهر أداة طيعة في يد الإدارة الاستعمارية ، والحرس الأمين على المصالح الفرنسية ، حتى صار "الكولون" ، يَعتبرون رجالَها الممثلين الحقيقيين للإسلام الصحيح المتسامح بالمقارنة مع طائفة العلماء ، رغم أن الطرق الصوفية هي التي نشرت في الإسلام تقديس الأولياء .بما نسبت لبعض الشخصيات من نفوذ خارق للعادة ، وهو التقديس الذي حل في

---

[102] - **عبد الكريم بوالصفصاف** : جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في تطور الحركة الوطنية الجزائرية 1931– 1945م ، ص 188

[103] - **محمد علي دبوز** : أعلام الإصلاح في الجزائر . ج1 ، ص 21- 22

الغالب محل عبادة الآلهة القديمة)[104]

إن كلا من الاحتلال الفرنسي والصوفية الجديدة التي انحرفت عن دين الحق إلى دين الباطل ، قد عمل على تجهيل الشعب ونشر الأمية ، إذ (كان من أهداف الاستعمار القضاء على الدين والأخـــلاق الفاضلة ، وكل المقومات الحضارية للشعب الجزائري ، ووجد في الزوايا ضالته المنشودة يسخرها لتحقيق أغراضه ، وتنفيذ مشاريعه ... فكان - بذلك- العدوّ الأول في الجزائـــر بعـــد الاســـتعمار هـــم الطـــــرق الصوفية ، الذين استرفوا باسم الدين كل الطاقات الفكرية والمادية للشعب الجزائري الواقع بين مخالب الاستعمار)[105]

لكن حال الجزائريين المسلمين منذ القرن الثامن عشر كانت تدعو إلى الأسى والأسف ، لبعـــد المجتمع الجزائري عن أساس الإسلام وعن أصوله العميقة ، ونقصد بذلك بعدهم عن التوحيد ، ولعـــل ذلك راجع إلى ما كانت عليه الأمة العربية والإسلامية من انحطاط في دينها ، قال المؤرخ الكبير لوثروب ستودارد في كتابه "حاضر العالم الإسلامي" : ("في القرن الثامن عشر كـــان العالم الإسلامي قد بلـــغ من التضعضع أعظم مبلغ ، ومن التدني والانحطاط أعمق دَرَكَة ، فالدين قد غشيته غاشـــية ســـوداء ، فألبست الوحدانية التي علمها صاحب الرسالة سجناً من الخرافـــــات وقشور الصوفية ، وكثر عديـــد الأدعياء والجهلاء)[106]

---

[104] - **عبد الكريم بوالصفصاف** : جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في تطور الحركة الوطنية الجزائرية 1931– 1945م . ص 189- 190

[105] - **عبد الكريم بوالصفصاف** : المرجع نفسه . ص 190-191

[106] - **لوثروب ستوتارد** : حاضر العالم الإسلامي . تعليقات شكيب أرسلان . د ت ، ج 1، ص 259

ثانيا : عوامل ظهور الخطاب الإصلاحي وتطوره :

هناك جملة من العوامل ساعدت على ظهور الخطاب الإصلاحي في الجزائر وتطـــوره ، يمكـــن تصنيفها ضمن قسمين رئيسين :

أ - العوامل الخارجية :

العوامل الخارجية التي أسهمت بشكل واضح في ظهور الخطاب الإصلاحية هي العوامل الإسلامية والعالمية التي تمثلت في (حركة الفكر المتطورة التي برزت في شتى أنحاء العالم أثناء الحرب العالمية الأولى ، إذ كان لها الدور الكبير في ظهور هذا الخطاب)[107] ، ونتجت هذه الحركة الفكرية عن (اليقظة العامة التي دبت في أرجاء العالم الإسلامي والعربي ومن بينها الجزائر ، نتيجة احتكاكه بأوربا ثقافيا وسيـــاسيا وعسكريا ، ابتداء من النصف الثاني للقرن التاسع عشر ، ودبت تلك اليقظة في الشعب الجزائري نتيجة للحرب العالمية الأولى ، وتطلع الجزائريين إلى الإصلاح الشامل الذي ينهض بهم دينيا واجتماعيا وثقافيا ، وسياسيا من الوضعيـــة السيئة التي كانوا عليها قبل بداية الحرب)[108] ، حيث شهدت سنة (1918م تطورا عميقا في العالم الإسلامي خاصة تركيا ومصر ، ويرجع هذا التطور إلى أوضاع اقتصادية وسياسية جديدة ، أما في الجزائر فقد تميزت هذه السنة بانتشار التعليم سواء باللغة العربية أوالفرنسية وكذا التعليم الإسلامي ، وأبدى الشباب ميلا إلى المدارس والكليات الفرنسية)[109]

وبانتشار التعليم انتشر الوعي ، ومن ثم فقد (بزغ فجر الحركة الإصلاحية في الشرق الأدنى ، وأخذ المثقفون في العالم الإسلامي يتطلعون إلى مبادئها وأهدافها ، فانجذب بعض علماء الجزائر إلى هذا الاتجاه الجديد ، وحاولوا تطبيقه من أجل إصلاح المجتمع الذي عرف انحطاطا خلقيا وجفافا ثقافيا ، كما أن ظهور الشيخ محمد عبده زعيم الحركة الإصلاحية في الشرق الأدنى كان له تأثير إيجابي واضح علـــى أفكار المثقفين الجزائريين أكثر من غيره من المصلحين المعاصرين ، على أن الفضـــل بعده قد أحرزه

---

[107] - **عبد المالك مرتاض** : فنون النثر الأدبي في الجزائر . ص 45

[108] - **تركي رابح** : الشيخ عبد الحميد بن باديس والحركة الإصلاحية السلفية في الجزائر . مجلة الثقافة ، عدد 68 ، ص37

[109] - **عبد الكريم بوالصفصاف** : جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في تطور الحركة الوطنيـــة الجزائريـــة 1931–1945م . ص390

رشيد رضا ، وقد استطاع الشيخ محمد عبده بحركته الإصلاحية التي زرع بذرتها في العالم الإسلامي أن يعيد لأذهان الجزائريين فضل الإسلام المعاصر ، ونتائج جهود الجماعة الإسلامية على مرّ السنين والعصور ، ولاسيما أن دعوته لم تجد في العالم الإسلامي صدى ما وجدته في الجزائر بسبب الأوضاع المأسوية التي كانت تعاني منها الجماهير الجزائرية)[110] .

وشهدت الجزائر في عام (1903 م زيارة الشيخ محمد عبده التاريخية)[111] ، فكان لتلك الزيارة الأثر البالغ في نفوس الجزائريين الذين كانوا في حاجة ماسة إلى فكرة رشيدة ترشدهم إلى طريق الحق ؛ طريق الإصلاح ، فعمقت تلك الزيارة (أفكار الإصلاح بصورة مباشرة في نفوس المثقفين الجزائريين ، الذين أصبحوا يعملون على استنباط البعد الحقيقي للأخذ بهذه الفكرة الإصلاحية الحديثة)[112]

إن تلك (الزيارة الشخصية للشيخ محمد عبده كانت كفيلة بتعزيز بدايات النهضة الإصلاحية الحديثة في الجزائر ، والوصول بها إلى حد الحزب الديني المصلح ، حتى إن الشيخ رشيد رضا قال - وهو يؤرخ لزيارة الإمام محمد عبده أقطار المغرب العربي في مستهل القرن العشرين - : "وقد وجد له في تونس والجزائر حزبا دينيا ينتمي إليه من حيث لم يكن يعلم")[113]

كانت تلك (الآثار الإصلاحية التي أبدعها الشيخ محمد عبده ، وأفكاره تتسرب إلى الجزائر عن طريق مجلة المنار)[114] ، فكان (محمد عبده الرجل الذي أوقد في أوساط المثقفين التقليديين في الجزائر شعلة الإسلام ، وجسد روحه في الدعوة إلى ثورة فكرية ، تزعزع أركان الجهل وتقضي على مصادر الجمود ، ذلك أنه قد دعا المسلمين للرجوع إلى بساطة الإسلام الأولى ، والتأمل من منبعي الدين اللذين مازالا على حيويتهما وهما : القرآن والسنة ، وعمل على التوفيق بين الدين والعلم الحديث ، فبين أن

---

[110] - **عبد الكريم بوالصفصاف** : جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في تطور الحركة الوطنية الجزائرية 1931–1945م . ص 54 - 55

[111] - **عمار طالبي** : ابن باديس حياته وآثاره ، ص 25

[112] - **عبد الكريم بوالصفصاف** : المرجع السابق . ص 55

[113] - **صالح خرفي** : المدارس والمعاهد العليا ، دورها في النهضة العربية الحديثة . المجلة الجزائرية للتربية ، عدد 4 ، ص37

[114] - **البشير الإبراهيمي** : سجل مؤتمر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين . المطبعة الجزائرية الإسلامية ، قسنطينة ، 1935م ، ص 40

الحقائق التي جاء بها العلم الحديث لا تتناقض والقرآن)[115]

إن أهم العوامل التي ساعدت على ظهور الخطاب الإصلاحي هي بروز أفكار المصلحين الأولين ولاسيما جمال الدين الأفغاني والشيخ محمد عبده في الإصلاح العلمي والديني حين دعا المسلمين في مشارق المعمورة ومغاربها للرجوع إلى منابع الإسلام الصافية الصحيحة ، ويشارك الشيخ رشيد رضا الشيخين الأفغاني ومحمد عبده ، في تلك الأفكار الإصلاحية ، إذ إن الشيخ رشيد رضا (قد ثار على الأوضاع الاجتماعية والدينية المتردية ، ومزق ضباب الخرافات والبدع التي أحاقت بالدين نتيجة لأعمال الزوايا والطرق الصوفية المنحرفة عن الإسلام الصحيح)[116]

وإذا كان بعض الباحثين يربطون الحركة الإصلاحية بمصادر شرقية باعتبار أن جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده من الرواد الأوائل ، فإن ابن نبي يذهب بها إلى أبعد من ذلك ، (فهو يرجعها إلى الوهابية التي هي ثمرة تعاقب المصلحين منذ ابن تيمية في القرن الثامن للهجرة ، وكان من حسن حظ الأفغاني أن فكرته في النهوض بعثت الحركة الاصلاحية في كل مكان ، وكشفت عن الشعوب الإسلامية غطاءها ؛ ولقد بلغ تأثير تلك القوة الفعالة الجزائر ، فأخذت منها بنصيب ، ورأى ابن نبي أن الفكرة الوهابية هي من أنقذت العالم الإسلامي ، وقد اضطلع بهذه الحركة في بداية الأمر علماء جزائريون من بينهم : مفتي مدينة قسنطينة الشيخ المولود بن الموهوب تلميذ عبد القادر المجاوي ، والشيخ مبارك الميلي ، وأبو يعلى الزواوي ، والشيخ عبد المجيد بن بريد حم بستانجي ... و استطاع الشيخ مولود بن الموهوب أن يكشف لأجيال المدرسيين أفكار الإصلاح التي وجدوا أنفسهم بها بعد ، منخرطين في الحركة الإصلاحية الناشئة بالجزائر)[117]

---

[115] - **عبد الكريم بوالصفصاف:** جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في تطور الحركة الوطنية الجزائرية 1931– 1945م.ص56

[116] - **البشير الإبراهيمي** : سجل مؤتمر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين . المطبعة الجزائرية الإسلامية ، قسنطينة ، 1935م . ص 34

[117] - **محمد العربي مريش** : مالك بن نبي والاتجاه الحضاري في الحركة الوطنية بين الحربين 1920– 1938م . مجلة الثقافة ، عدد 85 ، ص 205- 206 و 208

ومن عوامل ظهور الخطاب الإصلاحي أيضا : (عودة أبناء الجزائر المخلصين من الحجاز منبع الإسلام ، ومنبت الدعوة إلى الإصلاح الإنساني ، بعد أن تشبعوا بالأفكار الناضجة الحديثة هناك ، واختمرت في أفكارهم وعقولهم ، وتأثروا بها ، وعادوا إلى أرض الوطن يحملون معهم هذه الأفكار الجديدة)[118] ، وإن هذه الفئة التي رجعت من الحجاز بالهدي المحمدي الكامل ، قد تأثرت بالإصلاح تأثرا مباشرا ، مستمدا قوته وحرارته من كلام الله وسنة رسوله مباشرة ، و لم تكن قط متأثرة بحال غالبة في الحجاز ، فلم يكن للإصلاح في ذلك الوقت شأن يذكر في الحجاز إلا في مجالس محدودة ، وعند علماء معدودين ، حيث أوضح الشيخ الإبراهيمي خطر حال الحجاز بالنسبة لأمر دينها ، إذ بدأ الشرك ينتشر فيها ، وابتعدت عن الإصلاح في مجالسها إلا قليلا ، فقال : ("ولو شاء ربك لرمي الجزائر بقافلة من الحجاز مضللة ، تتخذ من حرم الجوار شركا جديدا ، وتجعل منه غُلا في الأعناق شديدا ، كما رماها بطائفة من الأزهريين الجامدين فزادها قرحا على قرح")[119]

كما كان لجامع الزيتونة وجامع الأزهر فضلا كبيرا على الحركة الفكرية في الجزائر ، وقد أبرز الشيخ مبارك الميلي فضل الزيتونة العام على جميع المعاهد في المشرق والمغرب ، وفضلها الخاص على أبناء الجزائر ، ويؤكد شرف الانتساب إلى هذا المعلم ، ويعبر عن مسؤوليته ، ومسؤولية كل خريجي هذا المعهد تجاه كل نشاط تقوم به الزيتونة ، قائلا بهذا الصدد : ("جامع الزيتونة أقدم الكليات الإسلامية الثلاث ، ومنه انبعث الضوء نحو المغرب فتأسس بفاس جامع القرويين ، ثم انفصل منه نور نحو المشرق ازدهر بالقاهرة فكان الجامع الأزهر ، فلجامع الزيتونة الفضل العام على العالم الإسلامي في حياته الفكرية ثم له علينا الفضل بصفة خاصة ، انتفعنا بما كتب لنا من علوم الدين وسائله ، لذلك تجدنا

---

[118] - **عبد الكريم بوالصفصاف** : جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في تطور الحركة الوطنية الجزائرية 1931– 1945م . ص61 - 62

[119] - **صالح خرفي** : المدارس والمعاهد العليا ، دورها في النهضة العربية الحديثة . المجلة الجزائرية للتربية . عدد 4 ، ص 40

نهوى جامع الزيتونة ونعرف له منزلته ، فيسوؤنا ويضعفنا كل ما ينتـــابه من خلل ، ويسرنا ويشـــرفنا كل ما يدركه من شرف")[120]

ب - العوامل الداخلية :

أهم العوامل الجزائرية الداخلية التي أسهمت في ظهور الخطاب الإصلاحي ؛ هي : (محاولـــة الاستعمار الفرنسي القضاء على الثقافة العربية الإسلامية في الجزائر ، ونشاط حركات التبشير المسيحي المحمية من طرف الاستعمار في العمل على تنصير أبناء وبنات الجزائر ، وسياسة الفرنسة ، والتجنيس التي أرادت دولـــــة الاحتلال فرضها على الجزائريين ، ومن ثم رأى المصلحون في الجزائر ضرورة (المحافظة على الشخصية الجزائرية التي أصبحت مهددة بالخطر من طرف الاستعمار وعملائه من دعاة الفرنســـة والاندماج والتغريب)[121] ، خاصة بعد احتفال الفرنسيين بمرور مائة عام على احـــتلالهم الجزائـــر ، وكانت لهذه الاحتفالات الفرنسية سنة 1930م نتائج هامة على اتجاه الحركة الوطنية ، كما أنها أثارت بحدة شعور الوطنيين بالإهانة ... فقد كانت تلك الاحتفالات تصرّح بالعبارات العدائية الـــتي تجعـــل الجزائريين يشعرون بالذل والإهانة في وطنهم ، ومن أمثلة تلك الإهانات أنْ كتبت إحدى المجـــلات الفرنسية : ("إننا معشر الفرنسيين في بلادنا هنا ، في الجزائر ، قد استحوذنا على هذه البلاد ، وبسطنا سلطاننا عليها بالحديد والنار ، إذ لا ينجح أي احتلال إلا بالقوة ... ولما كبحنا جماح الشعب الجزائري استطعنا أن ننظم البلاد ، وهذا التنظيم نفسه يقيم الدليل على تفوق الغالب على المغلوب ؛ أي تفـــوق الرجل المتمدن على الرجل المتخلف ، فأصبحنا أصحاب البلاد الشرعيين")[122] ، ثم إن مرور هذا القرن من الزمن على احتلال فرنسا للجزائر سنة 1930م ، جعل العلماء الجزائريين يتسارعون إلى جمع كلمة الأمة في تنظيم ديني وثقافي واجتماعي ، ففي (غضون الحرب العالمية الأولى رأت هذه النخبة المثقفـــة الانحطاطَ الذي وصل إليه الإسلام في الجزائر بسبب الضعف الذي أصاب المسلمين ، ففكرت بتأسيس

---

[120] - **محمد الصالح الجابري** : المؤرخ الجزائري مبارك الميلي في الصحافة التونسية . مجلة الثقافة ، عدد 102 ، ص 23

[121] - **تركي رابح** : الشيخ عبد الحميد بن باديس والحركة الإصلاحية السلفية في الجزائر . مجلة الثقافة ، عدد 68 ، ص36

[122] - **عبد الكريم بوالصفصاف:** جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في تطور الحركة الوطنيـــة الجزائريـــة 1931– 1945م . ص 85 – 86

منظمة إسلامية لإحياء الدين ، ولكن خروج هذه الفكرة إلى عالم الوجود لم يتحقق إلا في يوم 5 مايو 1931م)[123] ، وهكذا فإن ظهور جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ، قد نتج عن رغبة العلماء المسلمين الجزائريين بنهضة الأمة الجزائرية ورقيها الفكري والحضاري ، ومحاولة منهم للحفاظ على الهوية وترسيخ العقيدة والقيم الأخلاقية في المجتمع الجزائري ، ونشر المعرفة والعلم ، ولعل التعليم هو العنصر الأقوى في محاربة البدع والخرافات ، إذ بالتعليم يتنور الفرد المتعلم ويزداد تمييزه بين الحق والباطل ، و (بالرغم من أن الجمعية قد تعرضت لصعوبات كثيرة بسبب محاربة المستعمِر لها وتضييقه على علمائها ، إلا أنها نجحت في تكوين أجيال جزائرية تؤمن بعروبتها وإسلامها ، وتحافظ على هويتها وانتمائها إلى عالمها العربي والإسلامي)[124]

وجمعية العلماء المسلمين الجزائريين (هي حركة عربية إسلامية إصلاحية تلتقي في أهدافها البعيدة من الناحية الوطنية مع حركة نجم شمال إفريقيا وحزب الشعب الجزائري ، في الدعوة إلى تحرير الجزائر ضمن نطاق الحضارة العربية الإسلامية ، ومن الناحية الإصلاحية تلتقي مع مدرسة التجديد الإسلامي التي ظهرت في العالم الإسلامي في القرن التاسع)[125] ، وبهذا يمكننا القول إن فترة الثلاثينيات قد (كانت الفترة الخصبة بالنسبة للإصلاح)[126] .

و مازالت دعوة الجمعية تشمل العودة إلى منابع الإسلام الصافية المتمثلة في الكتاب والسنة وسلوك السلف الصالح والثورة على الجمود الفكري والبدع والخرافات ومحاربة الجهل والظلم والاستغلال ، إذ حرصت الجمعية على تحقيق جملة من الأهداف تتلخص في : (محاربة الجهل بمختلف

---

[123] - **عبد الكريم بوالصفصاف** : جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في تطور الحركة الوطنية الجزائرية 1931– 1945م . ص 75

[124] - **عبد الله العقيل** : من أعلام الحركة والدعوة الإسلامية المعاصرة. مكتبة المنار الإسلامية ، الكويت ، عام 2001م ، ص 167

[125] - **عمار طالبي** : ابن باديس حياته وآثاره ، ج 3 ، ص 68

[126] - **محمد العربي ممريش** : مالك بن نبي والاتجاه الحضاري في الحركة الوطنية بين الحربين 1920– 1938م . مجلة الثقافة ، عدد 85 ، ص 209

أشكاله وتطهير البلاد من البدع والخرافات التي أحاقت بالدين وخدمة العلم والمسلمين الجزائريين ؛ ولهذا تأسست الجمعية)[127]

إن (لجمعية العلماء أثرا خالدا في النهضة العلمية وبث روح الثقافة في النشء ، وفي إحياء معالم التاريخ الجزائري ، وفي معالجة المجتمع علاجا مباشرا ، ولكن العراقيل الاستعمـــــــارية للجمعية خلال الثلاثينيات قد شغلتها عن القيام بمشاريع عملية هامة لصالح الوطنيين رغم أنها قد أحرزت نجاحا كبيرا في أوساط الجزائريين ، لكن الحركة الإصلاحية ليست هي في الواقع جمعية العلماء ، لأن الحركة الإصلاحية أعم وأشمل وأسبق من جمعية العلماء ، وإن كانت هذه الأخيرة نتاجا للأولى ، لأنه بعد قيام جمعية العلماء وظهورها كمنظمة قوية ، لم يكن جميع المصلحين قد انضموا إليها بل إن بعضهم ظل خارجا عنـــها ، والبعض الآخر قد خرج منها مثل الطيب العقبي ...)[128]

كما كان (للشيخ عبد الحميد بن باديس دور جليل هو الآخر في نشأة الخطاب الإصلاحي ، بسبب انطلاقته الكبرى والقوية في التعليم وإلقاء الدروس على العامة من الناس ، لتوعيتهم بأمور دينهم وتحسين لغتهم العربية)[129] ، وقد (ألقى دروسه لعدة سنوات في الجامع الأخضر بقسنطينة داعيـــا إلى الإصلاح ، ونبذ البدع ، ومقاومة الخرافات والجمود ، وتحرير الفكر الجزائري من سيطرتهما)[130]

وتدخل في عوامل نشأة هـــذا الخطـــاب أيضـــا الحركـــات الصـــوفية الـــتي زادت مـــن نشاطها ، مكتسحة بفكرها الصوفي الخرافي جميع المدن الجزائرية ، ومعظم أرياف الجزائـــر وقراهـــا ، فزعمت معرفة الغيب من باب الكرامات ، فامتصت مالَ كثير من الجزائريين موهمة إياهم بخدمة الدين والعقيدة ، وإنما كان ذلك تخديرا منها لعقول الناس وخدمة لمصالح الصوفيين المرتزقة ، قال الشيخ مبارك الميلي : "نقول إن المسلمين قد عمهم الجهل وفشا بينهم الدجل وانتشرت فيهم البدع والمعاصي وكثفت

---

[127] - **عبد الكريم بوالصفصاف** : جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في تطور الحركة الوطنيـــة الجزائريـــة 1931- 1945م . ص 121 و 130

[128] - **عبد الكريم بوالصفصاف** : المرجع نفسه ، ص 82 و 137

[129] - **البشير الإبراهيمي** : سجل مؤتمر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ، ص 40

[130] - **تركي رابح** : الشيخ عبد الحميد بن باديس والحركة الإصلاحية السلفية في الجزائر ، مجلة الثقافة ، عدد 68 ، ص36

غفلتهم عن يوم الأخذ بالنواصي"[131] ، وذلك بسبب (انحراف معظم الطرق الصوفية في الجزائر عن جادة الإسلام القويمة حيث أكثروا من البدع في الدين ، بل وتعاون معظمهم مع الإدارة الاستعمارية ضد مصالح بلادهم العليا) [132] ، كما قابلهم الاحتلال بالمثل ، إذ كان (الاحتلال الفرنسي يشجع هؤلاء الصوفيين)[133] ، الذين مثلوا الدين برقصات وشطحات تهول بها العقول وتفقد بها السيطرة على الأجساد ، بممارسات فلكلورية راقصة .

وهكذا شاع الجهل في أوساط المتفيقهين والصوفيين المثقفين بثقافة الهوس الديني ، وشاع الجهل والأمية أيضا في محيط العامة من المجتمع الجزائري ، حتى قال الأستاذ - بجامعة الرباط- محمّد إبراهيم الكتّانيّ رحمه الله لما فرغ من زيارة الجزائر : ("شاهدت من تعاسة المسلمين ودينهم ولغتهم ما لم أكن أتصوّر أنّ الحالة وصلت إلى معشاره : جهل باللّغة العربيّة فظيع، وطمْس لمعالم الدّين شنيع ...")[134]، إضافة إلى ما كان يعانيه المجتمع الجزائري في ذلك الوقت من عسر المعاش ، وتضور الناس جوعا ، حيث عاش المجتمع الجزائري المعاناة بكامل معانيها ، وقد عبرت جريدة عربية عن تلك المأساة التي عاشها الجزائريون بقولها : ("أي قلب حر لا تدميه الحالة التي نحن فيها اليوم ، جهالة سوداء ، فتعاسة ففقر مدقع فافتراق فذهاب إلى هاوية الاضمحلال") [135]

لقد (مضى على هذه الأمة اليائسة أحقاب طوال ، كانت تتخبط في ظلام من الحيرة كثيف ، لا ترى في تلك الأجواء المدلهمة الحالكة إلا غيوما من الأوهام متراكمة ، وسحبا من الخيالات منتشرة ... لا تدري وسيلة تقربها إلى ربها ، غير الفزع إلى سكان القبور ، ومستعمري الأضرحة ، وإذا شعرت بضر مسها هرعت إلى الجدران ، والأنقاض البالية ، والمياه المتحجرة في الحفائر وألوان شتى من الأحجار

---

[131] - **مبارك الميلي** : رسالة الشرك ومظاهره . المطبعة الجزائرية الإسلامية ، السنة 1937م ، ط1 . ص 30

[132] - **تركي رابح** : الشيخ عبد الحميد بن باديس والحركة الإصلاحية السلفية في الجزائر . مجلة الثقافة ، عدد 68 ، ص 36

[133] - **عبد الكريم بوالصفصاف** : جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في تطور الحركة الوطنية الجزائرية 1931 – 1945 م ، ص 190-191

[134] - **محمد إبراهيم الكتاني** : سجل مؤتمر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين . ص 233

[135] - **عبد الكريم بوالصفصاف** : المرجع السابق . ص 87

والأشجار والجذوع والتماثيل داعية لها ، أن تكشف ما بها من ضر ، تاركة الاهتداء بكتاب ربها الذي أضحى مقصورا على التعاويذ والرقيات)[136]

وبالرغم من تلك الظروف الخانقة التي حلّت بالمجتمع الجزائري ، وجعلته خاضعا للاحتلال الفرنسي ، ولأوهام الطرقيين المبتدعة ، وكبلت العقيدة الإسلامية الصحيحة ، وأحلت مكانها الخرافات والبدع والشعوذة باسم الدين ، إلا أن ظهور الخطاب الإصلاحي يبعث الأمل والتفاؤل في زمن اليأس ، بالرغم من الآلام والمآسي وضيق الأزمة ، لكنها الأزمة إذا اشتدت فرجت ، إذ تحرك مع هذه الظروف القاسية الضميرُ الإصلاحي عند العلماء المسلمين الجزائريين ، فكان خطابهم الإصلاحي يشعل نور الأمل في ظلمة الليلة الحالكة .

في ظل هذه الأوضاع عرفت الجزائر في العشرينيات من القرن العشرين حركات إصلاحية تبشر بالفجر الباسم ، والنهضة العلمية والأدبية ، فبدأ الخطاب الإصلاحي يعلي صوته هادفا إلى إعادة صياغة العقل الجزائري وإحياء الضمائر ، وكانت المبادئ التي سار عليها الخطاب الإصلاحي الوسيلة الناجعة لإنقاذ المجتمع الجزائري من مظاهر الشرك وضلالاته ، ومخالب الجهل والفكر الصوفي وانحرافاته .

[136] - **مجموعة جريدة البصائر** . السنة الأولى : - ديسمبر 1935م ، جانفي1937م - ، ص 23

ج- تأسيس الخطاب الإصلاحي :

اجتاحت فرنسا بلاد الجزائر اجتياحا عسكريا سنة 1830م ، مستغلّة في ذلك حال الضعف التي أصابت البلاد ، حتى وقعت تحت الاحتلال الفرنسي مكرهة ، ثم أصدرت فرنسا سنة 1834م أمرا بجعل الجزائر قطعة فرنسية ، وبهذا الأمر أرادت فرنسا أن تطمس هوية الأمة الجزائرية العربية الإسلامية ، ليصبح الشعب الجزائري تابعا ذليلا للثقافة الفرنسية الجزائر ، إن لم نقل عبدا يخدم المصالح الفرنسية ، حتى أوهم الفرنسيون الرأي العام العالمي أن (الجزائر تخضع للسيطرة الفرنسية المباشرة ، بل وتعتبر الجزائر في حيثيات القانون المكتوب من الوجهة النظرية جزءا لا يتجزأ من الوطن الفرنسي ، وبعيدة عن المشرق العربي مهد الإسلام ومنبت فكرة الإصلاح الناضجة)[137]

ولأن في الناس الجبن كما فيهم الشجاعة ، وفيهم الثبات كما فيهم التردد ، وفيهم الإخلاص كما فيهم الخيانة ، وفيهم الصبر والتأني كما فيهم الاستسلام والتسرع ، لم يخل المجتمع الجزائري من هذه الصفات جميعا ، فلا يزال الناس مختلفين حتى يوم القيامة كما أخبر الله عز وجل بذلك في القرآن الكريم * ، ومن ثَمّ فقد عانت الجزائر من خيانة بعض أبنائها بسبب جبنهم ، حين باعوا دينهم وتخلوا عن ثوابتهم بعرض من الدنيا قليل ، و (راحوا يشيعون بين الناس الفتن من البدع والخرافات التي استحدثوها باسم الدين ، وهي أبعد ما تكون عن الدين الحق ، فدبّ اليأس والقنوط والتواكل في المجتمع الجزائري بسبب تلك الأفكار الغريبة عن تعاليم الدين الإسلامي التي تبثها الصوفية المنحرفة بين الناس ، من وحي أطماعها الدنيوية ، ووحي شياطينها الذين تربوا على عرش البدع والشعوذة) [138] ، في وقت يغرق فيه (المجتمع الجزائري في أزمة الفقر الروحي الاقتصادي)[139]، رغم ما يملكه من خيرات الأرض التي تؤمّن جوعه ، ومن أصول العقيدة التي تريح نفسه وتجعلها مطمئنة طيبة ، ولكن الخالق لا يضيّع

---

[137] - **عبد الكريم بوالصفصاف** : جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في تطور الحركة الوطنية الجزائرية 1931 - 1945 م ، ص 51- 52

* - **انظر سورة هود** : آية 118

[138] - **مبارك الميلي** : رسالة الشرك ومظاهره . ص 36

[139] - **صالح فركوس** : المختصر في تاريخ الجزائر ، من عهد الفينيقيين إلى خروج الفرنسيين (814 ق.م-1962م). ص207-208

أحدا من خلقه ، فقد شاء الله تعالى أن يبعث في كل أمة من يحي العقيدة ويزرع الأمل ، ويصلح ما أفسده المفسدون ، فظهر الدعاة الصادقون من علماء هذه الأمة المباركة ، دعاة الإصلاح في الجزائر ، هم من أهل الحق ، فقد تمسكوا بالشريعة الإسلامية التي لم تمر عبر مصفاة المصالح الدنيوية ، التي تغربل كل ما يعطل مصالحها ، ثم تزيد فيها بهارات البدع والفتن والخرافات ، إذ ظهرت العديد من مبادرات الإصلاح الديني في الجزائر ففي (عشية الحرب العالمية الأولى ، سافر جماعة من العلماء الشباب في الجزائر، إلى تونس والمغرب وأرض الحجاز والشام ، لتكوين ثقافتهم العربية الإسلامية في معاهدَ مختصةٍ ، ومن بينهم عبد الحميد بن باديس والبشير الإبراهيمي والطيب العقبي ، وقد تأثر هؤلاء جميعا بالأفكار الإصلاحية)[140] ، التي كان من روادها - إذ ذاك – الشيخ محمد عبده و تلميذه محمد رشيد رضا ، وإثر عودة هؤلاء العلماء الشباب إلى الجزائر هموا إلى طريق الإصلاح ينشرون الوعي بين أفراد المجتمع الجزائري ، ويحاربون البدع ، واتخذوا الإعلام والمدارس والمنتديات وسيلتهم في ذلك ، حتى اهتدى بهم الحال إلى إنشاء جمعية تكون منبرا لأفكارهم الإصلاحية وتوحد جهودهم في صف واحد ، وأسموها جمعية العلماء المسلمين الجزائريين[141] ، إذ تشكلت هذه الجمعية في : (شهر مايو 1931م بالجزائر العاصمة ، وانتُخب الشيخ عبد الحميد بن باديس رئيسا لها ، الذي استطاع أن يفرض شخصيته بالمعرفة والسلوك ، وبعد ذلك نجد "المُرابْطين" ينسحبون من هذه الجمعية ليكوّنوا جمعية علماء السنة ... وهكذا تأسست حركة إصلاحية ، فكان الشيخ عبد الحميد بن باديس هو الرئيسَ ، بجانب مساعديه المثقفين من العرب في مقاطعة قسنطينة ، وهم : البشير الإبراهيمي ، العربي التبسي ، ومبارك الميلي في المرتبة الأولى ، أما الذين يسكنون الجزائر العاصمة ، فهم : الأمين العمودي ، الطيب العقبي)[142] .

---

[140] - **عبد الكريم بوالصفصاف** : جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في تطور الحركة الوطنية الجزائرية 1931– 1945م . ص 61 - 62

[141] - **صالح فركوس** : المختصر في تاريخ الجزائر ، من عهد الفينيقيين إلى خروج الفرنسيين (814 ق.م - 1962م) . ص332

[142] - **عبد الكريم بوالصفصاف** : المرجع السابق . ص 391 – 392

وفي تلك الأثناء كانت الجزائر (في حاجة إلى وقت كاف لنضوج الدعوة الإصلاحية وتغلغلها في أوساط جماعة المثقفين الجزائريين ، والجماهير التي غلب عليها اليأس واستسلمت للقضاء والقدر ، لأن القيام بإصلاح حالة الفرد الاجتماعية والدينية ، يتطلب من زعماء الأمة أن يهيئوا قدرا كبيرا من وسائل القوة ، والدعاية الشاملة والارتواء من مناهل العرفان ، والرسوخ في مكارم الأخلاق ، وتوفير الأيدي العاملة لكسب الأرزاق ، والعمل على خلق الوحدة بين الجماهير الشعبية . وهذه العوامل كلها ضرورية من أجل القيام بحركة إصلاحية شاملة وناجحة)[143]

لقد ظهرت الفكرة الإصلاحية (حوالي 1925م ، بفضل شخصية عبد الحميد بن باديس الذي نفذ إشعاعه إلى الضمير الشعبي ... فاستطاع في ظرف قصير أن يقضي على القيود المتمثلة في التقاليد الزائفة المتجسدة في الطريقة المرابطية ، وانطلقت الأفكار ، ثم تلاقت وتصارعت على حد تعبير ابن نبي ... فتحولت أحيانا إلى صورة مدرسة أو مسجد أو مؤسسة إصلاحية ، وظهرت النظريات الاجتماعية ... فكانت النتيجة أن أصبح هذا يرنو إلى المذهب الكمالي ، وذاك يأخذ بالمذهب الوهابي ، وذلك يترع على التمدن الغربي ، ومنهم من انحدر بفكره إلى مذهب المادة ، وكل واحد من هؤلاء وأولئك يتخذ ملبسا يعبر عن نزعة تفكيره)[144] ، وكان نادي الترقي الذي أنشأه العلماء الجزائريون سنة 1926م ، ملتقى يعلن عن ميلاد هذا الخطاب قبل إنشاء جمعية العلماء ، وكذا إنشاء الصحف ، وكان نادي الترقي بمثابة ملتقى فكري لأولئك العلماء ، ولكل مفكر جزائري ، وغدت تلقى فيه المحاضرات الفكرية والدروس الدينية ، فكان أولئك العلماء الجزائريون (من رجال الإصلاح الذين احتذوا في دعوتهم سنة الرسول الأعظم ، و"عرضوا أنفسهم لكل ما تعرض له من مكاره فصبروا وصابروا وبلغوا الغاية المنشودة" كما يقول الشيخ محمد الصالح النيفر حسب ما أوردته مجلة الزيتونة ، فأصبح من آثار هؤلاء العلماء في الجزائر : عمل صالح ونهضة إسلامية مباركة ، تقود زمامها وتتولى أمرها جمعية

---

[143] - **عبد الكريم بوالصفصاف** : جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في تطور الحركة الوطنية الجزائرية 1931– 1945م . ص 52

[144] - **محمد العربي ممريش** مالك بن نبي والاتجاه الحضاري في الحركة الوطنية بين الحربين 1920 - 1938م . مجلة الثقافة ، عدد 85 ، ص 206 - 208

جمعية العلماء المسلمين الزاهرة ، فلقد نهض الشيخ ابن باديس رحمه الله وصحبه الأكرمون نهضة سليمة مباركة الطلعة ميمونة النقيبة ، ونشروا صيحة داوية في أنحاء الجزائر المسلمة ، فأرجعت لها إسلامها وعروبتها ، ومن هؤلاء الذين نذروا أنفسهم في الإصلاح المبارك وهذه الدعوة السليمة وتمحضوا لهذا العمل عن قدرة وكفاءة : الشيخ مبارك الميلي)[145]

وهكذا فقد ارتبطت الانطلاقة النشطة للخطاب الإصلاحي عند الشيخ مبارك الميلي بتأسيس مشروع جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في الحادي والثلاثين من شهر مايو عام واحدٍ وثلاثين وتسعمائة وألفٍ بنادي التّرقّي بمدينة الجزائر[146] .

أما عن السنة التي انطلق فيها الإصلاح والتجديد في الجزائر ، والدعوة إلى الكتاب والسنة ، فقد (حددها الشيخ مبارك الميلي ، فقال إنها سنة 1343 الهجرية)[147] .

---

[145] - **محمد الصالح الجابري** : المؤرخ الجزائري مبارك الميلي في الصحافة التونسية . مجلة الثقافة ، عدد 102 ، ص29

[146] - **عبد المالك مرتاض** : نهضة الأدب العربي المعاصر في الجزائر . ط 2 ، ص 239

[147] - **مبارك الميلي** : رسالة الشرك ومظاهره . ص 13

د - الصعوبات التي واجهت الخطاب الإصلاحي :

لقد تزامنت بوادر (انطلاق الخطاب الإصلاحي مع استلام الجبهة الشعبية "الأحزاب اليسارية" الحكمَ في فرنسا ، عندما أصبح موريس فيوليت حاكما عاما على الجزائر في العام الخامس والعشرون وتسعمائة وألف الميلادية 1925م ، حيث تظاهر هذا الحاكم باتخاذ إجراءات إصلاحية في الجزائر ، فمنح الجزائريين حق التمثيل والانتخاب وإصلاح التعليم ، وألغى المحاكم الخاصة بالجزائريين ، ثم أصبح المشروع يدعى (باسم : "مشروع بلوم فيوليت ، وفي عام 1936م لوّحت فرنسا للجزائريين بمشروع "بلوم فيوليت" ، الذي ينتقد السياسة الفرنسية السابقة ، وبالرغم من تعديل هذا المشروع ، إلا إن جمعية العلماء المسلمون الجزائريون قد وقفت منه موقف المتحفظ ، ولقي ترحيبا من قِبَل بعض السياسيين الجزائريين ، ورفضه الفرنسيون المعمّرون في الجزائر ، ولكن المشروع رفض في نهاية الأمر من قبل البرلمان الفرنسي [148] ، وقد (أبدى موريس حينها استعدادا لتقريب الجزائريين إلى فرنسا من أجل اندماجهم تدريجيا) [149] ، فعمل على تأمين حقوق بعض الجزائريين بنفس ما يتمتع به الفرنسيون من حقوق ، رغم (معارضة المستوطنين من أصحاب السلطة الفاعلة ، وقد رفض المجتمع الجزائري مشروع موريس في بادئ الأمر ، لعدم التسوية بين الجزائريين والفرنسيين ، ولأن المشروع لم يأخذ الدين واللغة بعين الاعتبار عند تهيئة الطبقة المثقفة للإدماج ، ثم عدّل المشروع بلزوم الحفاظ على الشخصية الإسلامية ، ثم تقدم المشروع سنة 1935م لمداولات البرلمان الفرنسي [150]

ونتيجة رفض المشروع من قِبَل البرلمان والمستوطنين ، أجهض ذاك المشروع قبل أن يكتمل ، فبدأ المصلحون في الجزائر بالتحرك أكثر وشاركوا في المؤتمر الإسلامي سنة 1936م ، وطالبوا فيه باعتبار اللغة العربية لغة رسمية ، وبفصل الدين عن الدولة وتسليم شؤون المسجد إلى المسلمين ، وبتأسيس كلية

---

[148] - **أبو القاسم سعد الله** : الحركة الجزائرية . معهد البحوث والدراسات العربية ، القاهرة ، مصر ، السنة 1975م ، ج 3 . ص 17

[149] - **عمار طالبي** : ابن باديس حياته وآثاره . ج 3 ، ص 337

[150] - **وزارة الشؤون الدينية** : آثار الإمام بن باديس . ج 5 ، ص 314 و 326 و 379 - 380

دينية لتعليم الدين الإسلامي بلسان عربي ، كما طالبوا باستقلال القضاء [151] ، وازداد تمسك الخطاب الإصلاحي أكثر بأصالة الجزائر وذاتها ودينها الإسلام ولغتها العربية ، حتى يسهم في إحباط تلك المؤامرات الفرنسية المتتالية من أجل سحق الهوية الجزائرية ، وخاصة تلك الداعية سنة 1936 إلى أن الجزائر قطعة فرنسية ، ويتم تمثيلها في البرلمان الفرنسي .

ولما (هبّ شعور الأمة وقوي ، باحتياجها إلى فهم لغتها ودينها ، وتطور التعليم الحر ، أصدرت الإدارة الفرنسية قرارا يعتبر اللغة العربية لغةً أجنبيةً في بلاد عربية هي الجزائر ، ووصل الحال إلى حد اقتياد معلمي اللغة العربية إلى مجالس القضاء ، وتسجينهم أو تغريبهم)[152]

و لم تغفل السلطة الفرنسية أبدا عن مضامين الخطاب الإصلاحي ، حيث بدأت تضيّق على أعضاء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ، وتشدد عليهم المراقبة منذ عام 1933 م ، وقد اتخذت السلطات الفرنسية هذه الإجراءات ؛ لأنها أدركت خطورة الخطاب الإصلاحي على الاحتلال في نهاية المطاف ، كما أنها شجعت الطرق الصوفية المنحرفة المتهاونة في أمر دينها والخاضعة للسلطات المحتلة ، فأصبح الخطاب الإصلاحي في مواجهة تلك الطرق الصوفية ، وفي هذا يقول الشيخ مبارك الميلي : (" لقد ثقل على من خفت موازينه من الطرقيين والقبوريين والْمرابْطين نصح المشفقين ، وساءهم تحذير العلماء الناصحين فكادوا لهم مع الحكومة - يقصد بها حكومة الاحتلال الفرنسي- كي يوقعوهم في قبضتها ، فسامت الحكومةُ العلماءَ بالترغيب والترهيب ، وعاملتهم بالشدة العملية واللين القولي ، فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا ، ثم حاول أولئك المستاءون صرف العامة عن علمائها ، فلم ينقبضوا عن الإرشاد ، وأشد ما كانوا يثيرون عليهم الضجات عند تفسير الآيات "، وقد كان أصحاب هذه الضجة يقفون في الجامع ليرفعوا أصواتهم ضد المصلحين الوعاظ الذين يفسرون

---

[151] - **أبو القاسم سعد الله** : الحركة الجزائرية . ج 3 ، ص 283

[152] - **صالح خرفي** : المدارس والمعاهد العليا ، دورها في النهضة العربية لحديثة.المجلة الجزائرية للتربية ، عدد 4 ، ص 48

القرآن من أمثال الشيخ عبد الحميد بن باديس والشيخ مبارك الميلي)[153] ، ففي عام (1933 م منعت الحكومة - بقرار عامل عمالة الجزائر - مرشدي جمعية العلماء من إلقاء الدروس والخطب في المساجد ، وقد تكرر الاحتجاج على هذا القرار مرارا فلم يُسمع للمحتجين المحقين صوت)[154]

وفي عام (1935م ، أصدر مارسيل رينيه وزير الداخلية الفرنسي قرارا يقضي بتضييق الخناق على جمعية العلماء ، وكل زعماء الحركة الوطنية بعد زيارة قام بها إلى الجزائر العاصمة بهدف الاطلاع على حالة الشعب الجزائري ، ورغم ما عرفه من مجاعة وهضم للحقوق ، فقد أصدر الوزير ذلك القرار بهدف إضعاف حركة العلماء ، ومن أمثلة هذا التضييق ما حدث في عام 1937م ، إذ سجن الشيخ ناصر المدرس الحر ببلدية قرقور منطقة سطيف ، وفي هذه السنة أيضا- في عهد الجبهة الشعبية - أدخل الشيخ الطيب العقبي من رجال الحركة البارزين سجن بربروس ، وأغلقت الإدارة مدارس تابعة لجمعية العلماء في عمالتي قسنطينة ووهران ، كما أن الخطاب الإصلاحي قد تعرّض إلى تضييق شديد بعد أن ظهرت نتائجه الإيجابية الفعّالة ، بالاتفاق مع التضييق على اللغة العربية وعلى معلّميها وعلى محفّظي القرآن الكريم ، ففي (يوم 15 جانفي 1938م أغلقت سلطات الاحتلال دار الحديث بتلمسان ، وهو أهم مركز من مراكز الحركة الإصلاحية ، أما في يوم 8 مارس 1938م ، فقد أصدرت الحكومة الفرنسية قرارا يقضي بتضييق دائرة التعليم العربي الحر ، ومنع العلماء من التدريس إلا برخصة من الإدارة الاستعمارية في الجزائر ، وهي الرخصة التي ترفض السلطات منحها للمعلمين التابعين لجمعية العلماء ، وإذا كانت الحكومة الفرنسية قد منعت التعليم الحر بدعوى المحافظة على الصحة، فإن هذا الإجراء كان ضربة موجهة لتعليم العربية في المدارس ، والقرآن في الكتاتيب)[155]

---

[153] - **مبارك الميلي** : رسالة الشرك ومظاهره . ص 36

[154] - **عبد الكريم بوالصفصاف** : جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في تطور الحركة الوطنية الجزائرية 1931 - 1945 م ، ص 314

[155] - **عبد الكريم بوالصفصاف** : المرجع نفسه . ص 215- 217

وما إن بدأ الخطاب الإصلاحي يرفع صوته ، حتى ثارت عليه زوابع ممن سلكوا للشرك كل الذرائع وأشاعوا في العامة أنه يحكم على المسلمين بحكم المشركين [156] ، أضف إلى ذلك أن الخطاب الإصلاحي ، كان تحت الرقابة الاستعمارية ، إذ ظل الاحتلال الفرنسي يخشى تحول هذه الدعوة الإصلاحية إلى دعوة تحررية ، فكانت الحكومة الفرنسية تعمل على عرقلة النشاطات الإصلاحية لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين ، إذ أوصدت المساجد في وجوه العلماء ، وشحت برخص التعليم العربي القرآني ، وأعملت أتباعها في شؤون المساجد والجمعيات الدينية ، وصورت رجال الجمعية بصورة الأعداء لتبعد عنهم كل من يعيش مع هذه الجمعية أو يرجو مصلحة لديها ، وقد كتب الشيخ مبارك الميلي مقالا يوضح فيه العراقيل الاستعمارية ، فقال : ("إن حكومة ميرانت لما تأكدت من رجحان كفة المصلحين في الجمعية أخذت تحاربها في أول مهدها ، فانتقلت الجمعية في أول عام لها إلى الحرب مع الإدارة الاستعمارية ، وانشغلت بذلك عن وضع البرامج العملية وتنقيح النظم الداخلية ، ولكنها استفادت في حربها مع الحكومة في ميادين كثيرة من بينها خلق الثبات في أعضائها ، وبث روح الشجاعة في المترددين من أنصارها ، واحترام الهيئات المفكرة الحرة لهاته الجمعية) [157]

إن تحسس الاحتلال الفرنسي الجانبَ السياسي في زعماء الإصلاح الديني ، كان هو السببَ المباشر للتنكيل بأولئك الإصلاحيين ... (إذ إن هذا التململ السياسي بأوجهه المختلفة لم يكن في حساب المحتل إلا خروجا عن الطاعة ، وامتدادا للعصيان المسلح ومواصلة للتحدي ... فكان الغاصب بالمرصاد لكل نفس إصلاحي ، لا يرخى له الزمام إلا لمفاجأته من مأمنه ، فإذا أخذه لم يفلته ، فتراوحت مصائر زعماء الإصلاح الديني والسياسي بين النفي والإبعاد والزج في السجون ، والتدلي على أعواد المشانق ، والاستشهاد غيلة في الميادين والساحات العامة في الوطن المستباح وبين أبنائه المقهورين)[158]

---

[156] - **مبارك الميلي** : رسالة الشرك ومظاهره ، ص 13

[157] - **عبد الكريم بوالصفصاف** : جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في تطور الحركة الوطنية الجزائرية 1931 - 1945 م ، ص137

[158] - **صالح خرفي** : المدارس والمعاهد العليا ، دورها في النهضة العربية لحديثة . المجلة الجزائرية للتربية . عدد4 ، ص36

هـ - رواد الخطاب الإصلاحي في الجزائر :

يرجع ظهور المصلحين في الجزائر إلى القرن التاسع عشر إذ عدّ محمد بن محمود بن محمد الشهير بالعنابي ("1775-1850م" من أوائل المجددين ودعاة الإصلاح الاجتماعي والسياسي في العالم الإسلامي ، وهو قاض وباحث ، من فقهاء الحنفية ، نسبته إلى عنابة ، ومولده بمدينة الجزائر ، أخذ عن كبار علمائها ، ثم ولي قضاء الحنفية فيها مرارا ، كتب للداي ، وسافر عن الداي عمر باشا إلى المولى ربيع سليمان ، سلطان المغرب من الأشراف العلويين بعد أن قصف الأسطول الانجليزي بقيادة اللورد إكسماوت exmouth مدينة الجزائر في 1816م ، ثم رحل ابن العنابي إلى المشرق بعد سنة 1820م ، ونزل بالإسكندرية ، وفيها ألّف كتابه "السعي المحمود في نظام الجنود" ، ثم حج بيت الله تعالى ، وعاد إلى تونس ، ثم إلى الجزائر بعد حوالي سنة من مكوثه في تونس قبل الاحتلال الفرنسي ، وبعد الاحتلال بحوالي سنة نفاه الفرنسيون ، فتوجه إلى مصر ، واستقر بالإسكندرية ، فولاّه محمد علي باشا وظيفة الفتوى الحنفية ، من أهم آثاره "ثبت الجزائري" ، و"شرح الدر المختار" الذي لم يكمله ، و"العزيز في علم التجويد")[159]

ومن المصلحين محمد بن سليمان بن إدريسو "ت 1881م" ؛ وهو فقيه إباضي ، قوي الحافظة ، من دعاة الإصلاح في وادي ميزاب ، ولد ونشأ في بني يزقن ، وأخذ عن علمائها كالشيخ عبد العزيز الثميني وغيره ، كان كفيف البصر ، وقد أوذي في سبيل فكرة الإصلاح ، من أهم آثاره : "نظم كتاب النيل" ، و"شرح الألفية لابن مالك" ، و"نظم أبواب الطهارة" ، و"نظم متن الآجرومية" ، ومن المصلحين وقتها محمد مرتضى الحسني الجزائري "1827-1901م" ، وهو عالم من رجال الإصلاح الفكري ، ولد في القيطنة ، وبها نشأ وتعلم ، اشترك في قتال الفرنسيين مع عمه الأمير عبد القادر الجزائري ، ثم هاجر إلى بلاد الشام ، وسكن بيروت ونشر العلم والطريقة القادرية فيها)[160] ، ثم خاض

---

[159] - **عادل نويهض** : معجم أعلام الجزائر ، من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر . مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر ، بيروت ، لبنان ، ط 2 ، السنة 1980م . ص 245

[160] - **عادل نويهض** : المرجع نفسه . ص 15و 112

في المسائل العقلية والاجتماعية والدينية في سنوات ما قبل الحرب العالمية الأولى مصلحون من رعيل آخر ، ويتزعم حركتهم عندئذ الشيخ عبد القادر المجاوي وآخرون ، وكانت أصولهم ترجع إلى الجامعة الإسلامية التي ظهرت في الربع الأخير من القرن التاسع عشر بالمشرق)[161] ، والشيخ المجاوي هو (عبد القادر بن عبد الكريم المجاوي "1848– 1913م" ، مصلح تقليدي سلفي ، خطيب ، من كبار العلماء ، ولد بتلمسان ، وتعلم بها وبطنجة وتطاوين ، وأكمل دراسته بجامع القرويين بفاس ، وعاد إلى الجزائر ، فعين مدرسا بجامع الكتاني بقسنطينة ، ثم بالمدرسة الكتانية ، ونقل إلى مدينة الجزائر سنة 1898م ، وولي التدريس في القسم العالي بالمدرسة الثعالبية ، وتخرج على يديه أفواج من القضاة والمترجمين والمدرسين والأئمة والوعاظ إلى أن توفته المنية في قسنطينة ، خلف وراءه مؤلفات عديدة منها على سبيل المثال : "إرشاد المتعلمين" طبع بمصر ، و"نصيحة المريدين" طبع بتونس ، و"المرصاد في علم الاقتصاد" ، و"اللمع على نظم البدع" ، "الدرر النحوية" ، و"تحفة الأخيار في الجبر والاختيار" ، وغيرها، طبعت كلها في الجزائر ، وتجلت خطابات المولود بن الموهوب ("1866- 1939م" في المحاضرات الثقافية التي كان يلقيها قبل الحرب العالمية الأولى في نادي صالح باي بقسنطينة ، وله شعر جيد في محاربة البدع)[162] .

و (ينبغي أن نشير إلى محاولات الشيخ مصطفى بن الخوجة المشهور ، المتوفى سنة 1915م ، إذ كان شغوفا بمحبة الإمام محمد عبده ، وكانت تلك المحاولات عبارة عن نشاطه التعليمي والإصلاحي)[163]

---

[161] - **عبد الكريم بوالصفصاف** : جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في تطور الحركة الوطنية الجزائرية 1931 - 1945 م . ص 74

[162] - **عادل نويهض** : معجم أعلام الجزائر ، من عصر الإسلام إلى العصر الحاضر . ص 286 - 287 و 324

[163] - **تركي رابح** : الشيخ عبد الحميد بن باديس والحركة الإصلاحية السلفية في الجزائر . مجلة الثقافة ، عدد 68 ، ص 31- 32

كما (ينبغي أن نشير إلى أن للشيخ عبد الحليم بن سماية "1865- 1915م" مواقفَ معروفة في محاربة البدع في الجزائر ، وأنه يعد من أوائل تلاميذ الأستاذ محمد عبده الذين نشروا مذهبه الإصلاحي خارج مصر)[164] ، حيث كان الشيخ ابن سماية (يدرّس "رسالة التوحيد" للإمام محمد عبده في المدرسة الثعالبية ، وقد كان من المعجبين بالشيخ محمد عبده وبطريقته في الإصلاح ، وذكر الشيخ رشيد رضا في كتابه " تاريخ الإمام محمد عبده " أن الإمام محمد عبده عندما زار الجزائر ، وتونس في صيف عام 1903م ، وجد له حزبا دينيا كونته مجلة " المنار" ، فقال : " ومن خيار العلماء الشيخ مصطفى بن الخوجة صاحب المصنفات ، والشيخ عبد الحليم بن سماية ، وقد عهد هؤلاء الفضلاء إلى الشيخ محمد عبده أن يوصي صاحب المنار بألا يذكر دولة فرنسا بما يسوؤها لئلا تمنع " المنار" من الجزائر ، وقالوا له " إننا نعتبرها مدد الحياة لنا ، فإذا انقطعت المنار انقطعت الحياة عنا" ، ثم يضيف الشيخ رشيد رضا إلى ذلك قوله : " وقد وجد له في تونس والجزائر حزبا دينيا ينتمي إليه من حيث لم يكن يعلم ، وإنما الصلة بينهم وبينه هي مجلة " المنار")[165] ، ومن ثم فإن (أصول الحركة الإصلاحية تعود إلى الحركة الوهابية وإلى مجلة المنار وصاحبها الشيخ رشيد رضا)[166] .

ومن الذين تأثروا بمدرسة الإمامين محمد عبده ورشيد رضا ، قدور الحَلَوي ؛ (وهو شاعر ، من دعاة الإصلاح والتجديد ، له قصائد كثيرة في حقل التجديد ، بدأ بنشرها سنة1911م ، ومنها ما نشر في جريدة "المرصاد" بتاريخ 25 مارس 1932م)[167] .

وأما عمر راسم ("1883- 1959م" ، فقد عرف منذ صباه بأفكاره الإصلاحية ، وكان من أوائل الجزائريين المعتنقين لمذهب الأستاذ الإمام محمد عبده الإصلاحي ، والداعين إليه ، أنشأ جريدة "الجزائر" في 17 أكتوبر 1908م ، ثم جريدة "ذو الفقار" في 25 أكتوبر سنة 1913م ، كان يكنى بأبي

---

[164] - **عادل نويهض** : معجم أعلام الجزائر ، من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر . ص 138

[165] - **تركي رابح** : الشيخ عبد الحميد بن باديس والحركة الإصلاحية السلفية في الجزائر . مجلة الثقافة ، عدد 68 . ص33

[166] - **عبد الكريم بوالصفصاف** : جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في تطور الحركة الوطنية الجزائرية 1931 - 1945 م . ص 75

[167] - **عادل نويهض** : المرجع السابق . ص 122

المنصور الصنهاجي ، من أهم آثاره : " تفسير القرآن الكريم" ، كتبه وهو في السجن ، و" تراجم علماء الجزائر " ، وله أيضا مقالات كثيرة في الاجتماع والسياسة والفن)[168] .

إلا أن (مدرسة التجديد الإسلامي قبل 1913م تبقى محدودة الانتشار في الجزائر إلا في نطاق أفراد قلائل)[169] .

لقد حمل الخطاب الإصلاحي في الجزائر لواء الدعوة الإصلاحية ، من أجل إحياء الوعي الديني الإسلامي في الأمة الجزائرية ، والقضاء على الجهل الذي عمّ أرجاءها ، وإبطال مفعول البدع والخرافات والشعوذة التي انتشر لهيبها بسرعة فائقة ، لأجل ذلك فقد (نشرت جريدة الشهاب في شهر نوفمبر 1925م ، دعوتها كافة علماء القطر الجزائري للاتصال ببعضهم من أجل معرفة مختلف الآراء بهدف تأسيس جمعية دينية تدافع عن الإسلام وإحياء الثقافة العربية ، ومما جاء في تلك النشرة ما يلي : (" أيها السادة العلماء المصلحون المنتشرون بالقطر الجزائري ، إن التعارف أساس التآلف ، والاتحاد شرط النجاح ، فهلموا إلى تحقيق هذا الهدف بتأسيس حزب ديني محض ، غايته تطهير الدين مما ألصقه به الجاهلون من الخرافات والأوهام ، والرجوع به إلى أصلي الكتاب والسنة ، وما كان عليه في الحقب الأخيرة ، فأصبح العام : 1925م ؛ هو نقطة الانطلاق للشروع في تطبيق فكرة الإصلاح المنظم الذي اتسم أول الأمر بالطابع النظامي " ، وهبّ العلماء المصلحون ينشرون منذ هذه السنة وجهات نظرهم ، ويعرفون بمبادئ برنامجهم الديني والاجتماعي والثقافي) [170] .

إن معظم الذين كتبوا في الخطاب الإصلاحي هم أولئك الطلبة الذين درسوا في جامع الزيتونة * ، و (جامعة القرويين ، والأزهر ، وفي الحجاز والشام ، وربما رجع سبب لجوء المصلحين في

---

[168] - **عادل نويهض** : معجم أعلام الجزائر ، من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر . ص243

[169] - **تركي رابح** : الشيخ عبد الحميد بن باديس والحركة الإصلاحية السلفية في الجزائر. مجلة الثقافة ،عدد 68 . ص33

[170] - **عبد الكريم بوالصفصاف** : جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في تطور الحركة الوطنية الجزائرية 1931 - 1945 م . ص 77

* **جامع الزّيتونة** : جامع شهير في تونس ، بني نحو 732م ، وجدّد بناءه بنو الأغلب نحو 840 م ، ثم أصبح جامعة كبرى في عهد الحفصيين ؛ انظر مجموعة مؤلّفين ، المنجد في الأعلام . ط 26 ص 282

تكوينهم العلمي لبلاد المشرق إلى أن العلم كان أكثر ازدهارا في مصر والحجاز على وجه الخصوص من بين البلدان العربية)[171] .

وأبرز هؤلاء الرواد الذين أسهموا بخطابهم الإصلاحي في إثراء النهضة الفكرية الإسلامية بالجزائر ، نذكر : إبراهيم بن عيسى بن يحي بن داود أبو اليقظان ("1888- 1973م" : من رجال الإصلاح والتجديد في الجنوب الجزائري ، ولد بمدينة القرارة جنوب الجزائر ، وتعلم بها ثم ببني يزقن ، ثم التحق بجامع الزيتونة سنة 1912م ، حيث كان رئيسا لأول بعثة علمية جزائرية بها حتى سنة 1925م ، أصدر ثماني جرائد عربية في الفترة بين 1926- 1928م ، فأغلقها الاستعمار الواحدة تلو الأخرى ، وأولى تلك الجرائد "وادي ميزاب" الصادرة في الأول من شهر أكتوبر 1926م ، ثم أصيب بشلل فاعتكف في بيته بالقرارة إلى أن توفته المنية ، من أهم آثاره : " سلم الاستقامة" ، و" سليمان باشا الباروني" ، و "تاريخ صحف أبي يقظان" ، و"ملحق السير" ، و"ديوان شعر"، طبع سنة 1932م)[172] .

ومن المصلحين الجزائريين أيضا (الشيخ حمدان الونيسي ؛ وهو تلميذ الشيخ المجاوي بقسنطينة ، كما أن الشيخ الونيسي هو أستاذ الشيخ عبد الحميد بن باديس والشيخ المولود بن الموهوب مفتي قسنطينة والشيخ أحمد الحبيباتي ، ويعد الشيخ حمدان الونيسي من أبرز علماء الجزائر المشهورين ، هاجر إلى الحجاز عام 1908م ، وكان يدرس بالمسجد النبوي ، وهو بحق من أعلام الحديث ، والمذهب المالكي ، توفي عام 1920م)[173] .

أما الشيخ المولود الزريبي البسكري ، فكان (من رواد الإصلاح في منطقة الأوراس ، ولد في زريبة الواد ، جنوب شرق الجزائر سنة 1897م ، ودرس بجامع الأزهر ولما أكمل دراسته ، عاد واشتغل بالتدريس والوعظ والإرشاد والإصلاح الاجتماعي في مسقط رأسه ثم في الأوراس ، وانتقل إلى الجزائر العاصمة فتولى تحرير جريدة " الصديق" التي أصدرها محمد بن بكير سنة 1920م ، والتي تعد من أوائل الصحف الجزائرية في محاربة البدع ، والدعوة إلى النهوض ، كما تولى التدريس في الجامع الأعظم ،

---

[171] - **أبو القاسم سعد الله** : الحركة الوطنية الجزائرية . ج 2 ، ص 172

[172] - **عادل نويهض** : معجم أعلام الجزائر ، من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر . ص 356

[173] - **أحمد حماني** : صراع بين السنّة والبدعة . دار البعث ، قسنطينة ، الجزائر 1984 ، مجلد 2 ، ص 231

مات في بوفاريك ، من آثاره " شموس الأحلام على عقائد ابن عاشر الحبر الهمام" ، و"شرح على قدسية الأخضري" ، و"شرح على كتاب البيوع من مختصر خليل" ، و"كتاب "الأخلاق" الذي لم يتممه ، وله شعر جيد متناثر في المجلات والصحف الجزائرية . ومن المصلحين الشيخ عمر بن قدور : "1886-1932" ؛ عرف باتجاهه السلفي الإصلاحي)[174] ؛ كما يعد (رائد الصحافة الوطنية الجزائرية ، نشر في صحافة الشرق العربي والإسلامي منذ أوائل القرن العشرين ، كان مراسل جريدة "اللواء" القاهرية من الجزائر ، نشر في جريدة "الحضارة" في الآستانة لعبد الحميد الزاهري قبل الحرب العالمية الأولى ، وأصدر جريدة "الفاروق" رائدة الصحافة الوطنية الجزائرية سنة 1912م ، وقد قامت السلطات الفرنسية بمطاردته بسبب مواقفه الوطنية الجريئة وكتاباته اللاذعة ، ثم نفته السلطات الفرنسية إلى الصحراء الجزائرية طيلة سنوات الحرب الأولى ، وبعد الحرب أصدر السلسلة الثانية من مجلة "الفاروق" ، لكنها كانت أخف لهجة ، عرف بتصوّفه في أواخر أيامه)[175] .

ويعد الشيخ صالح بن مهنا ("1854- 1910م" ، من رواد الحركة الإصلاحية الذين حاربوا البدع ، ولد بكركرة نواحي القل ، ونشأ بقسنطينة ، وتعلم بها ثم بتونس ، ثم بالأزهر في القاهرة ، ثم عاد إلى قسنطينة مدرسا ، من أهم آثاره : "تنبيه المغترين في الرد على إخوان الشياطين")[176] .

أما الشاعر حسن بولحبال" ولد 1897م" ؛ فهو مدرس من نواحي قسنطينة ، تعلم فيها ثم بتونس ، ولما عاد اشتغل بالتدريس ، وانضم إلى الحركة الإصلاحية ، فكان من شعرائها المعروفين ، تميز شعره بالفكاهة والسخرية ، من أهم آثاره : "ديوان شعر" مخطوط)[177]

---

[174] - **عادل نويهض** : معجم أعلام الجزائر ، من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر . ص 108- 109 و 243

[175] - **صالح خرفي** : المدارس والمعاهد العليا ، دورها في النهضة العربية لحديثة. المجلة الجزائرية للتربية ، عدد 4 . ص 65

[176] - **عادل نويهض** : المرجع السابق . ص 323

[177] - **عادل نويهض** : المرجع نفسه . ص 46

ثالثا : الخطاب الإصلاحي لدى جمعية العلماء المسلمين الجزائريين :

أ – رواد الخطاب الإصلاحي في جمعية العلماء المسلمين الجزائريين :

فكر الشيخ عبد الحميد بن باديس رفقة الشيخ البشير الإبراهيمي في أنجح الوسائل للقيام بالدعوة الإصلاحية في الجزائر .

وبمجرد تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ، تأسس الخطاب الإصلاحي ، فكان أبرز الذين كتبوا فيه من أعضاء الجمعية : (الشيخ عبد الحميد بن باديس : "1889- 1940م" ، الذي يعد من كبار رجال الإصلاح والتجديد في الإسلام ، والزعيم الروحي لحرب التحرير الجزائرية ، وهو رئيس جمعيّة العلماء المسلمين في الجزائر منذ قيامها سنة 1931م حتّى وفاته ، ولد في قسنطينة عام 1889م ، وتعلم بمسقط رأسه ، ثمّ في جامع الزّيتونة بتونس ، عاد إلى بلده ودرّس بالجامع الكبير ، أصدر جريدة "المنتقد" ، و"الشّهاب" ، وأصدر"الشريعة" و"السنّة المحمّديّة" و"الصّراط" ، وأمضى حياته عاملاً لخدمة بلده ، وسعى لنشر العلم ، وقد قامت جمعيته بافتتاح كثير من المدارس في كل أنحاء الجزائر ، توفّي بقسنطينة عام 1940م)[178] ، ويعد الشيخ عبد الحميد بن باديس أهم شخصية (أرست دعائم المدرسة الإصلاحية السلفية في الجزائر ، وهو الذي شرح معالمها ، وأوضح مقاصدها للجزائريين ، وهو الذي مهد لها التربة ، ورعاها وتعهدها حتى أصبحت قوية الجذور ، راسخة البنيان ، واسعة الانتشار ، لا في قسنطينة وحدها ، ولكن في الجزائر كلها من أدناها إلى أقصاها ... ويعتبر الشيخ بن باديس من أهم المصلحين المعاصرين الذين بذروا بذرة الإصلاح في الجزائر ، وإليه يعود الفضل في نشأة هذه الحركة السلفية في الجزائر)[179]

وممن اشتهروا بمواقفهم الإصلاحية (الشيخ البشير الإبراهيمي : "1889-1965م" ، أحد رجال الإصلاح الإسلامي ، خطيب بليغ ، وعالم بالأدب والتاريخ واللغة وعلوم الدين ، وهو من كبار

---

[178] - **عادل نويهض** : معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر . ص 28

[179] - **تركي رابح** : الشيخ عبد الحميد بن باديس والحركة الإصلاحية السلفية في الجزائر . مجلة الثقافة ، عدد 68 ، ص33

العلماء والمجاهدين ، ولد في بلدة أولاد إبراهيم بسطيف ، و بها نشأ وتعلم ، ثم رحل إلى المشرق وأقام في المدينة المنورة سنة 1911م حيث أتم دراسته العليا ، ثم انتقل إلى دمشق سنة 1917م ، حيث عمل أستاذا للأدب العربي بالمدرسة السلطانية ، شارك في المجمع العلمي العربي سنة 1921م ، ثم عاد إلى الجزائر في السنة نفسها ، وكان من مؤسسي جمعية العلماء الجزائريين سنة 1931م ، وتولى رئاستها وهو في المنفى خلفاً للشيخ ابن باديس ، إذ نفته الحكومة الفرنسية بسبب نشاطه الإصلاحي إلى آفلو جنوب الجزائر عام 1940م إلى سنة 1943م ، ثم سجن وعذب عام 1945م ، ومن نشاطاته الإصلاحية أن أسهم في نشر العلم عن طريق افتتاح المدارس منها معهد عبد الحميد بن باديس الثانوي بقسنطينة ، وساند الثورة الجزائرية ، ترك شعراً كثيراً ، ومن أهم مؤلفاته : "عيون البصائر" ، و"شعب الإيمان" ، ورواية "الثلاثة" وأرجوزة شعرية طويلة ضمنها تقاليد الشعب الجزائري ، والعديد من الكتب والمقالات التي نشرت في صحف المغرب والمشرق)[180] .

ويعد الشيخ الطيب بن محمد العقبي ("1890-1960م" من رجال الحركة الإصلاحية الإسلامية ، ولد في بلدة سيدي عقبة)[181] ، ولما بلغ الشيخ العقبي السادسة من عمره هاجر صحبة أسرته إلى الحجاز سنة 1895م)[182]، حيث (نشأ في المدينة المنوّرة وتعلم هناك على يد شيوخها ، ثم درّس في الحرم النبوي ، لكنه نفي إلى تركيا بتهمة المشاركة في الثورة العربية الكبرى ، ثم عاد إلى مكّة سنة 1919م ، وتولّى رئاسة تحرير جريدة "القبلة" بإيعاز من الشريف حسين ، بعد أن كان الكاتب الإسلامي الشهير "محب الدين الخطيب" رئيسا لتحرير تلك الجريدة ، ثم عاد إلى الجزائر سنة 1920م ، وأصدر جريدة "الإصلاح" ، ورأس تحرير جريدة "البصائر" ، وقد كان عضوا مشاركا في تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ، وعين فيها نائبًا للكاتب العام ، وتولى الوعظ والإرشاد في" نادي الترقي"

---

[180] - **عادل نويهض** : معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر. ص 13- 14

[181] - **عادل نويهض** : المرجع نفسه . ص 238

[182] - **عبد الكريم بوالصفصاف** : جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في تطور الحركة الوطنية الجزائرية 1931 – 1945 م . ص 280

بالجزائر العاصمة ، ثم قدّم استقالته من الجمعية قبيل الحرب العالمية الثانية ، إثر معارضته من قِبل أغلب أعضاء الجمعية في مسألة تأييد فرنسا في حربها ضد ألمانيا ، توفي بالجزائر العاصمة)[183] .

أما الأستاذ محمد الأمين العمودي ("1890-1957م" ، فمن رجال الحركة الإصلاحية ، ولد بوادي سوف ، حيث تعلم فيها ، ثم في قسنطينة ، فنال فيها شهادة بالمحاماة والترجمة ، فغدا محاميا ، ثم اختير أمينا عاما لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين سنة 1931م نظرا لمقدرته على الكتابة باللغة العربية والفرنسية ، أنشأ جريدة "الدفاع" ، للدفاع عن حقوق المسلمين الجزائريين ، وشارك في أكثر الصحف الإصلاحية ، اغتالته اليد الحمراء)[184] .

ومن رجال الإصلاح في الجزائر (محمد السعيد السنوسي الزاهري "1899-1956م" ، ولد في قرية ليانة قرب بسكرة ، درس على يد الشيخ ابن باديس ثم بجامع الزيتونة بتونس ، حتى غدا من رجال الحركة الإصلاحية ، كان عنيفا في نقده للطرقية وهجومه على البدع ، وشارك في تأسيس"جمعية العلماء المسلمين الجزائريين" عام 1931م ، من أهم آثاره معالجة كتابة القصة إلى جانب المقال الإصلاحي ، ومن أهم أعماله إصدار جريدة "الجزائر" سنة 1925م ، وجريدة "البرق" سنة 1927 م ، وجريدة "الوفاق" سنة 1938م ، وجريدة "الغرب العربي" سنة 1947م ، وله مقالات نشرها في جرائد في"الفتح" ، و"المقتطف" و"الرسالة" ، من أهم آثاره : "الإسلام في حاجة إلى دعاية وتبشير")[185] .

وشارك في الخطاب الإصلاحي الشيخ العربي بن بلقاسم التبسيّ ("1895-1957م" ، وهو أحد رجال الفكر الإصلاحي ، ومن أبرز أعضاء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ، ولد في بلدة اسطح القريبة من تبسة ، وتلقى تكوينه التعليمي بجامع الزيتونة و كذا الأزهر الشريف ، وعاد إلى تبسة سنة 1927م ، حيث اشتغل بالتعليم العربي الإسلامي ، وشارك في الحركة الإصلاحية بقلمه ، وفي سنة 1935م عين كاتبا عاما لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين ، ثم نائبًا لرئيس الجمعية الشيخ الإبراهيمي سنة 1940م ، إثر وفاة الشيخ عبد الحميد بن باديس رحمه الله ، وتحمل مسؤولية

---

[183] - **عادل نويهض** : معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر . ص 238 - 239

[184] - **عادل نويهض** : المرجع نفسه . ص 244

[185] - **عادل نويهض** : المرجع نفسه . ص 157

رئاسة الجمعية أثناء غياب الشيخ الإبراهيمي إلى المشرق سنة 1956م ، اغتاله الفرنسيون بعد خطفه في 17 إبريل سنة 1957م)[186] .

ومن أشهر رواد الإصلاح أبو يعلى الزواوي ("1878- 1952م" : المولود ببلدة عزازقة بالقبائل الكبرى ، نزحت عائلته إلى الشام ، فنشأ وتعلم بدمشق ، ثم لجأ إلى مصر في مطلع الحرب العالمية الأولى ، وكتب في جريدة "المؤيد" القاهرية ، و"ثمرات الفنون" البيروتية ، و"المعلومات" الصادرة في الآستانة ، و"الحاضرة" التونسية ، وعاد إلى الجزائر بعد الحرب العالمية الأولى ، فاشتغل بالتعليم والوعظ ، وقد عين إماما رسميا في جامع سيدي رمضان بالجزائر العاصمة ، و حارب الخرافات والبدع في كتاباته ، وتوفي بالجزائر العاصمة ، ومن آثاره المطبوعة : "الإسلام الصحيح" ، و"جماعة المسلمين" ، و"ديوان الخطب" ، ومن مخطوطاته : "تاريخ زواوة")[187] ، و ينبغي أن نشير إلى ما ذكره الدكتور أبو القاسم سعد الله بأن الزواوي قد (كانت له مواجهات علمية وفكرية مع الشيخ مبارك الميلي حول إصلاح التعليم الديني بالزوايا ، وقد كان في نظر الميلي من المتعاطفين مع الطرقيين العلويين ، لكنه تصالح فيما بعد مع الميلي ، وأصبح من أبرز كتاب "البصائر")[188] .

ويبرز من رجال الإصلاح في الجنوب الجزائري العلامة الراحل الشيخ إبراهيم بن عمر بيوض ("1899-1981م" : وهو زعيم الحركة الإصلاحية في جنوب الجزائر ، أسس "معهد الحياة" سنة1925م بمدينة القرارة ولاية غرداية ، وعدّ هذا المعهد أقدم وأول معهد عال حر في القطر الجزائري ، وقد تخرج في هذا المعهد العشرات من رجال الإصلاح والتربية والتعليم والأدباء والكتاب والشعراء وأعضاء البعثات العلمية خارج الجزائر) [189] .

---

[186] - **عادل نويهض** : معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر . ص 61

[187] - **عادل نويهض** : المرجع نفسه . ص 164

[188] - **أبو القاسم سعد الله** : الحركة الوطنية الجزائرية 1900-1930م . الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، عام 1983 ، ط 3 ، ج 2 ، ص 417

[189] - **صالح خرفي** : المدارس والمعاهد العليا ، دورها في النهضة العربية لحديثة . المجلة الجزائرية للتربية ، عدد4 ، ص33

أما (الشيخ فرحات الدراجي فقد عرف بالدعوة إلى الإصلاح والتربية بين العمال الجزائريين المهاجرين في فرنسا ، حيث كان ممثلا للجمعية هنالك ، كما كان كاتبا دائما للجنة المركزية للعلماء)[190] .

وبرز في الإصلاح رجال آخرون انتسبوا إلى جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ، ومنهم : الحاج محمد بوزيان ، (وهو من ضيعة تبعد عن القرارم بضعة أميال ، وقرية القرارم تقع شمال بلدة ميلة وتبعد عنها بحوالي عشرة كيلومترات . أسس الحاج محمد بوزيان مسجدا جامعا في تلك القرية من خالص ماله ، وحبس عليه مساكن وأراض ، وجلب إليه أهل العلم ليعمروه بالوعظ والإرشاد ، وتعليم الطلبة مبادئ الدين والعربية ، فكان به الشيخ عبد اللطيف القنطري مدرّسا مدة عامين ، ثم خلفه الشيخ بلقاسم بن مزهود الذي تولى رئاسة الشعبة بالقرارم) .[191]

كما ينبغي أن نشير إلى الشاعر الجزائري محمد العيد آل خليفة ، (حيث التزم الشاعر محمد العيد بمبادئ العمل الإصلاحي التي نادت إليها جمعية العلماء ، ومارس التعليم مما استفاد منه من جامع الزيتونة في بداية عمله ببسكرة)[192] .

هؤلاء هم أبرز أعضاء الجمعية ممن كتبوا في الخطاب الإصلاحي ، وحاربوا ا ظلمات الجهل والانحرافات والبدعة والخرافات ، من أجل الحفاظ على دين الأمة وشخصيتها العربية الإسلامية ، وتلك (هي صفات رجال الإصلاح الديني بوطن الجزائر ، التي ظهروا بها في ميدان الدعوة بالكتاب والسنة)[193] .

وينبغي علينا أن نشير إلى أولئك الذين ساروا في طريق الإصلاح بدءا ثم زاغوا عنه إلى محاربة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ، ونذكر منهم على سبيل المثال : (المولود بن الصديق الحافظي ؛

---

[190] - **عبد الكريم بوالصفصاف** : جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في تطور الحركة الوطنية الجزائرية 1931- 1945 م ، ص 213

[191] - **مجموعة جريدة البصائر** : لسان حال جمعية العلماء المسلمين الجزائرين ، (السنة الأولى عدد 4 ص 5) ، ص 29

[192] - **علي بن الطاهر** : مبارك الميلي وجهوده في الحركة الإصلاحية في الجزائر 1897-1945م . بحث مقدم لنيل شهادة الماجستير في التاريخ المعاصر ، قسم التاريخ ، كلية العلوم الإنسانية ، الجامعة الإسلامية ، قسنطينة 2001م ، ص 64

[193] - **مبارك الميلي** : رسالة الشرك ومظاهره . ص 13

المولود بقرية بوقاعة قرب مدينة سطيف ، حيث تعلم بها ثم واصل تعلمه بالأزهر بمصر ، حتى غدا فقيها ، وبدأ نشاطه الصحفي سنة 1925م ، فكان من أبرز كتّاب الصحف الإصلاحية منذ منتصف العشرينيات من القرن العشرين ، وقد تميز بغزارة كتاباته في شتى المواضيع الإصلاحية في بداية الأمر ، إذ كتب في إصلاح التعليم عشرين مقالة نشرتها أسبوعية "الشهاب" ، وكان من أنصار جمعية العلماء المسلمين الجزائريين حين تأسيسها ، لكنه عرف بانفتاحه على التيار الطرقي وعدم معاداته ، إلى أن التحق بركب الطرقيين بصفة رسمية ، حيث انسحب من جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ، واختلف مع مجلسها الإداري ، وقام بتأسيس جمعية "السنة" المناهضة لجمعية العلماء المسلمين سنة 1932م ، وتولى رئاسة تحرير جريدة "الإخلاص" لسان حال جمعيته ، وكانت له مواجهات فكرية وفقهية جادة مع الشيخ مبارك الميلي ، توفي سنة 1948م)[194].

أما عن أبرز خصوم رجال الإصلاح ، فنتمثل بأحمد مصطفى بن عليوة ، الذي يعد (خصما أساسيا في مواجهات الشيخ مبارك الميلي للطرقية ؛ وقد ولد أحمد مصطفى بن عليوة في مدينة مستغانم ، وتلقى تعليمه الديني على يد أستاذه الشيخ بوزيد الذي كان ينتمي إلى الطريقة الدرقاوية ، هاجر عليوة إلى الشرق الأدنى وقام برحلات في عدد من البلدان دامت عشر سنوات ، وعاد إلى الجزائر بعد الحرب العالمية الأولى ، وقد انفصل عن الزاوية الدرقاوية ، وأنشأ زاوية خاصة به ، والتي عرفت بالزاوية العليوية التي كانت لها فروع خارج الجزائر ، وقد كان يتعاطى الكتابة الصحفية ويلقي محاضرات توجيهية ، وينظم الشعر ، ويكتب في الفلسفة والدين ، إلا أن العلماء كانوا يرون بأنه أمّي ، وأن كل ما كتبه هو من إنشاء أتباعه)[195] .

ويقول أبو القاسم سعد الله أن عليوة (كان مؤمنا بفكرة الجامعة الإسلامية تحت غطاء جزائري ، وبدلا من طرح مذهبه خلال منظمة اجتماعية كما فعل الإصلاحيون ، فإنه كان يمارس طقوسا غامضة ودرجات كهنوتية) [196] .

---

[194] - **علي بن الطاهر** : مبارك الميلي وجهوده في الحركة الإصلاحية في الجزائر 1897- 1945م . ص 64 - 65

[195] - **علي بن الطاهر** : المرجع نفسه . ص 65 - 66

[196] - **أبو القاسم سعد الله** : الحركة الوطنية الجزائرية 1900- 1930 م . ط 3 ، ج 2 ، ص 419

إن (العلماء الإصلاحيين الجزائريين المعاصرين ما جاءوا إلا على سنة سلفهم المتقدمين ، وما قاموا إلا بما يفرضه عليهم الدين من أجل إرشاد الضالين ، والذود عن سنة خاتم الأنبياء والمرسلين)[197]

ب - مفهوم الخطاب الإصلاحي عند كبار المصلحين في جمعية العلماء المسلمين الجزائريين :

إن الإحساس بالحاجة إلى الإصلاح كان ينمو داخل الأمة الجزائرية كرد فعل على صدمة الوقوع تحت سيطرة الاحتلال الفرنسي ، ورد فعل على حال الانحطاط الأخلاقي والاجتماعي والوقوع في الشرك ، تلك الحال التي أصابت الأمة بسبب الاحتلال وظهور المتصوفة ببدع وخرافات ما أنزل الله بها من سلطان وقد أتوا بها باسم الدين ، والدين منه براء ، لذلك كان الهدف الرئيس للخطاب الإصلاحي في الجزائر الذي تبنته جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ، هو تمكين المسلمين الجزائريين من فهم العقيدة الإسلامية ، ليحسن تطبيقهم تعاليم الإسلام وأحكامه ، ويبعدهم عن مزالق الشرك والبدع والخرافات التي قد أشبعت العقول ضلالا ، وتحقيقا لهذا الهدف فقد (دعا المصلحون إلى العقيدة الصحيحة والرجوع إلى السلف الصالح ، وتغيير ما بالنفس من آثار الانحطاط ... وكان منهاجهم قوله تعالى : ﴿ إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ﴾ ، وسرعان ما قاموا بتوظيف هذه الآية ، فأصبح هذا يقول لا بد من تبليغ الإسلام إلى المسلمين ... وذلك يلح بوجوب العمل والتعلم وتجديد الصلة بالسلف الصالح وإحياء شعائر المجتمع الإسلامي الأول)[198]

إن مفهوم الخطاب الإصلاحي (عند رجال الإصلاح في الأمة الجزائرية يعني التجديد)[199] ، وبالرغم من (اعتقاد ابن باديس والإبراهيمي والميلي بأن حركتهم الإصلاحية هي حركة تجديد موافقة

---

[197] - **عمار طالبي** : ابن باديس حياته وآثاره ، ج 3 ، ص 42

[198] - **محمد العربي ممريش** : مالك بن نبي والاتجاه الحضاري في الحركة الوطنية بين الحربين 1920–1938م . مجلة الثقافة ، عدد 85 ، ص 208

[199] - **مبارك الميلي** : رسالة الشرك ومظاهره . ص 14

لمفهوم التجديد بمعناه السلفي ، فهم لا يدّعون الاجتهاد وإنما يكتفون بالمطالبة بـــالرجوع إلى الكتـــاب والسنة)[200]

ويرى رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين الشيخ عبد الحميد بن باديس أن (نقطة البدء في أي إصلاح هي تطهير العقائد من الشرك ، والأخلاق من الفساد ، "فلا داعي إلى تحقير أنفســـنا ، ولا موجب للقنوط من رحمة الله ، وليس لنا أن نستهين بما نزيله كل يوم من فســـاد ، فبـــدوام الســـعي واستمراره يأتي ذلك القليل من الإصلاح على صرح الفساد العظيم من أصله")[201] ، وكان منـــهج الشيخ عبد الحميد بن باديس في الإصلاح بمثابة (التفكير السديد الذي يرى أن تكون الحضارة كظاهرة اجتماعية في ظل الظروف والشروط التي ولدت فيها الحضارة الأولى ... حضارة الإسلام في عصـــوره الزاهرة ، فالإصلاح عند ابن باديس هو : التمرد على الحاضر والاستنجاد بالماضي لاكتساب الطاقـــة الحرارية التي تنقل المجتمع الجامد إلى السير نحو مستقبله يخطها بنفسه من صميم "سلفية" لا تنـــتعش إلا لتندمج في الصورة الجديدة التي تنعش حضارة ما وتسير بها إلى الأمام)[202]

واعتبر الشيخ البشير الإبراهيمي أن (القضاء على الطرقية هو قضاء على كل باطل ، وأنـــه لا يتم في الأمة الجزائرية أي إصلاح ، في كل ميادين الحياة مع وجود هذه الطرق وخرافاتها ، ومع ما لهـــا من سلطان على الأرواح والأبدان ، وإفساد للعقول وقتل للمواهب . والواقع أن جمعية العلماء لم تنفق كل أوقاتها للهجوم على الزوايا الفاسدة ، بل إن لها برنامجا إصلاحيا علميا حكيما ، وزعت على فصوله كل أعمالها معطية كل فصل ما يستحقه من الأولويـــة ، واقفة عند كل عمل حسب ما يتوفر لهـــا من

---

[200] - **عبد اللطيف عبادة** : الشرك ومظاهره عند الشيخ مبارك الميلي وشيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن تيمية ، دراسة مقارنـــة . مجلـــة الثقافة ، عدد 85 ، ص 127

[201] - **عبد الكريم بوالصفصاف** : جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في تطور الحركة الوطنيـــة الجزائريـــة 1931–1945م . ص203

[202] - **محمد العربي ممريش** : مالك بن نبي والاتجاه الحضاري في الحركة الوطنية بين الحربين 1920–1938م . مجلة الثقافة ، عدد 85 ، ص206 - 207

وسائله ، ولولا العقبات التي وضعت في طريقها لسارت في جميع فروع الإصلاح التي يشملها برنامجها بخطوات مباركة) [203]

وبما أن إصلاح المجتمع يتطلب البدء من الأساس ، فإن جمعية العلماء قد بدأت بتطهير العقائد من الخرافات التي سببتها الطرق الفاسدة المؤتمرة بأوامر الإدارة الاستعمارية ، فكانت محاربة الجمعية للطرقيين تعني محاربة الاستعمار بطريق غير مباشر ، لأن الاحتلال الأجنبي لم يكن يستطيع إرساء قواعده في البلاد ، لولا اعتماده على الفئات المحلية التي قدمت ضميرها كبش فداء من أجل المحافظة على قوتها

واتبع علماء الإصلاح في الجزائر عموما (الطريقة السلفية في الوعظ والإرشاد ، يذكّرون بكتاب الله ، ويقومون بنشره وإجلاء العبر منه ، والصحيح من السنة يوضحونه وينشرونه ، وسيرةَ الرسول العملية والقولية ، ثم سيرةَ الصحابة وهديهم ، ثم سيرة حملة السنة النبوية في أقوالهم وأفعالهم ، وهكذا ، فقد كان أسلوب العلماء في التعليم الديني هو الاهتمام بالمعنى والنفوذ إلى صميمه من أقرب سبيل يؤدي إليه وبيان الطرق العملية التطبيقية ، وتجنب اللفظيات والخلافات وكل ما يبعد عن تصور المعنى المقصود) [204]

وأورد الشيخ أبو يعلى الزواوي - رئيس لجنة العمل الدائمة لجمعية العلماء - في مقالة له بجريدة "البصائر" مفهوم الإصلاح فقال : (الإصلاح كلمة واضحة المعنى ، مفهومة لغة وشرعا وعرفا وهي ضد الإفساد ، وأجمع العقلاء من جميع الملل والنحل على أن الإصلاح محمود وضده مذموم ، غير أن الإصلاح الشرعي المؤيد من التنزيل خير من العقلي والعرفي الوضعي ؛ فلذلك رد الله على المنافقين الذين ادعوا الإصلاح بالزور والبهتان والباطل فأخبر عنهم ربنا جل جلاله بقوله : ﴿ ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين ... وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن

---

[203] - **عبد الكريم بوالصفصاف** : جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في تطور الحركة الوطنية الجزائرية 1931- 1945م . ص 204

[204] - **عبد الكريم بوالصفصاف** : المرجع نفسه . ص 147

مصلحون ، ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون ﴾ * ، ثم إن مرادنا نحن بالإصلاح ؛ هو الإصلاح الديني الشرعي أولا ، ثم الإصلاح العام حتى في شراك النعل كما قال رسول الله : " الإيمان بضع وسبعون شعبة أفضلها قول لا إله إلا الله ، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق" ، ثم يبين الشيخ أبو يعلى الزواوي أن الإصلاح الديني هو الأهم ، وأن الدين الإسلامي جاء بالإصلاح العام للأديان التي قبله وللأمم التي وجدها خاتم الأنبياء ، (فمجيء النبي كان مجيئا إصلاحيا للتحريف الواقع في التوراة والإنجيل بالزيادة والنقصان)[205]

لكن الإصلاح لم يشمل الجانب الديني فحسب - وإن كان هو الأساس- بل شمل مناحي الحياة كلها من أجل صلاح المجتمع الجزائري ، قال الأستاذ عبد المجيد النجار : (إن الشمول في العمل الإصلاحي من شأنه أن يكسب تجربة الإصلاح توازنا وتكاملا ، يؤمّن معهما إهمال جانب من جوانب الفساد ، يمكن أن يستشري ويتضخّم ، فيأتي بالنقض على سائر الجوانب الأخرى التي تحقق فيها الإصلاح ، وكم من تجربة إصلاحية كان مآلها الفشل ، بسبب اقتصارها على معالجة جانب وحيد من الواقع ، وإهمالها لسائر الجوانب الأخرى)[206] .

لهذا نحا الشيخ بيوض منحى الإصلاح العام في نظرته إلى مفهوم الخطاب الإصلاحي ، حين خاطب الحركة الإصلاحية ، فقال : (" إخواني الفضلاء ... و لم يكن عملي خاصا بميدان العلم ، ولكن بتناول جميع نواحي الأمة ، وظيفتي غسل العار عن الأمة ، وتطهيرها من أدناسها ، بشباب صالح مثقف بالثقافة الصحيحة ، أكفاء لكل ما يسند إليهم)[207] ، ويصرح الشيخ بيوض بأن مفهومه للإصلاح يشمل كل القطاعات ومناحي الحياة ، فيقول : ("ونحن واثقون بالنجاح والنصر النهائي ، نصلح كل مجلس ، وندخل كل محكمة ، ونتبوأ كل منصب ، ونقضي على كل فساد ، فيعم الإصلاح جميع الهيئات

---

* - **سورة البقرة** : الآية 8 - 12

[205] - **مجموعة جريدة البصائر** . السنة الأولى . ص 28

[206] - **نور الدين سوكحال** : الشيخ بيوض إبراهيم ومنهجه في الإصلاح . رسالة ماجستير ، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية ، معهد أصول الدين ، قسم الدعوة والإعلام ، قسنطينة ، الجزائر ، ص191

[207] - **محمد علي دبوز** : أعلام الإصلاح في الجزائر . مطبعة البعث ، قسنطينة ، سنة 1980م ، ج 4 ، ط1 ، ص 106

والمؤسسات ...)[208] ، ويرد الشيخ بيوض على كل من يعمل على تضييق دائرة الإصلاح بحجة عدم إثارة الفتن ، داعيا إلى أن يعم الإصلاح كل ناحية ، فقال : ("من طبيعة الدعوة أن تجيب طائفة وتبقى أخرى ، لا نترك الدعوة إلى الله خوفا من أن يفترق الناس ، أنترك المدارس والجمعيات والنوادي وهذه الحفلات خوف الافتراق والشقاق ؟! ذلك هو الضلال المبين ... من الحمق بمكان أن نترك الدعوة إلى الإصلاح حتى يفهم الناس ، إنهم لا يفهمون إلا بالدعوة ، والدعوة من طبيعتها أن تقابل بالقبول أو الرفض ، سنة الله في خلقه ، كثير من الصحابة الكرام كانوا يوم بدر مشركين ، حاربوا رسول الله ، لو استطاعوا لقتلوه ، ولما فتحت مكة كانوا في جنب الرسول ، يفدونه بأنفسهم ، وهكذا دعوة الإصلاح والمصلحين ، يكون صاحب الفكرة الإصلاحية وحده أول الأمر ، ويكون أقرب الناس إليه عدوا له ، يناصبه العداء ، ثم يصبح هؤلاء - حتى إذا فهموا وشرح الله صدورهم للإصلاح - أشد الناس تحمسا ونصرة له ، حتى إنهم ليغلون فيه ، نكبح جماحهم ، ونأمرهم بالأناة والاعتدال ، ذلك ما بلوناه وجربناه في دعوتنا")[209]

ج - أهداف الخطاب الإصلاحي عند جمعية العلماء المسلمين الجزائريين :

من أهم مطالب الخطاب الإصلاحي التي تمسكت بها الحركة الإصلاحية في الجزائر ، واعتبرتها من أولوياتها : محافظة الأمة على شخصيتها ولسانها وديانتها ، أما المطالب المرفوعة إلى الإدارة الفرنسية فتتمحور حول ضرورة المحافظة على الدين الإسلامي ونشره بواسطة مؤسساته سواء التعليمية أو المساجد وتقويتها ، وتعزيزها بعناصر جديدة من خريجي مدارس دينية تنشأ من أجل هذه الغاية ، ومن ثم ضرورة (تسليم المساجد للمسلمين مع تعيين مقدار من ميزانية الجزائر لما يتناسب مع أوقافها ، وتولى جمعيات دينية مؤسسة على منوال القوانين المتعلقة بفصل الدين عن الحكومة)[210] ، ثم (إنشاء جمعية دينية تأخذ على عاتقها مهمة الإشراف على المساجد ، وإصلاح التعليم الديني ، ودعم المدارس الدينية

---

[208] - **محمد علي دبوز** : أعلام الإصلاح في الجزائر ، ج 4 ، ص 106

[209] - **محمد علي دبوز** : المرجع نفسه . ص 95

[210] - **عبد الكريم بوالصفصاف** : جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في تطور الحركة الوطنية الجزائرية 1931 – 1945 م . ص 258 و 376 و 382

التي يتخرج منها رجال القضاء الإسلامي ، مع إصلاح المحاكم الشرعية ، وهي محـــاكم في جوهرهـــا إسلامية تعتني بمبادئ الشريعة أكثر من اعتنائها بالقضاء الشرعي)[211] .

وأملا في تحقيق هذه المطالب (اتخذ المصلحون في إصلاح المجتمع الجزائري قوله تعالى : ﴿إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ﴾ * دستورا لهم ، فعملوا على تطهير وتنقية الإسلام من البدع والخرافات التي ألصقت به ، وإحياء ما اندثر من معالم الإسلام ، وما مات من معالم اللغة العربية)[212] ، كما عملوا على تحقيق أسمى الأهداف الإصلاحية ، وأعظم هذه الأهداف هو (النهوض بالأمة الجزائرية نهضة أخلاقية على أساس الدين والعلم على نور الكتاب والسنة وهدي صالح سلف الأمة)[213] ، ذلك أن الإسلام - كما قال ابن باديس- : (هو دين الله الذي أرسل به جميع أنبيائه وكمل بـــه هدايتـــه ، وعمم الإصلاح البشري به على لسان خاتم رسله ، هو دين جامع لكل ما يحتاج إليه البشـــر أفـــرادا وجماعات لصلاح حالهم ومآلهم ، فهو دين لتنوير العقول ، وتزكية النفوس ، وتصحيح العقائد ، وتقويم الأعمال فيكمل الإنسانية ، وينظم الإجماع ، ويشيد العمران ، ويقيم ميزان العدل ، وينشر الإحسان ، لكن الإسلام الطاهر النقي الذي يدعو إلى العمل والتقدم والتطور ، قد صار بفعل الخرافـــات والبـــدع والشعوذات إسلاما يدعو إلى التواكل وعدم مجاراة الأمم المتطورة)[214] .

ولا يتم هذا الإحياء إلا بعودة المسلمين (ورجوعهم إلى عقائد الإسلام المبنية ، وفضائله المبنية على القوة والرحمة ، وأحكامه المبنية على العدل والإحسان ، ونظمه المبنية على التعاون بـــين الأفـــراد والجماعات والتآلف والتعامل ، وأن لا فضل لأحد على أحد إلا بتقوى الله ، ومن اتقى الله فهو أنفـــع

---

[211] - **عبد الكريم بوالصفصاف** : جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في تطور الحركة الوطنية الجزائرية 1931- 1945م ، ص 258

* - **سورة الرعد** : آية 11

[212] - **عبد الكريم بوالصفصاف** : المرجع السابق ، ص 105 – 106 و 362

[213] - **عمار طالبي** : ابن باديس حياته وآثاره . ج 3 ، ص 212

[214] - **تركي رابح** : الشهاب – لسان الإسلام والعروبة والوطنية في الجزائر (1925 – 1939) - دورها في نهضة الجزائر الحديثة . مجلة الثقافة ، عدد 81 ، ص 204 – 205

الخلق لعباد الله ، وقد نادى العلماء المصلحون في الجزائر بأن (الدين ليس عبادات خرافية ، وتوسلات لشيوخ الزوايا ، ولكنه قبل كل شيء طريق إلى العيش الكريم والحرية العقلية والسياسية)[215]

كما دعا الخطاب الإصلاحي إلى (تطهير البلاد من الخرافات والبدع التي أحاقت بالـــدين ، وخدمة العلم والمسلمين الجزائريين ، وإلى تكوين الشعب الجزائري وتثقيفه ، وتزويده بالآداب الحميدة والأخلاق الكريمة ، وتوعيته اجتماعيا ودينيا ، وتعليم الجزائريين لغتهم ودينهم ، ودعا الجزائـــريين إلى الحفاظ على جنسيتهم وقوميتهم العربية السامية)[216] ، و محاربة الجهل والجمود والدجل والخرافة وكل أنواع الأباطيل ، و محاربة كل واقف في طريق التعلم والتعليم أي نوع من أنواع التعلم والتعلـــيم ، و محاربة الزردات والوعدات والفدوات وبدعة المآثم ومنكرات الولائم وكل وجوه السرف وأكل أمـــوال الناس بالباطل ، و محاربة الآفات الاجتماعية كالخمر والميسر والبطالة والفجور ، فكل ما يفسد علـــى الناس عقولهم أو يضيع عليهم أموالهم فهو من تلك الآفات .

إن أهداف الخطاب الإصلاحي تتمركز حول إحياء العقيدة الإسلامية في الأمـــة الجزائريـــة ، والقضاء على تلك البدع والخرافات ، بإصلاح عقيدة المجتمع الجزائري المسلم ، وتزكيتها وتطهيرها من ضلال الشرك وفتنة البدع وتخدير الخرافة ، وتطهير المجتمع الجزائري من مظاهر التواكل الـــتي عملـــت الصوفية المنحرفة على غرسها في أوساطه ، وقد كانت أكبر هموم الشيخ مبارك الميلي - في خطاباتـــه- الحال التي آلت إليها الأمة بإتباع طريق البدعة والشعوذة والخرافات ، وما إليها من طرق الشيطان الـــتي تذهب المروءة في الإنسان ، وتترل بالمجتمع إلى الحضيض الأسفل ، فعمل الشيخ مبارك على تصـــحيح مفاهيم الدين الإسلامي والعقيدة التي ينبغي للناس فهمها حتى لا يزيغوا عن سبيل الحق وينحرفـــوا إلى الشرك ، وتبصير الناس بما لهم وما عليهم في حياتهم الدينية والدنيوية تجاه خالقهم الله عز وجلّ ، وتجاه أمتهم الجزائرية العربية المسلمة ، وتجاه أنفسهم ، وتجاه الناس جميعا ، و(سلامة المسلمين من الآفـــات الاجتماعية حتى يتمكنوا من الرقي في جميع نواحي الحياة إلى أقصى ما تترقى إليه الأمم ، فيكـــــــونوا

---

[215] - **عبد الكريم بوالصفصاف** : جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في تطور الحركة الوطنية الجزائريـــة 1931 - 1945 م . ص 363 و 373

[216] - **عبد الكريم بوالصفصاف** :. المرجع نفسه . ص 130 و 134

محترمين من أنفسهم ومن غيرهم ، يفيدون ويستفيدون ، ويعرفون كيف يسوسون ، وكيف يساسون ، فتربح بهم الإنسانية عضوا من خير ما عرفت من أعضائها)[217] .

ورأى الدكتور خير الله أبو علي السوري أن هدف الخطاب الإصلاحي (يتمثل في تثقيف وتهذيب المسلمين ، ودعوة القوم إلى ترك الخرافات الدخيلة على الإسلام والرجوع "للإسلامية" البسيطة الأساس ، النقية المبادئ ، أما فرحات عباس فقال إن هدف الخطاب الإصلاحي يتلخص في الرجوع إلى العربية والإسلام ، ومحاربة أصحاب الزوايا والطرقيين المتواطئين مع الاستعمار ، وتكوين إطارات الثقافة العربية ، وأما الإدارة الفرنسية فرأت أن الخطاب يتمثل في تجديد الإسلام وتطهيره من الخرافات التي ألصقها به شيوخ الزوايا ، وتطوير التعليم الديني والثقافة العربية ، ورأى جوزيف ديبارمي سنة 1932 م أن الهدف من وراء الخطاب الإصلاحي هو فهم لغة القرآن ، والرجوع إلى الثقافة الإسلامية القديمة ، وجعل المغرب العربي كقلعة للعبقرية الشرقية في وجه الغرب وتنقية وتبسيط الدين الإسلامي ، ورأى شارل أندري جوليان أن الهدف من الوجهة الدينية هو الرجوع بالإسلام في الجزائر إلى نقاوته الأصلية ... ومن الوجهة الثقافية سعوا إلى جمع شتات المجموعة الإسلامية بالتقريب بين السنيين والخوارج والعرب والبربر دون ميز في الجنس أو الأصل قصد خلق كتلة واحدة من المسلمين الجزائريين ، ورأى الشيخ عبد الحميد بن باديس أن الهدف الأول من الإصلاح هو (ضمان وجود الشخصية الجزائرية)[218] ، كما رأى الشيخ ابن باديس أن فكرة الإصلاح الديني تتحقق (بتعرية الإسلام مما أحدثه فيه المبتدعون ، وحرفه الجاهلون ، وبيانه كما جاء في القرآن والسنة المطهرة ، وعمل به السلف الصالحون ، معلنا أن المسلمين بذلك وحده تصفو عقائدهم وتزكو نفوسهم ، وتستقيم أعمالهم ، وينبعثون عن قوة وبصيرة في الأخذ بأسباب الحياة الراقية ، والمدينة الطاهرة ، مشاركين أمم

---

[217] - **عبد الكريم بوالصفصاف** : جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في تطور الحركة الوطنية الجزائرية 1931 - 1945 م ، ص 372 - 373

[218] - **عبد الكريم بوالصفصاف** : المرجع نفسه ص 106 - 108

الدنيا في خدمة الإنسانية ، وترقية الحضارة التي غلبت عليها المادية والأنانية ، وتفشت فيهـــا أمـــراض ليست من التمدن الحقيقي في كثير ولا قليل)[219]

إن الحركة الإصلاحية قد (قامت أساسا من أجل إعادة بناء المواطن على هـــدي مـــن الله ورسوله ، وبناء الشخصية رسالةَ تربوية وتعليمية بالدرجة الأولى ، وقد كرست الخطابات الإصـــلاحية جهودها في إعادة بناء الإنسان المسلم العربي ، وتصحيـــح علاقة هذا الإنسان بخالقه ، وتنقيـــة لقائـــه بدينه ، وترشيد فهمه لكتاب الله وسنة رسولـــــــه ، مراجعة فهمه لذاته ورسالتها في الحياة)[220].

[219] - **تركي رابح** : الشهاب - لسان الإسلام والوطنية والعروبة في الجزائر - دورها في نهضة الجزائر . مجلة الثقافـــة ، عـــدد 81 ، ص 177

[220] - **صالح خرفي** : المدارس والمعاهد العليا ، دورها في النهضة العربية الحديثة . المجلة الجزائرية للتربية ، عدد 4 ، ص 38 و 45

الفصل الثاني :

الخطاب الإصلاحي

عند الشيخ مبارك الميلي

أولا : تعريف بالشيخ مبارك الميلي :

أ – ولادته ونشأته :

مبارك الميلي هو (الشيخ مبارك بن محمد بن رابح بن علي إبراهيمي لقبه ولقب أسرته الميلي نسبة إلى مدينة الميلية التي نشأ في دائرتها ، وبالقرب منها في "قريتين" في دوار أولاد مبارك * ، وقضى فيهما طفولته ، وكانتا وطن آبائه وأجداده ، وكان جده الأول رابح من أعيان قريته البارزين ، متمسكا بالدين غيورا عليه ، شديد الحب للخير . ولد في العام 1898م ، حسب ما ذكر الأستاذ محمد الميلي)[221] ، وهناك روايات تقول إنه ولد في 23 مايو عام 1896م [222] ، في (شمال قسنطينة في قرية أرمامن من ناحية موزال منها ، بأولاد مبارك وطن أبائه وأجداده . وفي شهور مبارك الأولى توسم فيه والده وجده رابح النجابة والصلاح وقوة الشخصية ، وعلقا فيه آمالهما الكبيرة للأسرة والوطن ، فاعتنيا بتربيته ، وغرسا فيه أحسن الصفات منذ الطفولة الأولى ، وكان سلوة أبيه ووالدته وأسرته ، وقرة عينهم ، يملأ نفوسهم بمرحه وحيويته القوية ، وتزدان مجالسهم بمناغاته وهو صبي ، وبمحادثته وهو طفل في الثانية والثالثة من عمره فيعجبون بذكائه وأجوبته وحديثه)[223]

ولما بلغ الشيخ مبارك الميلي الأربع سنوات توفي والده رحمه الله [224]، (فكفله جده رابح فزاد في رعايته ، وعوضه ما فقد بوفاة والده ، وأسبغ عليه حبه الشديد ، وحنانه القوي ، وازداد عناية بتربيته ، فغرس فيه العقيدة الدينية بجو الأسرة والقرية الديني القوي ، وبإيحائه هو ووسائله التربوية الأخرى ، وحبب إليه الدين ، وعوده الأخلاق الإسلامية ، ووجهه إلى الله ، وعلمه أن يعمل لله ويبتغي

---

* - **دوار أولاد مبارك** : من قرى بلدة الميلية بولاية قسنطينة ، وهي الآن تابعة لولاية جيجل

221 - **محمد علي دبوز** : أعلام الإصلاح في الجزائر من عام 1921 إلى 1975 م . مطبعة البعث ، قسنطينة ، عام1978م ، ط 1، ج 3 ، ص 16 ص 31

222 - **نسخة من سجلات شهادات الميلاد والوفاة** . صادرة عن بلدية ميلة ، اعتمادا على تصريح أدلى به السيد دريدي محمد ، رقم الشهادة 100

223 - **محمد علي دبوز** : المرجع السابق . ص 31- 32

224 - **أبو القاسم سعد الله** : تاريخ الجزائر الثقافي . بيروت ، دار الغرب الإسلامي ، 1998 ، مجلد 7 ، ص 409

رضاه ، ويستعين به ويتوكل عليه ، و بعد قليل من وفاة والده توفيت أمه فأصبح مبارك يتيم الأبوين ، فحضنته جدته الأولى من والده حرم جده رابح السيدة حفصية بنت أحمد مزهود ، فقامت له مقام أمه ، تملأه بحنانها ، وترعاه وتربيه رعاية وتربية الأم الرءوم لوحيدها الحبيب ، فنشأ مبارك في حجر جده وجدته ، في بيت الغنى والعز والمجد ، فكان عزيزا رافع الرأس ، واثقا بنفسه ... وظل كذلك على عزة النفس والوثوق بها في كل حياته ، فكان ذلك من أسباب نبوغه في العلم)[225]

ولما (وصل مبارك السادسة من عمره ، أسرع به جدُّه رابح إلى كتاب القرية ليحفظ القرآن الكريم ، ففرح مبارك بدخوله الكتاب ، فأحب كتاب الله ، وأقبل على حفظ القرآن في رغبة قوية ، ونشاط كبير ، وحافظة نادرة فسبق أقرانه في حفظ القرآن ، فسرّ جده رابح سرورا عظيما بنبوغ حفيده في الكتّاب ، وكان يتلو سوره في كل ليلة في الدار ، فيصغي جده في نشوة لتلاوته ، ويعجب بجودة حفظه ، وتقدمه السريع في حفظ كتاب الله ، فيضمّه إلى صدره ، ويثني على نبوغه وحبه للكتّاب ، ويحدثه عن علوم العربية والدين ويحببها إليه)[226]

وتلقى مبارك (تعليمه الأول في الكتاتيب كغيره من الأبناء الجزائريين ، وختم حفظ القرآن الكريم على يد الشيخ أحمد بن الطاهر مزهود * بجامع سيدي عزوز الواقع بقرية أولاد مبارك [227] .

ويتحدث الشيخ أحمد بن الطاهر مزهود عن تتلمذ مبارك على يديه ، فيقول : (إن الشيخ مبارك الميلي من تلاميذي في الكتّاب ، ابتدأ حفظ كتاب الله علي يدي ... وأنا الذي علمته الحروف الهجائية ، وواصل حفظ القرآن عليّ في الفصول التي تقيمها أسرته عندنا ، في جوارنا بأرمامن حتى ختمه ، وأعاد حفظه واستظهره ، له ذاكرة قوية ، وذكاء وجدية ، واجتهاد في حفظ كتاب الله ... وجدّةُ مبارك من أبيه هي السيدة حفصية وهي ابنة عمي) [228] ؛ ومن ثم فإن الشيخ مبارك الميلي تجمعه

---

[225] - **محمد علي دبوز** : أعلام الإصلاح في الجزائر من عام 1921 إلى 1975م . ج3 ، ص 32

[226] - **محمد علي دبوز** : المرجع نفسه . ص 24

* - **أحمد بن الطاهر مزهود** : هو شيخ جليل وقور محترم في دوار أولاد مبارك

[227] - **أبو القاسم سعد الله** : تاريخ الجزائر الثقافي . مجلد 7 ، ص 409

[228] - **محمد علي دبوز** : المرجع السابق . ص 25

علاقة قرابة بمعلمه الشيخ مزهود ، فجدة الشيخ مبارك من أبيه هي بنت عم الشيخ مزهود الذي توسم فيه الخير والصلاح ، ولمس فيه روح الاجتهاد في طلب العلم وتحصيله .

ولما (بلغ مبارك عشر سنين ، توفي جدّه في الحجاز حاجا ، ثم كفله عمه الأكبر أحمد ومعه عمه الثاني علاوة وهو أصغر من أحمد ، ثم لما بلغ خمس عشرة سنة هرب إلى زاوية الشيخ حسين للتعلم ، وقد علم من معلمه في الكتاب ، ومن جده ومعارفه أن هذه الزاوية القريبة من مدينة ميلة ، تبعد عن قريته بنحو 27 كيلومترا ؛ وهذه الزاوية هي معهد لتحفيظ القرآن وتدريس العلوم العربية والشرعية ، وهي تكفل الطلبة الغرباء الذين ينقطعون فيها للتعلم في كل الضرورات ، فتقدم إليهم الغذاء ، والكساء ، وتأويهم ، ويجدون فيها كتب الدراسة ، وتحسن إليهم ، وتغدق عليهم من أوقافها الكثيرة)[229]

ولكون (بلدة ميلة معروفة باستقطاب طلاب حفظ القرآن بصدر رحب وكرم مشكور)[230] ، فقد (أخذ مبارك لوحه الذي يحفظ فيه ، وما خف من ثيابه ، وهرب خفية من أهله ، فمشى على رجليه ، مسرعا قاصدا تلك الزاوية التي وصلها بعد مسيرة نحو يومين ، لكن عمه أحمد بحث عنه ، وعلم بوجوده في زاوية الشيخ حسين ، فأرجعه إلى البيت ، وصار يراقبه مراقبة شديدة حتى لا يفر مرة أخرى ، لكن (مبارك يستغل فصل الشتاء البارد ، وتخفيف عمه أحمد الحراسة عليه، ليمضي سائرا في يوم مثلج ، قاصدا مدينة ميلة ، فقطع راجلا مسافة 35 كيلومترا ، حتى وصل إلى ميلة [231] ، وقصد المسجد الكبير في ميلة القديمة ، حيث يدرّس الشيخ محمد الميلي ، ويقضي فيه جل نهاره ، فالتقى مبارك بالشيخ محمد الميلي بقرب المسجد ، وتعرف عليه ، ولما اكتشف المعلم محمد الميلي في مبارك محبة العلم والاجتهاد وحفظ القرآن ، ضمه إلى تلاميذه ، وآواه)[232] ، فتلقى (مبارك المبادئ الأولى من علوم الدين على يد معلمه الشيخ المصلح محمد بن معنصر الميلي "ولد 1870م")[233]

---

200 - **محمد علي دبوز** : أعلام الإصلاح في الجزائر ، من عام 1921م إلى 1975م . ص 33 و 35 و 42

201 - **محمد صالح الجابري** : المؤرخ الجزائري مبارك الميلي في الصحافة التونسية . مجلة الثقافة ، عدد 102، ص 30

202 - **محمد علي دبوز** : المرجع السابق . 42 - 46

203 - **أحمد حماني** : صراع بين السنة والبدعة . مجلد 2 ، ص 14

204 - **محمد الصالح الجابري** : المرجع السابق ، ص 30

ومكث مبارك (بميلة أربع سنوات ، ثم التحق بدروس الشيخ عبد الحميد بن باديس ، فتتلمذ على يده بالجامع الأخضر بمدينة قسنطينة شرق الجزائر العاصمة ، وكان من أذكى التلاميذ ، وأحرصهم على الانتفاع بدروس الشيخ عبد الحميد ، فتلقى عن أستاذه الأفكار الإصلاحية بحماس وإيمان ، أهلته أن يكون فتى من فتيان الجزائر العاملين للنهوض بدينهم ووطنهم . كما أنه أخذ عن جلة رجال العلم ، ومن أخلص أساتذته المفكر الحر عثمان بن الخوجة ، والأستاذ محمد النخلي ، الذي كان من أكبر الذين غرسوا الأفكار الإصلاحية ، التي تمثل الدعامة الكبرى لنهضتنا الحالية ، والأستاذ الشيخ الصادق النيفر الذي لا يجهل أحد آثاره في النهضة الاجتماعية والسياسية لهذا القطر ، والأستاذ محمد بن القاضي علامة النقل والتحقيق)[234]

كان التلميذ مبارك الميلي بالنسبة إلى الأستاذ الشيخ عبد الحميد بن باديس (من أحب وأعز تلامذته الكرام فشجعه إلى دروسه إلى أن بلغ من العلم ما أهله إلى التعليم العالي فبعث به إلى تونس ليتلقي عن كبار علماء جامع الزيتونة ...)[235] .

درس الشيخ مبارك الميلي في جامع الزيتونة مدة ثلاث سنوات على يد الشيخ محمد الطاهر بن عاشور في مادة الأدب العربي عموما وديوان الحماسة لأبي تمام خصوصا ، مما جعله يتبحر في كلام العرب ويسيطر بإتقان على المنظوم والمنثور)[236] ، و (أخذ عن الشيخ محمد النخلي القيرواني علم التفسير بأسلوب سهل تجاوز تعقيدات المفسرين الجدلية والاصطلاحية المذهبية ، وتحرر من قيود التقليد)[237] .

---

[234] - **محمد الصالح الجابري** : المؤرخ الجزائري مبارك الميلي في الصحافة التونسية . مجلة الثقافة ، عدد 102، ص30

[235] - **عبد الرحمن الجيلالي** : من وحي ذكرى مرور أربعة عقود سنوية على وفاة العلامة النابغة الشيخ مبارك الميلي . مجلة الثقافة ، عدد 80 ، ص 188

[236] - **عبد الحميد بن باديس** : آثار عبد الحميد بن باديس. مطبوعات وزارة الشؤون الدينية ، دار البعث ، قسنطينة ، عام1982م ، ج 3 ، ص 271 - 272

[237] - **عبد الحميد بن باديس** : مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير . مطبوعات وزارة الشؤون الدينية ، دار البعث للطباعة والنشر ، قسنطينة ، عام 1982م ، ط 1 ، ص474 - 475

كان (مبارك الميلي قد حل بتونس ضمن أفراد البعثة الأولى التي أوفدها الشيخ ابن باديس بعد عودته إلى الجزائر وانتصابه للتدريس بقسنطينة ، ومن الشائع أن هذه البعثة كانت قد وصلت إلى تونس سنة 1913م ، غير أن اندلاع الحرب العالمية الأولى سنة 1914م ، كان قد اضطرها للعودة إلى الجزائر بعد إغلاق جميع المعاهد ، لكن المرجح أن هذه البعثات استأنفت رحلتها العلمية في اتجاه الزيتونة دونما انقطاع بداية من1917م ، وأن الكوكبة الأولى من هذه البعثة كانت تضم ثلة من ألمع التلاميذ النجباء الذين اصطفاهم ابن باديس اصطفاء ، أمثال مبارك الميلي ، وعبد السلام القسنطيني ، والعربي التبسي ، ومحمد السعيد الزاهري ، ومحمد العيد آل الخليفة)[238]

كان الشيخ مبارك محل عناية الأساتذة بجامع الزيتونة فتفاءلوا به خيرا ، فلازم الدراسة بجد واجتهاد حتى النهاية بتحصيل شهادة التطويع 1924م ، ثم عاد إلى قسنطينة عالما متأدبا ، فعقد عزمه على تكريس حياته لخدمة العلم والدين والوطن)[239]

لكن الشيخ مبارك الميلي (يتحدى مرضه الذي اشتد عليه في أيامه الأخيرة ، محاولا القيام ولو بأدنى الأعمال التعليمية والإصلاحية ، حيث شوهد حضوره بمدرسة التربية والتعليم بقسنطينة قبل يوم واحد من وفاته منهكا ، ثم طلب نقله إلى ميلة لتأخذه سكرة الموت بين أهله هناك ، دخل في غيبوبة انتقل بعدها إلى العالم الآخر في يوم 25 صفر سنة 1364 هـ ، الموافق لـ : 9 فبراير 1945م ، وقد دُفن الشيخ مبارك الميلي رحمه الله بجانب قبر أستاذه القديم محمد بن معنصر الميلي)[240] .

وعندما بلغ خبر نعي الشيخ مبارك الميلي (الأوساط التونسية ، باغتها النبأ المريع وعمها الحزن والأسى ، فاعتبرت فقده خسارة كبيرة للحركة الإصلاحية في الجزائر وللشمال الإفريقي ، وللعالم الإسلامي بأسره ، ودعت جمعية الشبان المسلمين لإقامة حفل تأبيني له بمناسبة مرور أربعين يوما على وفاته ، حضره جل علماء الزيتونة ، وجمع غفير من الطلبة التونسيين والجزائريين ، وبعض المدعوين من

---

238 - **محمد الصالح الجابري** : المؤرخ الجزائري مبارك الميلي في الصحافة التونسية ، مجلة الثقافة ، عدد 102 ، ص 19

239 - **عبد الرحمن الجيلالي** : من وحي ذكرى مرور أربعة عقود سنوية على وفاة العلامة النابغة الشيخ مبارك الميلي . مجلة الثقافة ، عدد 80 ، ص 188

240 - **أحمد حماني** : الصراع بين السنة والبدعة . مجلد 2 ، ص 17– 18

الجزائر ، وأفردت مجلة "المجلة الزيتونية" لهذا الحفل ملفا خاصا تضمن معظم ما ألقي خلاله من كلمات ودراسات وقصائد شعرية ، و ما من شك في أن ما تركه خبر نعيه في الشعب التونسي من تأثر وحزن لم يحظ به عالم جزائري بما في ذلك ابن باديس نفسه ، الذي لم تقم له حفلة تأبين مخصوصة ، على شدة اهتمام التونسيين به ، وتقديرهم لمكانته [241] ، ويدل هذا على المكانة العلمية المرموقة التي كان يحتلها الفقيد بين زملائه وأساتذته وطلبته في الجامع الأعظم .

وقد أحسن الشيخ البشير الإبراهيمي الأديب الجزائري المتميز أن يصف الفراغ الرهيب الذي تركه الشيخ مبارك الميلي بوفاته ، فجاء بوصف لغوي جيد ، إذ (قال في الذكرى الثالثة لوفاته : "... مبارك الميلي الذي فقدته الجزائر من ثلاث سنين ففقدت بفقده مؤرّخها الحريص على تجلية تاريخها المغمور ، وإنارة جوانبه المظلمة ، ووصل عراه المنفصمة ، وفقدته المحافلُ الإصلاحية ؛ ففقدت منه عالماً بالسلفية الحقة عاملاً بها ، صحيح الإدراك لفقه الكتاب والسنة ... وفقدته دواوين الكتابة ؛ ففقدت كاتبًا فحلَ الأسلوب جزل العبارة لبقاً بتوزيع الألفاظ على المعاني ... وفقدته مجالسُ النظر والرأي ففقدت من لا يُبارى في سوق الحجة وحضور البديهة ، وسداد الرمية ، والصلابة في الحق ، والوقوف عند حدوده ، وفقدته جمعية العلماء ففقدت ركناً باذخاً من أركانها لا كلاً ولا وكلاً، بل نهّاضاً بالعبء مضطلعًا بما حمل من واجب ، لا تُؤتَى الجمعية من الثغر الذي تكل إليه سدّه ، ولا تخشى الخصم الذي تسند إليه مراسه ، وفقدت بفقده عَلَماً كانت تستضيء برأيه في المشكلات ، فلا يرى الرأي في معضلة إلا جاء مثل فلق الصبح")[242]

وها هو الشاعر الجزائري الكبير محمد العيد آل خليفة يشيد بالأعلام المصلحين الذين عد من بينهم الشيخ مبارك الميلي ، وقد (أكد محمد العيد دور الشيخ مبارك في بعث نهضة الأمة الجزائرية ؛ هذه النهضة هي التي كانت مهدا للثورة الجزائرية التي قامت في شهر نوفمبر 1954 م)[243] ، قال الشاعر محمد العيد آل خليفة :

---

[241] - **محمد الصالح الجابري** : المؤرخ الجزائري مبارك الميلي في الصحافة التونسية ، مجلة الثقافة ، عدد 102 ، ص 26

[242] - **البشير الإبراهيمي** : آثار محمد البشير الإبراهيمي . دار الغرب الإسلامي ، بيروت 1997م ، مجلد 2 ، ص 183

[243] - **عبد الحميد بن باديس** : آثار ابن باديس . ج 4 ، ص118

(سلام على الأعلام ما طاب ذكرهم وآثـــــارهم في العلم ، والعلم يخلد
لقد زرعوا زرعا فأخرج شطـــــأه كأخصب محصول لمن هبّ يحصد
وأبقوه للأجيال ذخرا مبـــــــاركا وزادا من الذكرى لمـــــن يتزوّد
وأقبل جيل بعـــــــده غرس ثورة عصـــــامية يرجـــو النمو وينشد
ويبني على أرض الجزائر أمـــــــة مثـــــــــــالية في وعيها ويشيد)[244]

ب - أعماله الإصلاحية :

انضم الشيخ مبارك الميلي (إلى الدعوة الإصلاحية ، وباشر المهمة التي أوكلت إليه في مجـــالس التعليم والإرشاد ، ولازم شيخه ابن باديس ، فاقتبس من هذه الشخصية المرموقة الوفاء للمبادئ والمثـــل وعزف - مثل شيخه ابن باديس- عن الوظيفة الرسمية ، والتمس في الدعوة الإصلاحية الغاية التي تمحض للقيام بها ، ونذر لها حياته وفكره ، وغايته هي الإسهام في النهضة الجزائرية ، والتنقـــل بـــين المـــدن والقرى ، شمالا وجنوبا ، شرقا وغربا في سبيل نشر اللغة والدين ، ومقاومة الطرقية والبدع ، وتربيـــة النشء ، وتأسيس المدارس ، وبث الوعي في الأجيال وتحريضهم على الارتحال للدراسة بالزيتونة)[245]

واستقر الشيخ مبارك الميلي (بمدينة قسنطينة ، فعمل فيها مُعلماً بمدرسة قرآنية عصرية تابعـــة لمسجد سيدي بومعزة ، القريبة من مطبعة وإدارة جريدة الشهاب)[246] ، فكان له ممارسة التعليم بهـــذه المدرسة القرآنية سنة 1925م ، وقد عمل فيها مديرا ومدرسا نحو أربعة عشر شهرا)[247] ، وبدأ الشيخ مبارك الميلي (بتشخيص الحالة التعليمية بالمكتب العربي بسيدي بومعزة ، انطلاقا من النظـــام الدراســـي والحجم الساعي وعلاقتهما بالأهداف التربوية التعليمية المنشودة ، وقد أعطى الشيخ مبارك الميلي للنظام الدراسي والحجم الساعي مكانتهما اللائقة ، قال في (كلمة ألقاها أمام لجنة أولياء التلاميذ :

---

[244] - **ينظر أحمد حماني** : موضوع حول الصراع بين السنة والبدعة . مجلة الثقافة ، العدد 38 ، 1977م ، ص105

[245] - **محمد الصالح الجابري** : مبارك الميلي في الصحافة التونسية. مجلة الثقافة ، عدد102 ، ص20

[246] - **أحمد حماني** : صراع بين السنة والبدعة . ص 14

[247] - **عبد الرحمن الجيلالي** : من وحي ذكرى مرور أربعة عقود سنوية على وفاة العلامة النابغة الشيخ مبارك الميلـــي . مجلـــة الثقافـــة ، عدد 80 ، ص 188

" لابن اليوم من أي طبقة كان بالمكتب ست ساعات كل أسبوع توزع عليه أنواع الدروس التي يتعاطاها ، ومن الدروس ما يجب حفظه ، ومنها ما يكتفي بمراجعته ، ومنها ما تكون أسئلة يملي إجابته من عنده لمعرفة مقدار تحصيله ، أما في الحجم الساعي للدراسة ، فقد خصص الشيخ مبارك الميلي (خمس ساعات كل يوم ، من الثامنة إلى الحادية عشر صباحا ، ومن الثانية حتى الرابعة مساء ، كما فصل بين التلامذة المنتظمين بمدرسته ، والذين يذهبون إلى المدرسة الفرنسية في أقسام منفصلة ، حيث كان التلامذة في السنة الأولى والثانية في فصول يدرسهم الشيخ محمد علي بن عزوز ؛ أحد مساعديه ، ويكمل التلامذة السنوات الثلاث الأخرى من الدراسة على يد الشيخ مبارك الميلي ، أما تلامذة المدرسة الفرنسية ، فقد كان توقيتهم مساء كل يوم بعد خروجهم من المدرسة في أيام محددة من عطلتهم الأسبوعية والسنوية)[248] ، ولعل هذا النظام الدراسي الجديد قد جعل الدراسة أكثر تنظيما ووفّر الوقت المناسب لتطبيق أساليب التعليم وتطويرها ، وبهذا النظام بدأ الشيخ مبارك بإصلاح وسائل التعليم وتجديده ، فكان الشيخ مبارك (يكتب لتلامذته جزءا من القرآن الكريم على السبورة ويفسره حتى يفهموه ويحفظوه)[249] ، وهذا العمل هو أسلوب جديد في تعليم القرآن ، مقارنة بما كان سائدا حيث الحفظ ثم السرد دون تفهيم أو تفسير ، كما اجتهد الشيخ مبارك الميلي في (استعمال وسائل التعليم ، ومنها استعمال الكتاب المدرسي)[250] ، وساعد نظامه الجديد في التعليم (بإجراء أول امتحانات الحصول على شهادة التعليم الابتدائي في نهاية السنة الدراسية 1930م ، كما أن هذا النظام الجديد يمكن المدرسة من إعداد طلابها للالتحاق بالجامع الأخضر بقسنطينة)[251] .

وقد ظل الشيخ مبارك الميلي في مدينة قسنطينة (حتى بداية عام 1927م ، ثم غادر إلى مدينة الأغواط جنوب الجزائر ، وقام فيها (بتأسيس "مدرسة الشبيبة" وأشرف في هذه المدرسة على تدريس

---

[248] - **علي بن الطاهر** : مبارك الميلي وجهوده في الحركة الإصلاحية في الجزائر1897- 1945م . ص 122

[249] - **محمد علي دبوز** : نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة . المطبعة العربية ، عام 1969م ، ط 1، ص 264

[250] - **عبد المالك مرتاض** : نهضة الأدب العربي المعاصر في الجزائر . 1925- 1954م ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، عام 1983م ، ط2 ، ص 504

[251] - **علي بن الطاهر** : المرجع السابق . ص 124

الطلبة)[252] ، وكانت (سمعة "مدرسة الشبيبة" في شخص مبارك الميلي موضع تقـــدير في "المدرســـة الثعالبية" بالجزائر العاصمة ، لما كان يتميز به تلامذته من تفوق أثناء مواصلتهم لدراستهم العليا بهـــا ، الأمر الذي جعل الشيخ ابن زكري مسؤول القسم العربي يقوم بزيارة للشيخ مبارك الميلي في أحد فنادق العاصمة ، معبرا له عن ذلك التقدير ، واستطاع الشيخ مبارك بأسلوبه الجذاب ومهارته في التصوير أن يحبب اللغة العربية لتلامذته ، فصاروا يسارعون إلى دروسها ، ويسعون إلى حصصها ، إذا خرجوا من المدرسة الفرنسية)[253]

ووجد الشيخ مبارك في أبناء الأغواط (الإقبال العظيم ، والتفّ حوله ثلة من الشباب نفخ فيهم روح العلم الصحيح والتفكير الحر ، وقد عمل بمدرسة الشبيبة بالأغواط مدة سبع سنوات ، فأنشأ فيها نفوسا وعقولا ، وتخرج على يده الأستاذ أبو بكر الأغواطي والأستاذ الماشطة ، والأستاذ أحمد قصيبة ، وقد أتم الجميع معلوماتهم بجامع الزيتونة)[254]

وأسس الشيخ مبارك الميلي (الجمعية الخيرية بالأغواط لإسعاف ذوي الحاجة ... وعكف هناك بالمسجد على إلقاء دروس في التفسير والحديث والفقه والسيرة والأخلاق . كما كان يخرج متجولا في أنحاء الوطن لبث مبادئ الإصلاح الديني والاجتماعي ، ونشر التعليم بين مختلف الأوساط ، كل ذلـــك بطريق الإرشاد والتوجيه إلى العمل على هدي الكتاب والسنة ، ومحاربة البدعة في الـــدين والعقيـــدة ، والتجافي عن الجهل والكسل والخمول)[255]

ولما (تأسست جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في سنة 1931م ، انتخب لأمانة المال الأستاذُ مبارك الميلي)[256]

---

[252] - **أحمد حماني** : الصراع بين السنة والبدعة . مجلد 2 ، ص14

[253] - **محمد علي دبوز** : نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة . ص 266 و 272

[254] - **محمد الصالح الجابري** : مبارك الميلي في الصحافة التونسية . مجلة الثقافة ، عدد 102 ، ص 31

[255] - **عبد الرحمن الجيلالي**: من وحي ذكرى مرور أربعة عقود سنوية على وفاة العلامة النابغة الشيخ مبارك الميلي . مجلة الثقافة ، عدد 80 ، ص 188- 189

[256] - **عبد الكريم بوالصفصاف** : جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في تطور الحركة الوطنيـــة الجزائريـــة1931– 1945م . دار البعث للطباعة والنشر ، قسنطينة ، ط 1، عام1981م ، ص 94 - 95

ونظرا (لتخوف السلطة الفرنسية من نشاطات الشيخ مبارك الإصلاحية ، التي غدت تنمي الوعي في المجتمع الأغواطي ، أصدرت السلطة الفرنسية أمرا بمغادرة الشيخ مبارك الميلي مدينة الأغواط ، ولعل الطريقة التيجانية كانت السبب الخفي وراء المغادرة بإثارتها حفيظة سلطة الاحتلال الفرنسي ضد الشيخ مبارك الميلي حتى أصدروا قرارَ إبعادِه النهائي عن المدينة)[257] .

ثم (غادر الشيخ مبارك الميلي الأغواط نحو بوسعادة ومارس فيها نشاطه الإصلاحي ، فأصدرت السلطة الفرنسية بالمثل قرارا آخر بإبعاده منها ، ثم رجع الشيخ مبارك الميلي إلى موطن الصبا ميلة ، فاستأنف الشيخ مبارك نشاطه الإصلاحي فيها ، وأسس مسجدا جامعا للصلوات الخمس يحمل اسمه : "جامع مبارك الميلي" ، وظل يخطب فيه ويعظ الناس ، وكان المسجد بيتا واسعا قد أهداه أحد أعيان ميلة المناصرين للإصلاح المدعو محمد بن ناصف ، من أجل أعمال الخير في هذه البلدة الطيبة ، ثم أنشأ الشيخ مبارك الميلي رفقة الإصلاحيين في ميلة جمعية "النادي الإسلامي" ؛ التي كانت تقوم بالأعمال والنشاطات الإصلاحية ، ثم كوّن الشيخ رفقة مجموعة من الإصلاحيين جمعية أسماها : "حياة الشباب" ، قال الشيخ مبارك في النشاط الإصلاحي الذي قام به بمدينة ميلة : (" إن السيد الحاج محمد بن ناصف قد أهدى من داره الفسيحة ما جعل مسجدا جامعا تقام به الصلوات ، وتلقى به الدروس والعظات ... وتأسست من بعدُ جمعية باسم "النادي الإسلامي" ، فقامت هذه الجمعية بمثل ما قام به ذلك المسجد من السعي وراء جمع الكلمة وتطهير القلوب وتوجيه الأنظار نحو الصالح العام ... وإن ذلك المسجد وهذا النادي كونا جمعية أخرى وهي "جمعية حياة الشباب" ، وكانت غاية جمعية حياة الشباب - حسب ما أورده الشيخ مبارك الميلي- هي : (ترقية عقول المسلمين كبارا وصغارا بالعلوم العربية والفرنسية وتهذيب أخلاقهم بالآداب الإسلامية ونتائج العقول البشرية ، وقد لقيت هذه النشاطات إقبالا واسعا من قِبل أهل ميلة ، إذ (اجتمعت جمعية حياة الشباب بالنادي الإسلامي بميلة ، فضاق المكان بالحاضرين على اتساعه ، وأضيف إليه ما حوله من البيوت فكان يوما عظيما دل على عموم الشعور ، والاستعداد للنهوض بخدمة العلم والدين)[258]

---

[257] - **أبو القاسم سعد الله** : تاريخ الجزائر الثقافي . ص412

[258] - **مجموعة جريدة البصائر** : لسان حال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين جمعها محمد حسن فضلاء . دار البعث للطباعة والنشر ، قسنطينة عام 1984م ، ط1 ، السنة الأولى ، (العدد 6 و7 ، فبراير 1936) ، ص31 و 51

إن (نشاطات الشيخ مبارك الميلي الإصلاحية المكثفة أدت إلى الإقرار من قِبَل السلطة الفرنسية بأن تعليمه كان حيا وواسعا) [259]

وتبرز مكانة الميلي فيما قدمته به مجلة الزيتونة ، واصفة إياه بالمعلم والرمز العظيم للإصلاح والتجديد والنهوض والعمل الصالح ، والتضحية والانقطاع للواجب المقدس ، مظهرة على فقده حزنا شديدا ، نظرا للوقع العظيم الذي أحدثه موته بعد ربع قرن قضاه في خدمة الجمعية والمبادئ والمُثل ، إذ كتبت مجلة الزيتونة ، تخبر عن الدور الإصلاحي للشيخ مبارك الميلي في جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ، فقالت : (" تحمل جزءا عظيما من مهمة جمعية العلماء وقام بما نيط بعهدتها بجد وإخلاص ، قليل المثال ، حتى كان المثلَ الأسمى في الإخلاص ، والعضدَ الأيمن لرئيسها الشيخ عبد الحميد بن باديس ، فزخرت صحائفه بجلائل الأعمال في كافة الميادين ، لا فرق في ذلك بين الخطابة والإرشاد أو بين التدريس والتعليم ، وبين التأليف والتحبير ، فقد جاهد في الإصلاح بلسانه وقلمه ، وبرز في الميادين كمصلح عظيم ، وداعية خطير ، ومؤلف تاريخي واجتماعي ، من خيرة المؤلفين وأصدقهم قولا وأنفسهم تأليفا ، ومن أقدر الكتاب وأبلغهم حجة ، بعيد عن الاصطناع والبهرجة والأقاويل الزائفة ، لا تأخذه هوادة في الإصداع بما يمليه عليه وجدانه ، شديد في المقاومة والمناضلة والمناظرة ، جد التأثر بآراء الشيخ ابن تيمية مؤمن برجاحة مذهبه)[260] ، حتى إن (الشيخ عبد الحميد بن باديس كان يسميه ابن تيمية زمانه ، ويسميه أبو يعلى الزواوي بابن تيمية المغرب)[261]

إن للشيخ مبارك الميلي أعمالا جليلة ، منها تلك (الأعمال التي قام بها نحو جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ، منذ تأسيسها إلى أن قررت الجمعية السكوت في سنة 1939م ، كما قام بتأسيس جمعيات ومدارس ومساجد ، ونواد بميلة والميلية وقسنطينة والأغواط ، وكثير ما كان يقوم بنفسه بمباشرة

---

[259] - **أبو القاسم سعد الله** : تاريخ الجزائر الثقافي . ص413

[260] - **محمد الصالح الجابري** : المؤرخ الجزائري مبارك الميلي في الصحافة التونسية . مجلة الثقافة ، عدد 102 ، ص27 - 28

[261] - **عبد اللطيف عبادة** : الاجتهاد عند الشيخ عبد الحميد بن باديس . مجلة الثقافة ، السنة الخامسة عشرة ، أبريل1985 م ، العدد 86 ، ص 192

تسييرها ، وبعث روح العمل والنشاط فيها ، بل له ما كان ينتظره من تحرير الفصول والمقالات في شتى المواضيع ، وفيها ما كان يعدّه للنشر ، وفيها ما كان يعدّه للدرس)[262]

لقد عدّ الشيخ مبارك الميلي واحدا من أبرز رجال الإصلاح في الجزائر ، حيث اهتم رفقة بقية العلماء والمصلحين بنشر العلم في أوساط المجتمع الجزائري من خلال تأسيس المدارس والدعوة إلى تعليم المرأة لتحصينها أخلاقيا ، لأن الخطر يكمن في جهل المرأة ، كما اشتهر الشيخ مبارك بالتصدي للطرق الصوفية المنحرفة وأصحاب البدع والخرافات ، ودعا إلى التمسك بالعقيدة الإسلامية الصحيحة والعمل بتعاليم الدين الإسلامي ، واهتم بالجانب التربوي اهتماما كبيرا جدا من أجل النهوض بالأمة الجزائرية ، وبذلك تستطيع هذه الأمة الخيرة حمل راية حريتها وكرامتها وعزتها لتحقق بذلك هويتها وسيادتها ... لذلك نجد الشيخ مبارك الميلي قد (باشر التدريس بقسنطينة مقر إقامة شيخه ابن باديس حيث درس وتعلم ، ثم التحق بالجنوب الجزائري لنشر الدعوة تلبية لنداء أهالي الأغواط ، وقضى في هذه البلدة سبع سنوات ، وقد كانت الأغواط في نظر الاستعمار في تلك الظروف منفى من المنافي التي تحدد لإقامة الزعماء فيها من تونس والجزائر ، غير أن الميلي قد تحدى الاستعمار الفرنسي ، واتخذ من هذه البلدة القصية التي تقع على تخوم الصحراء موقعا للإصلاح ، وأنشأ فيها حركة علمية ، وسيّر منها البعثات الدراسية نحو جامع الزيتونة على غرار ما كان يفعل أستاذه ابن باديس)[263]

ونخلص في الأخير إلى أن أعمال الشيخ مبارك الميلي تركزت في البداية على الدراسة والاجتهاد في طلب العلم وتحصيله ، ثم التدريس ، ثم العمل الإصلاحي وإنشاء النوادي والجوامع ومختلف النشاطات الإصلاحية ، ثم العمل الصحفي بإنشاء الجرائد والإسهام في الكتابة والتحرير الصحفي ، ثم تأليف الكتب .

---

[100] - **عبد الرحمن الجيلالي** : من وحي ذكرى مرور أربعة عقود سنوية على وفاة العلامة النابغة الشيخ مبارك الميلي . مجلة الثقافة ، عدد 80 ، ص 192

[263] - **محمد الصالح الجابري** : المؤرخ الجزائري مبارك الميلي في الصحافة التونسية . مجلة الثقافة ، عدد . ص 31

ج – آثاره العلمية :

يعُدّ الشيخ مبارك الميلي من العلماء البارزين في جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ، ونظرا لعلمه الغزير في المجالين التاريخي والفقهي ، استحق عن جدارة أن يلقب بالعلامة ، فقد كان يجمع بين علوم الدين والدنيا وبلغ فيها درجة سامية تقربه من المجتهدين الأوائل والدليل على ذلك رسالة الشرك ومظاهره ، التي سمحت للشيخ مبارك الميلي أن يغوص في أعماق كتب التفسير والحديث والفقه والتصوف واللغة ، ويخرج منها بموقف - إن لم نقل بمذهب – واضح ، وبركيزة ثابتة اعتمدت عليها جمعية العلماء في محاربة البدعة ، وإعلاء كلمة السنة ، ويعترف الشيخ البشير الإبراهيمي بفضل الشيخ مبارك الميلي وحقه على البصائر التي زينها بمقالاته وبحوثه العلمية الدقيقة وبأسلوبه البليغ ، كما اعترف له بحقوقه على جمعية العلماء ، فقال الشيخ الإبراهيمي : (إن لأخينا مبارك الميلي على "البصائر" حقا ، فقد تولى الشيخ مبارك الميلي إدارة جريدة "البصائر" ، فأحسن الإدارة ... وكانت ميدانا لنشر كتابه "الشرك ومظاهره" ، ثم يبين الشيخ البشير الإبراهيمي دور الشيخ مبارك الذي أسداه تجاه الأمة الجزائرية ، فقال : (لأخينا مبارك على الأمة الجزائرية حقوقا بما علم وكتب ، وبما نصح وأرشد ، وبما رد على الدين من عوادي المبتدعين ، وبما وقف من مواقف في الإصلاح الديني والدنيوي ...)[264] ، ثم قال : (وإنّ لأخينا مبارك الميلي على جمعية العلماء حقوقاً ، فقد كان مرجعها يوم تحلولك المشكلات ، وتضل الآراء ، فيشرق عليها بالرأي كأنه فلق الصبح ، وقد كان معقلَها يوم تشتبه المسالك ، وتكاد الأقدام تزلّ ، فيثبت على الحق كالجبل الراسي ، وكان منها بحيث لا يجترئ عليها مجترئ ، ولا يفتري عليها مفترٍ ، إلا رمته منه بالسيف الذي لا تنبو مضاربه)[265].

---

[264] - **عبد اللطيف عبادة** : الشرك ومظاهره عند الشيخ مبارك الميلي وشيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن تيمية - دراسة مقارنة - ، مجلة الثقافة ، السنة الخامسة عشرة ، يناير – فبراير 1984م ، عدد 85 ، ص 118

[265] - **البشير الإبراهيمي** : آثار محمد البشير الإبراهيمي . مجلد 3 ، ص 575

وبمرور الأيام (كان إشعاع الميلي يغمر كافة أنحاء الجزائر ، وكانت أصداء جهاده تتجاوز حدودها لتصل زملاءه ومشايخه في الزيتونة ، تارة عبر تلاميذه الذين كان يرسل بهم للدراسة ، وطورا من خلال مقالاته وكتاباته في صحف ومجلات جمعية العلماء : "السنة"، "المنتقد" ، "البصائر" ، "الشهاب") [266]

كما كان (الشيخ مبارك الميلي ينشط في التعليم والصحافة ، وفي الرحلات العلمية إلى مختلف أرجاء الجزائر ، برفقة أعضاء الجمعية ورئيسها الشيخ عبد الحميد بن باديس ، إلى أن توفي الشيخ عبد الحميد بن باديس ، فخرّ الشيخ مبارك الميلي صعقا أمام جثمانه من شدة المصيبة)[267] ، ولم يكن بين الشيخ عبد الحميد بن باديس وتلميذه الشيخ مبارك الميلي (اختلاف إلا في بعض المسائل الاجتهادية لكن ذلك الاختلاف كان طفيفا ، منها مسألة التوسل بذات رسول الله ، إذ رأى الشيخ مبارك الميلي عدم جواز التوسل بالذات إلا إذا قُدّر فيه مضاف نحو لفظ المحبة فهو من الإيمان الصحيح والطاعة المشروعة ، مثل التوسل بحق محبة محمد ... بينما رأى ابن باديس أن التوسل بذات النبي جائز مرجوح ... ، وعرف الشيخ مبارك الميلي بتصميمه وصبره وحسن فهمه لأكثر ما يجيش به صدر ابن باديس من آمال ويعانيه من آلام)[268]

وفي مجال الصحافة ؛ أسهم الشيخ مبارك الميلي (بالعمل الصحفي والكتابة في الجرائد ، بل والإشراف على تحريرها منها جريدة المنتقد والشهاب والسنة والبصائر التي تولى تحريرها في سنة 1935م ، فقد تولى إدارتها فأحسن الإدارة ، وأجال قلمه البليغ في ميادينها فما قصّر عن شأو ولا كبا دون غاية ...)[269]

---

266 - **محمد الصالح الجابري** : المؤرخ الجزائري مبارك الميلي في الصحافة التونسية . مجلة الثقافة ، عدد 102 ، ص 20

275- **البشير الإبراهيمي** : آثار محمد البشير الإبراهيمي . مجلد 3 ، ص575

276 - **عبد اللطيف عبادة** : الاجتهاد عند الشيخ عبد الحميد بن باديس . مجلة الثقافة ، عدد 86 ، ص 190- 193

277 - **محمد الصالح الجابري** : المرجع السابق ، ص 31-32

ونجد (الميلي يكرس جزءا كبيرا من نشاطه للكتابة في الصحف التي أسهم في إنشائها في إطار عمل جمعية العلماء وهي : "المنتقد" ، و"الشهاب"، معاضدا الجهد الذي كان يقوم به أبو النهضة ابن باديس ، ويتولى بعد وفاة الشيخ ابن باديس الاضطلاع بإدارة جريدة "البصائر" إلى آخر يوم في حياته)[270] ، وكان الشيخ مبارك (يختم مقالاته في جرائد الجمعية باسمه الصريح تارة ، وباسم مستعار تارة أخرى كاسم البيضاوي ، وهذا لأسباب أمنية تتعلق بالظروف التي كانت تحيط بالموضوع الذي يعالجه)[271]

ومن أبرز آثار الشيخ مبارك الميلي : (إسهامه في التأليف ، وانصرافه لكتابة تاريخ الجزائر ورسالته عن الشرك ومظاهره ، واهتمامه بتحرير العديد من الشروح الأدبية لقصائد من عيون الشعر العربي القديم والحديث مثل بائية حافظ ، وقصيدة بشر بن عوانة ، وقصيدة الضرير الأندلسي ، وفي هذه الاختيارات الأدبية ما يدل دلالة واضحة على رفعة ذوقه كأديب ، وعلى أن اهتمام الشيخ مبارك الميلي كان يتجاوز دائرة العلم والمعارف الدينية إلى شؤون الأدب الرفيع)[272] ، وكانت كتابات الشيخ مبارك الميلي تعالج قضايا الإصلاح الديني والاجتماعي في عصره ، وتتصدى للخرافات والبدع وطرق الصوفية ، فكتب في البصائر مقالات بعنوان "الشرك ومظاهره" نشرت متسلسلة في حلقات عديدة ، ثم جمعت في كتاب يحمل ذاك العنوان ، ونشر الكتاب سنة 1937م .

وأما عقيدة الشيخ مبارك الميلي فقد كانت عقيدة سلفية ، مقتفيا بها منهج شيخه العلامة السلفي عبد الحميد بن باديس رحمه الله تعالى ، سائرا في ربى دربه ، متتبعا أثره ، ومما دل على هذا النهج السلفي ما يأتي :

- في رسالته النافعة " رسالة الشرك ومظاهره " ؛ يقول بملء فيه : (" فنحن بالعقيدة السلفية قائلون ... ")[273]

---

[270] - **محمد الصالح الجابري** : المؤرخ الجزائري مبارك الميلي في الصحافة التونسية . مجلة الثقافة ، عدد 102 ، ص 32

[271] - **أحمد حماني** : الصراع بين السنة والبدعة . مجلد 2 ، ص 15

[272] - **محمد الصالح الجابري** : المرجع السابق . ص نفسها

[273] - **مبارك الميلي** : رسالة الشرك ومظاهره . دار البعث ، قسنطينة ، ط 3 ، السنة 1982م ، ص 25

- تأليفه "رسالة الشرك ومظاهره" ، إنما كانت لنصرة العقيدة الإسلامية الصحيحة ، وردا على من وقع في الشرك وما يؤدي إليه ، ودحضا للخرافات والبدع ، ولقد أقرت الجمعية بإجماع تلك الرسالة وما ورد فيها .
- إتباعه منهج السلف في إثبات العقيدة ، وقد كان بعيدا عن طريق المتكلمين ، وعن الفلسفة اليونانية القديمة ، قال الشيخ مبارك الميلي رحمه الله : ("وعني علماء الكلام ببيان عقائد الإسلام ، وسلكوا في التدليل عليها سبيل المنطق اليوناني ، ثم جمد المتأخرون على هذا الأسلوب ، وحادوا عن بيان القرآن ، فخفي على الناس ما هو شرك أو سبب له ... وقد أنكر العلماء الفحول إيثار أساليب اليونان على بيان القرآن ، ولكن شيوع التقليد وذيوع الجمود أضاعا حجتهم وبرهانهم")[274]
- إثباته في آخر فصل من فصول رسالة الشرك قصيدة صديقه العلامة الطيب العقبي رحمه الله تعالى ، وقد تضمنت تلك القصيدة الاعتقاد النقي الذي كان عليه المصلحون الجزائريون ، ومطلع القصيدة هو :

ماتت السنة في هذي البلاد قبر العلم وساد الجهل ساد [275]

- شهادة العدول من العلماء الفحول المقرّبين من الشيخ مبارك الميلي ، بسلامة معتقده وسداد منهجه ، وعلى رأسهم الأديب العلامة البشير الإبراهيمي رحمه الله تعالى [276] .

وبعد (تشييع جنازة الشيخ عبد الحميد بن باديس ، كان الجميع يتوقعون تولية المهام الإدارية في الجمعية من طرف الكاتب العام العربي التبسي أو الشيخ مبارك الميلي ، لكن جمعية العلماء المسلمين أسندت للشيخ مبارك الميلي (منصب كرسي الأستاذ بالجامع الأخضر)[277] ، وكان نمط درس الشيخ مبارك الميلي وأسلوبه بهذا الجامع ارتجاليا ، ينبئ عن ثقافة متمكنة للشيخ مبارك ، إذ روى أحد تلامذته

---

[274] - **مبارك الميلي** : رسالة الشرك ومظاهره . ص 21

[275] - **مبارك الميلي** : المصدر نفسه . ص 284

[276] - **البشير الإبراهيمي** : آثار محمد البشير الإبراهيمي . ص183

[277] - **عبد الكريم بوالصفصاف** :. جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في تطور الحركة الوطنية الجزائرية 1931– 1945م . ص 303 و 309

بالجامع الأخضر ، فقال : (" تراه يأتي ويجلس متربعا ، وليس بيده مطبوع ولا مخطوط ، فيملي علينا ، وتأتي طبقة بعدنا فيملي عليها ، وإملاؤه كله ارتجالي ، وهذا يصعب على كثير ممن تعاطوا تدريس العلوم بالمعاهد الشمالية ، يملي بالارتجال في النحو والصرف والفقه ومخارج الحروف والمنطق ، وشرح قصيدة السموأل على هذا المنوال ...)[278]

وقد أبدى الأمير شكيب أرسلان إعجابه بكتاب الشيخ مبارك : "تاريخ الجزائر في القديم والحديث"، فقال في رسالة إلى الشيخ الطيب العقبي : ("... وأما تاريخ الجزائر فوالله ما كنت أظن أنّ في الجزائر من يفري مثل هذا الفرْي ، ولقد أُعجبت به كثيراً "، وأبدى الشيخ عبد الحميد بن باديس سروره بهذا الكتاب ، فأرسل إلى الشيخ مبارك الميلي يهنئه قائلا : (... وقفتُ على الجزء الأول من كتابك "تاريخ الجزائر في القديم والحديث" ، فقلتُ لو سمّيَتَه : "حياة الجزائر" لكان بذلك خليقاً ، فهو أول كتاب صوَّر الجزائر في لغة الضاد صورةً سوية تامة ، بعدما كانت تلك الصورة أشلاء متفرقة هنا وهناك ... إذا كان من أحيا نفساً واحدة فكأنما أحيا الناس جميعاً، فكيف بمن أحيا أمة كاملة ، أحيا ماضيها وحاضرها ... فليس- والله- كفاء عمله أن تشكره الأفراد ، ولكنّ كفاءه أن تشكره الأجيال...) [279]

وأولت (الصحافة التونسية أهمية خاصة لصدور كتابه الجديد عن تاريخ الجزائر في القديم والحديث ، ورأت فيه بادرة تحول في خطة رجال الجمعية ، واعتبرته من الأعمال الجليلة التي جاءت في إبانها ، لا لتسد النقص الذي تشكو منه المكتبة الجزائرية فحسب ، وإنما اعتبرته ضربا من ضروب المقاومة ، وتصويبا للأخطاء والمغالطات التي تقصّد إليها الأجانب من المستعمرين في خطة مبيتة لتشويه تاريخ الجزائر، وعدّت الصحافة التونسية ظهور هذا الكتاب بداية نهضة حقيقية قائلة :("نهضت الجزائر نهضة مباركة منذ سنوات قليلة ، وشعرت بأن الخطوة الأولى في سبيل النهوض لابد أن تعتمد على الأدب الذي هو قوام الروح وغذاء الفكر ، والدافع الأقوى إلى المشي نحو الأمام")[280]

---

[278] - **عبد الرحمن الجيلالي** : من وحي ذكرى مرور أربعة عقود سنوية على وفاة العلامة النابغة الشيخ مبارك الميلي . مجلة الثقافة ، عدد 80 ، ص 193

[279] - **مبارك الميلي** : تاريخ الجزائر في القديم والحديث . الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، سنة 1967م ، ص 7 و 9

[280] - **محمد الصالح الجابري** : المؤرخ الجزائري مبارك الميلي في الصحافة التونسية . مجلة الثقافة ، عدد 102 ، ص 21

ثم ألف الشيخ كتابا بعنوان "رسالة الشرك ومظاهره"[281] ، وهو كتاب قيم في المواضيع الـــتي عالجها ، مما دفع بجمعية العلماء المسلمين الجزائريين إلى الدعوة إلى دراسة هذا الكتاب ، والعمل بما جاء فيه ، وعدّت الجمعية كتاب الشيخ مبارك الميلي "رسالة الشرك ومظاهره" من أول المؤلفات في نصـــر السنة النبوية الصحيحة ، وإماتة البدع والخرافات ، إذ (أقرّ مادتَه مجلسُ إدارة جمعية العلماء المســـلمين بعد أن درسوا تلك المادة ، يقول التقرير الذي أمضاه الشيخ العربي التبسي رحمه الله ما يأتي : ("... إذ دعاة الإصلاح اليوم في حاجة ماسة إلى رسالة في هذا الموضوع جامعة لأدلة هذه المسائل ... فنهض إلى القيام بهذا الفرض الكفائي ، الأستاذ المحقق مؤرخ الجزائر الشيخ مبارك الميلي أمين مال جمعية العلماء ، وجمعَ رسالة بعنوان "رسالة الشرك ومظاهره" ، خدم بها الإسلام ونصر بها السنة وقاوم بهـــا العوائـــد الضالة ، والخرافات المفسدة للعقول ، وعرض هذه الرسالة على مجلس إدارة الجمعيـــة ، فتصـــفحها واستقصى مسائلها ، فإذا هي رسالة تعدّ في أوليات الرسائل أو الكتب المؤلفة في نصرة السنن وإماتـــة البدع ، تقرّ بها عين السنة والسنيين ، وتنشرح لها صدور المؤمنين ، وتكون نكبة على أولئك الغاشّـــين للإسلام والمسلمين من جهلة المسلمين ، ومن أحمرة المستعمرين الذين يجدون في هذه البدع أكبر عـــون لهم على استعباد الأمم ... وإنّ المجلس الإداري لجمعية العلماء يقرّر بإجماع أعضائه أحقية ما اشـــتملت عليه هذه الرسالة العلمية المفيدة ، ويوافق مؤلفَها على ما فيها ، ويدعو المسلمين إلى دراستها والعمل بما فيها...")[282]

و (قد بادرت الأوساط العلمية التونسية إلى تبني ما جاء في رسالته عن "الشرك ومظـــاهره" ، وفرضت تدريسها في المعاهد التونسية المتفرنسة)[283]

---

[280] - **أبو القاسم سعد الله** : تاريخ الجزائر الثقافي . مجلد 7 ، ص 414

[282] - **مبارك الميلي** : رسالة الشرك ومظاهره . ص 5

[283] - **محمد الصالح الجابري** : المؤرخ الجزائري مبارك الميلي في الصحافة التونسية . عدد 102 ، ص 21

د - ثناء أهل العلم و الفضل عليه :

كتب الشيخ الإبراهيمي عن الشيخ مبارك الميلي في جريدة "البصائر" عدد 26 بتاريخ 08 /03 / 1948م ، في الذكرى الثالثة لوفاة الشيخ مبارك الميلي قائلا : "حياة كلها جدٌّ وعمل ، وحيّ كله فكر وعلم ، وعُمر كله درس وتحصيل ، وشباب كله تَلقّ واستفادة ، وكهولة كلها إنتاج وإفادة ، ونفس كلها ضمير وواجب ، وروح كلها ذكاء وعقل ، وعقل كله رأي وبصيرة ، وبصيرة كلها نور وإشراق ، ومجموعةُ خِلال سديدة ، وأعمال مفيدة ، قلَّ أن اجتمعت في رجل من رجال النهضات ، فإذا اجتمعت هيَّأت لصاحبها مكانَه من قيادة الجيل ، ومهدَّت له مقعدَه من زعامة النهضة"[284] ، فقد كان شعار الشيخ مبارك الميلي دائما هو (طلب العلم وتحصيل الفهم)[285]

وقال البشير الإبراهيمي : ("إن للعلامة مبارك الميلي على الأمة الجزائرية حقوقا بما علم وكتب ، وبما نصح ورشد ، وبما رد على الدين من عوادي المبتدعين ، وبما وقف من مواقف الإصلاح الديني والدنيوي ...")[286]

وقال الأستاذ أحمد حماني رحمه الله تعالى : ("العلامة الجليل مبارك بن محمد الميلي رحمه الله ، أكبر تلاميذ الأستاذ ابن باديس ومدرسته علما و فضلا وكفاءة ، وأحد علماء الجزائر وبناة نهضتها العربية الإصلاحية الأفذاذ ، وأوّل من ألّف للجزائر باللغة العربية والعاطفة الوطنية تاريخا قوميّا وطنيّا نفيسا")[287]

وقال الشيخ عبد الرحمن الجيلالي في اجتهاد الشيخ مبارك وحسن منهجه العلمي : (كان دؤوبا على البحث ، مغال في التحقيق والتدقيق ، مع مهارة منقطعة النظير في المقابلة بين النصوص ،

---

[284] - **البشير الإبراهيمي** : آثار محمد البشير الإبراهيمي . مجلد3 ، ص183

[285] - **عبد الرحمن الجيلالي** : من وحي ذكرى مرور أربعة عقود سنوية على وفاة العلامة النابغة الشيخ مبارك الميلي . مجلة الثقافة ، عدد 80 ، ص 188

[286] - **البشير الإبراهيمي** : عيون البصائر . الشركة الوطنية للنشر والتوزيع . الجزائر ، ج 2 ، ص 676 - 668

[287] - **أحمد حماني** : الصراع بين السنة والبدعة . مجلد 2 ص 14- 15

وكانت له نظرة صائبة في استجلاء الغوامض ، وحكم صادق في أسباب الحوادث ونتائجها ، ومهارة في الترتيب والتبويب مع حسن سبك ، يجعل التاريخ كالسلسلة المفرغة ، ثم وصفه وصفا جميلا فقـــال : " ولا أزال أراه - رحمه الله - ظريف الهيئة ، أغرّ الطلعة ، حسن المنظر ، مشرق الجبين ، صبيح الوجه تعلوه هيبة ووقار ، يتلألأ في عينيه الوضاءتين نور العلم وإشراق الإيمان ... يفتح لجليسه قلبه بلطيـــف حديثه الشيق الرشيق ، يغترف منه سامعه ما شاء من علم وأدب ونصح ، مع إصابة في الرأي وحدة في الذهن ، فهو إن قرر مسألة فبقوة وإيمان وإقناع ، وإن جادل فبالتي هي أحسن ، وإن خالفك الـــرأي فمن غير عناد أو تعصب ، وإن حاضر أو سامر فالدرر المنثور ، كل ذلك في تواضع محمود وخلق كريم وأريحية فاضلة وشهامة ... ومع كون الشيخ مبارك الميلي متصلبا في الحق لا تأخذه في الله لومة لائـــم ، كان على ذلك حليما ، طلق المحيا ، صاحب نكت طريفة ظريفة)[288]

وبهذه (المزايا والخصال اعتبرته "مجلة الزيتونة" قدوة لكل أبناء الشمال الإفريقي ، فقالت فيـــه المجلة : "إن هذا العَلَم إذا حضر في أذهان أبناء الشمال الإفريقي حضر معه ذلك الرمز العظـــيم ، رمـــز الإصلاح والتجديد الذي هو مبدأ جمعية العلماء بالقطر الجزائري العربي المسلم ، هو رمز الآمال والثقة بالمستقبل ، هو رمز النهوض والأعمال الصالحة ، رمز النهضة والانقطاع للواجب المقدس " ، ومن كلمة تأبين جامع الزيتونة في أربعينية الشيخ مبارك الميلي التي نشرتها مجلة الزيتونة : "فشخصية كهذه الشخصية يكون فقدها خسارة على المسلمين عظيمة ، لاسيما في هذا العصر ؛ عصر التطور والانتقال ، في عصر يعز علينا أن نفقد فيه أمثال هذا الرجل المصلح العظيم ، فإن البلاد الإسلامية بحاجة إلى رجالها المصلحين الأفذاذ ، وفقد الواحد منهم في هذا العصر يعز على كافة بلاد الإسلام ، فإنا لله وإنا إليـــه راجعـــون ، وتونس تقاسم أختها الجزائر الحزن على فقد هذا الراحل العظيم ")[289]

وقد نظم الشاعر محمد العيد آل خليفة قصيدة ، منها هذه الأبيات التي تخلّد ذكرى الشـــيخ مبارك الميلي وتبين فضله العظيم على المجتمع الجزائري :

---

[288] - **عبد الرحمن الجيلالي** : من وحي ذكرى مرور أربعة عقود سنوية على وفاة العلامة النابغة الشيخ مبارك الميلي . مجلة الثقافة ، عدد 80 ، ص 190- 191

[289] - **محمد الصالح الجابري** : المؤرخ الجزائري مبارك الميلي في الصحافة التونسية ، مجلة الثقافة ، عدد 102. ص27 - 28

(يا أمة جهلت حقيقة ديـــــــــنها فتفرقت فيها إلى أشيـــــــــاع
العاصف الزعزاع من أهوائهـــــا يشتد إثر العـــــاصف الزعزاع
في القاع ماء كيف شئت مبـــارك فردّيه واطرحي سراب القـــاع
هذا الأخ " الميلي" فيـــك مثوب لله بـــــالذكرى فهل من واع
يجلو وجوه الشرك وهي خفيّـــــة للنـــــاس شأن العالم النفّـــاع
اليوم من أفكـــــــاره تجنين مـــا تجنيـــن من علم ومن إمتـــــاع)[290]

إن الحديث عن الشيخ مبارك الميلي هو الحديث عن رجل أمة عظيم ، وواحد من أبرز (أعلام الإصلاح في الجزائر الذين ضحوا بأنفسهم وحياتهم للإصلاح ، وقاموا في ميادينه الكبرى كلها بجهـــاد كبير ، جنت منه الجزائر خيرا كثيرا)[291] ، إذ كان الشيخ مبارك الميلي بمثابة حبل الوصال الوثيق بـــين جيل الماضي من أسلاف الأمة الصالحين وبين جيل الحاضر ، من أجل الأخذ بأسباب عزة الأمة الجزائرية والحفاظ على تراثها الديني الزاخر .

وبالاطلاع على حياة الشيخ مبارك الميلي قد كشفنا عن ذخائر الأخلاق والمعارف المودعـــة في نفس هذا الرجل الكريم ، فقد كان بحق جديرا بأن يكون من حملة الخطاب الإصلاحي في الجزائر .

---

290 - **مبارك الميلي** : رسالة الشرك ومظاهره . ص 10

291 - **محمد علي دبوز** : أعلام الإصلاح في الجزائر من عام 1921 إلى 1975م . ج 3 ، ص 15

ثانيا : مفهوم الخطاب الإصلاحي عند الشيخ مبارك الميلي :

قال الشيخ مبارك الميلي في مفهوم الإصلاح : ("إن الإصلاح يتلخص في دعوة المسلمين إلى العلم والعمل بكتاب ربهم وسنة نبيهم والسير على منهج سلفهم الصالح في أخلاقهم وعباداتهم القولية والاعتقادية والعملية ، وتطبيق ما هم عليه من عقائد وأعمال وآداب على ما كان في عهد السلف الصالح ، فما وافقه عددناه من دين الله فعملنا به واعتبرنا القائم به قائما بدين الله ، وما لم يكن معروفا في عهد الصحابة عددناه ليس من دين الله ، ولا علينا فيمن أحدثه أو عمل به ، فالدين حجة على كل أحد ، وليس عمل أحد حجة على الدين")[292]

ومن ثم فإن الإصلاح المعقول عند الشيخ مبارك الميلي هو الإصلاح في الفكر الديني والتعامل مع الدين ، وليس إصلاح الدين في حد ذاته ، وهو إصلاح لإحياء العقيدة في النفوس ، وتطبيق تعاليم الدين الأصيلة والصحيحة كما نزلت على محمد رسول الله ، حيث لا إصلاح ديني في الإسلام بمعنى إعادة النظر في الدين ، بل إعادة النظر في رؤيتنا وفهمنا للدين ، والعودة إلى الإسلام الحقيقي والوقوف على الروح الحقيقية للإسلام الأول ، ومما جاء في تعريف الإصلاح عند الشيخ مبارك الميلي قوله بأن الإصلاح هو : (نبذ الفاسد من العقائد والعوائد ، وإرشاد إلى ما هو صالح منها ليؤخذ ، وغايته ترقية المجتمع في سلّم السعادتين الدنيوية والأخروية)[293] ، ومن خلال هذا القول يتبين لنا أن الإصلاح عند الشيخ مبارك يشمل كل مناحي الحياة ، أهمها الدين والعادات ، بل يتعدى أمر الإصلاح إلى الإصلاح الاقتصادي والسياسي والعلمي ، حيث كل ناحية من تلك النواحي تكمل الأخرى ، وينبغي أن تتوحد جميعا من أجل هدف واحد هو ترقية المجتمع ، على أن يؤدي دور الإصلاح العارفين للإصلاح كل على حسب اختصاصه ، إذ قال الشيخ مبارك الميلي : ("وإذن لا تكون معارضة بين الجماعات القائمة بالإصلاح باختلاف المواضيع : فالمصلح الديني لا يعارض الاقتصادي ، وهذان لا يعارضان السياسي ، كما لا تعارض بين الأطباء ، المختص

---

[292] - **مبارك الميلي** : رسالة الشرك ومظاهره . ص 4

[293] - **علي بن الطاهر** : مبارك الميلي وجهوده في الحركة الإصلاحية في الجزائر 1897-1945م . ص 75

بعضهم بالجراحات ، وبعضهم بالعيون ، وبعضهم بالأسنان")[294]

إن مفهوم الإصلاح عند الشيخ مبارك الميلي يختلف اختلافا فرعيا عن مفهوم الإصلاح عند الشيخ جمال الدين الأفغاني ، ومحمد عبده ، إذ كان الشيخ الأفغاني يركز على السياسة في إصلاحه – كما أشرنا سابقا- بينما يركز الشيخ محمد عبده على الدين والتعليم ، لكن الشيخ مبارك الميلي يوسع دائرة الإصلاح لتبدأ من الدين وتشمل جميع مناحي الحياة حتى الاقتصاد والسياسة ، رغم أن السياسة لم تشغل باله إلا من جانب تخدم به تلك السياسةُ هذا الدينَ .

لقد حقق الخطاب الإصلاحي نجاحا في كسب الرأي العام الجزائري والالتفاف حوله ، إذ كان توجهه الأول إلى الإنسان الذي يشكل مع أخيه الإنسان الأمةَ ، قبل الحديث عن دينه وثوابته ، ثم يعود به إلى أصول ثقافية ودينية واجتماعية مأخوذة من التراث ، محتفظا بتوجهه الأساس من خلال التمسك بالعقيدة الإسلامية ، قال الشيخ مبارك الميلي : (الأمة صحيحة العقائد والعبادات تقدر عنها أعمال اجتماعية صالحة ، ومن ثم فالإصلاح الديني يعد ضروريا للمجتمع الجزائري ، لأنه تقدم في دينه فأسرع إلى كل جديد مستحدث من البدع ، وتأخر في دنياه ، فأخذ بكل قديم بال ...)[295]

إن الخطاب الإصلاحي عند الشيخ مبارك الميلي هو خطاب اعتمد القرآن الكريم والسنة النبوية ، ومع ذلك فليس معنى أن كل خطاب يعتمد القرآن والسنة فهو خطاب يمثل الإسلام أحسن تمثيل ، إنه في الأخير يمثل وجهة نظره وقد تكون منحرفة عن العقيدة الإسلامية حتى ولو استدل من الوحي القرآني والسنة النبوية ، ذلك أن الاستدلال قد يكون غير مناسب ، ثم إن الخطاب الذي يقتبس ويستشهد من القرآن الكريم ، لا يعد نصا قرآنيا ، لكن الخطاب الإصلاحي تعبير عن رسالة موجهة إلى الآخرين من أجل تصحيح العقيدة الإسلامية في أذهان الناس

و"الخطاب الإصلاحي" هو اللغة المعبرة عن جملة التصورات الفكرية والمفاهيم حول الواقع ، وصفاً ، وتحليلاً ، ونقداً ، وبحثا عن الصحيح وعن الحق ، فهو يعبر عن رؤية مستوحاة من الشريعة

---

[294] - **علي بن الطاهر** : مبارك الميلي وجهوده في الحركة الإصلاحية في الجزائر 1897- 1945م . ص 75

[295] - **علي بن الطاهر** : المرجع نفسه . الصفحة نفسها

ليضمن بها المحافظة على العقيدة وإحياء أمر الدين ، ويدور موضوعه حول القضايا التي تهم الأمة الإسلامية وتستند إلى ثوابتها من القرآن الكريم والسنة النبوية وأثر السلف الصالح ، ويستعمل مجالات عديدة للتواصل ، لعلّ أهمها هو مجال الإعلام .

و يرى الشيخ مبارك الميلي أن "الخطاب الإصلاحي" واجب يقدمه المصلحون من العلماء والمفكرين في كل مرحلة من الزمان ، وفي كل منطقة ، مع مراعاة ظروف تلك المرحلة وربما تلك المنطقة أيضا ، وهو مرتبط دائما بالسلامة والدقة ، مؤصل تأصيلاً سليماً ، ويستند إلى القرآن والسنة استناداً حقيقياً ، حيث قال الشيخ مبارك الميلي إن الإصلاح الديني هو : (واجب على من له في المجتمع سيرة دينية من علماء وزعماء ، فواجب العلماء الدعاء والإرشاد في نزاهة وإخلاص ، وواجب الزعماء الانقياد والتأييد والتنفيذ في سلامة صدر وانشراح بال ، والتقاعس عن هذا الإصلاح معرة في الدنيا ، وشقاوة في الآخرة)[296]

ومن خلال هذا القول نجد الشيخ مبارك الميلي قد فهم الخطاب الإصلاحي فهما شرعيا بما يتفق مع أصول الشريعة الإسلامية ، انطلاقا من قاعدة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، إذ يقول الله عز وجل : ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ﴾ *

إن الشيخ مبارك الميلي يلصق مفهوم الإصلاح بإحياء أصول الإسلام الصحيحة والسنة النبوية الشريفة ، والتمسك بالتراث ومقومات الأمة ، ولن يكون هذا إلا بنشر العلم والفضائل بين أبنائها .

ويعتبر الشيخ مبارك الميلي العلمَ بحقيقة الأشياء والوعي بمفاهيمها من السبل الرئيسة لتضييق دائرة الخلاف بل لإزالته ، لأن مرجع الخلاف في أي أمر غالبا هو الاختلاف في المفهوم ، إذ طالما نكون متفقين في أمر ما ونظن بأننا مختلفون ، بينما كان اختلافنا في تحديد مفهوم المصطلح وليس في موضوعه ، ولو حدد المفهوم بدقة لتجلى اتفاقنا في كثير مما نظن أننا مختلفون فيه ، ثم إن كثيرا من حكم

---

[296] - **علي بن الطاهر** : مبارك الميلي وجهوده في الحركة الإصلاحية في الجزائر 1897- 1945م . ص 76

* - **سورة آل عمران** . آية 110

الناس على فكرة ما أو على شخص معين ، تعود إلى تصور قد بنوه حول تلك الفكرة أو ذاك الإنسان ، وليس لكونهم درسوا الفكرة وناقشوا جوانبها ، ولا لكونهم عرفوا الإنسان وخبروه ، ولأجل الابتعاد بالناس عن إصدار الأحكام دون علم ومعرفة جليلة بالموضوع ، وتجنبا للخلاف في المسائل الأصيلة والكبيرة في دين الإسلام ، نجد الشيخ مبارك الميلي ينطلق في تحديد مفاهيم المصطلحات من لغة السلف ، حتى غدت هذه الانطلاقة قاعدة لتتبع هذا المفهوم أو ذاك على حسب قول ابن تيمية - رحمه الله- : ("من لم يعرف لغة الصحابة التي كانوا يتخاطبون بها ، ويخاطبهم بها النبي ، وعادتهم في الكلام ، إلا حرَّف الكلم عن مواضعه ، فإن كثيرًا من الناس ينشأ على اصطلاح قومه وعادتهم في الألفاظ ، ثم يجد تلك الألفاظ في كلام الله أو رسوله أو الصحابة ، فيظن أن مراد الله أو رسوله أو الصحابة بتلك الألفاظ ما يريده بذلك أهل عادته واصطلاحه ، ويكون مراد الله ورسوله والصحابة خلاف ذلك")[297]

وأما أهم الوسائل التي يراها الشيخ مبارك الميلي واجبة لخدمة الإصلاح في زمنه فأولها : ("التدريس ؛ فالمدرّس الذي يجب أن يكون مصلحا يتلقى المسائل ويطبق منها ما يحتاج إلى التطبيق ، ومن الوسائل أيضا خطب الجمعة ؛ فالخطيب يجب أن يكون مصلحا ينتقي مواضيع الخطابة ، ويقدم منها ما يراه أمس بإصلاح المصلين ، متحريا في ذلك صحيح العلم ، متفطنا إلى ما يؤثر من لطيف المواعظ ، ومن نوع الخطب : الجمعية والمحاضرات والمسامرات بالتجمعات والنوادي" ، ويذكر الشيخ مبارك من وسائل الخطاب الإصلاحي الصحفَ ، فأنزلها منزلة الواجب الديني ، حيث قال : (الإصلاح الديني بواسطة الصحف السيارة هو من مستحدثات العصور ، ولكن ليس بدعة في الدين ، إذ الكتابة في الصحف أو غيرها من العبادات المحدودةّ ، بل هي من باب الدلالة على الخير ... الصحف الإصلاحية هي أهم وسائل الإصلاح وأعمها فائدة ، لأن الكاتب يفكر في كتابته وينقحها ثم يقدمها للجمهور ، بخلاف المدرّس مثلا فهو أقل عناية بدرسه من الكاتب ، ثم هو يقدمه لطائفة قليلة)[298]

---

[297] - **ابن تيمية** : مجموع فتاوي شيخ الإسلام ابن تيمية . جمع وترتيب عبد الرحمن بن قاسم بمساعدة ابنه محمد . مكتبة المعارف ، الرباط ، المغرب ، ج1 ، ص 243

[298] - **علي بن الطاهر** : مبارك الميلي وجهوده في الحركة الإصلاحية في الجزائر 1897-1945 . ص 76- 77

ثالثا : مظاهر الخطاب الإصلاحي عند الشيخ مبارك الميلي :

أ - الدعوة إلى العقيدة الإسلامية :

رأى الشيخ مبارك الميلي في خطابه الإصلاحي أن ترك القرآن يفضي إلى الجهل ، وأن الرجوع إلى الجهل بعد العلم شديد ، وأن الهداية والنور يستمدان من القرآن والسنة ، ويورد الشيخ مبارك الميلي قول محمد عبده في الإرشاد المؤثر للقرآن : ("وإن في القرآن من التهذيب ودعوة الأرواح إلى ما فيه سعادتها ورفعها من حضيض الجهالة إلى أوج المعرفة ، وإرشادها إلى طريقة الحياة الاجتماعية ما لا يستغني عنه من يؤمن بالله واليوم الآخر ، وما هو أجدر بالدخول في الفقه الحقيقي ، ولا يوجد هذا الإرشاد إلا في القرآن" ، ويزاوج الشيخ مبارك بين العلم والدين فيقول : "إن حماية الدين لا تكون إلا بالعلم ، وإن أصل علم الدين الكتاب والسنة " [299]

و لم تغفل أي دعوة من دعوات الخطاب الإصلاحي- التي ظهرت في العالم العربي- من تأكيد مكانة الدين الإسلامي ، إذ لا يمكن إهمال حقيقة أن الدين هو المكون الأبرز لهوية المجتمع العربي ، وقد ظهر حتى الآن أنه الأقدر على تعبئة الجمهور ، فها هي الجزائر تعيش مع العقيدة منذ أن أسلمت في القرن الأول الهجري ، حين (دخلها الفاتحون العرب بالإسلام دين الله ، من أمثال عقبة بن نافع وأبي المهاجر دينار ، الذين كان لهما الدور الأهم في نشر الإسلام في ربوع الجزائر الكريمة ، وقَدِم مع هؤلاء الفاتحين بعضُ الفقهاء من أجل تمكين العقيدة في قلوب الجزائريين وأذهانهم ، حتى ثبت الجزائريون الأمازيغ على دين الله ، على عقيدة الإسلام ، ثم غدوا يدافعون عن هذه العقيدة بأموالهم وأرواحهم ،

---

[299] - **مبارك الميلي** : رسالة الشرك ومظاهره . ص 34 و 39 و 47

بالنفس والنفيس ، فأصبحت هذه العقيدة تشكل كيانهم الجديد [300] ، كيف لا وهي فطرة الله التي فطر الناس عليها .

لأجل هذا ظل الخطاب الإصلاحي منسجما مع جوهر العقيدة الإسلامية ، داع إلى الكتاب والسنة وتفهمهما ، ورأى أن الدعوة إلى الكتاب والسنة هي نفسها الدعوة إلى تحقيق كلمتي الشهادة ، وهو يدعو إلى ما دعا إليه القرآن ودعت إليه السنة وكلام السلف ، كما يدعو دائما إلى تعلم القرآن والسنة ، وإتباعهما وتحكيمهما عند التراع ، ويحذر من مخالفتهما وارتكاب ما نكراه على من تقدم من مشركين وكتابيين ، ويستشهد في ذلك من الكتاب والسنة وأقوال السلف ، وقد رأى الخطاب الإصلاحي عند الشيخ مبارك أن الدعوة إلى التوحيد قد تكون بمذهب خاص ، ولكنه دين الله العام[301]، كما رأى الخطاب الإصلاحي أن فقه الكتاب والسنة قد تولى وانقطع لولا رجال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ، حيث قال الشيخ مبارك الميلي : ("وأما الفقه الأكبر بالتفقه في الكتاب والسنة وتصحيح العقائد ، والأعمال عليهما ، وأخذ المواعظ منهما ، فقد انقطع منذ أزمان ، من وطننا حتى أحياه من ارتحلوا في طلبه ، ممن تكونت منهم جمعية العلماء فكانت بهم للوطن توبة ، عملوا فيها بآية التوبة : ﴿ فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون﴾ * ")[302]

وقد برز في الخطاب الإصلاحي : علم أصول الدين ، بهدف إثبات العقائد الدينية ، بالدليل والبرهان دفاعا عن هذه العقيدة ، كما برز فيه علم أصول الفقه ، ليستنبط الأحكام الشرعية من أجل العمل بها ، فدعم هذا الخطاب تأصيل الأصول والقواعد الشرعية ، فالخطاب الإصلاحي ليس مجرد عرض للنصوص

---

[300] - **صالح فركوس** : المختصر في تاريخ الجزائر من عهد الفينيقيين إلى خروج الفرنسيين 814 ق.م - 1962م . ، ص 43 و 51

[301] - **مبارك الميلي** : رسالة الشرك ومظاهره . ص 31 و 54

* - **سورة التوبة** : الآية 122

[302] - **مبارك الميلي** : المصدر السابق . ص 136

والأحكام الدينية فحسب ، بل هو تعليق وتحليل ، وكشف للحكم والعلل والأسرار ، إذ إن الشيخ مبارك الميلي لا يكتفي بأن يقول لنا : اجتنبوا هذا الشرك ، وابتعدوا عن تلك البدعة ، لأنكم إن لم تجتنبوها فستغضبون الله تعالى ، و لم يقل لنا فقط التزموا التوحيد ، والإيمان الصحيح بالله ، لأنكم إن فعلتم رضي الله عنكم وأدخلكم جنته ، بل إنه يشرح لنا الحكمة في اجتناب ما نهى الله عنه ، وفي التزام ما دعا الله إليه وحث عليه ، إنه يخبرنا بأن التوحيد أطهر للقلوب وأرشد للعقول وأقوم للأخلاق ، وأحفظ للحياة وأضمن للسيادة وأقوى على حمل منار المدينة الطاهرة ، أما عن آثار الشرك فيقول إنها وخيمة ، هو كلية الرذائل ومعمل الموبقات ، وسبب انحطاط الأمم ، وسفه الأحلام ، وفساد الأخلاق ، ثم يدل على ذلك ، من القرآن والسنة وأقوال السلف الصالح ، مبينا الجزاء الحسن للموحدين ، والعاقبة السيئة للمشركين [303] ، فتكون بذلك تربية النفوس على عقيدة الأمة وثوابتها بصدق وإخلاص ، عبر الأفكار النيّرة المتكاملة ، فتحيى الضمائر وتنار العقول ، ويغرس الطموح الديني والإنساني في أفراد المجتمع الجزائري ، ثم إن خطاب الإصلاح الديني- في جوهره- هو محاولة لتحقيق الاعتقاد الراسخ بصلاحية الإسلام لكل زمان ومكان ، إذ إن الإسلام في منظور الخطاب الإصلاحي هو (منهج هداية ونظام اجتماعي شامل لتسيير الحياة والتصرف فيها ، مع الإعداد لليوم الآخر ، فالإسلام في جوهره حسب فهم السلف الصالح ، يسعى جاهدا للمواءمة بين الروح والجسد [304] ، وهو بهذا صالح لكل مكان وزمان ، ولكل قوم من أهل الزمان والمكان ، مهما اختلف العرق واختلف الجنس واختلفت اللغة والعادات والتاريخ والأوطان ، والإسلام مع هذا كله يحترم الأديان السماوية الأخرى ، ويقرّ بها ، كما أنه يدعو إلى المجادلة بالتي هي أحسن مع المخالفين لدين الله ، لأن الدين الإسلامي هو دين التسامح والعدل والسلام ، وبه لا بغيره تكمن سعادة الإنسان في دنياه وآخرته ، وبهذا استطاع الخطاب الإصلاحي الجمع بين الاعتقاد الصحيح والسلوك السليم وفق هذا الدين ، فوفق بين العلم والعمل، وبين الفرد والمجتمع ، وبين الدين وجوانب الحياة جميعها ، وبين تراث الماضي الذي يحمل المقومات الدينية والثقافية والتاريخية للأمة وبين حضارة عصرها .

---

303 - **مبارك الميلي** : رسالة الشرك ومظاهره . ص 49 وما بعدها

304 - **مبارك الميلي** : المصدر نفسه . ص 31

ب – التمسك بالتراث :

عبّر الخطاب الإصلاحي عن الإرادة في التغيير ، وكانت القوى المعتمدة في إنجاح هذا التغـــيير عنده ، هي القوى التي تمثلت في التراث أولا ، والتشبع بالثقافة العربية الإسلامية والانتماء الحضـــاري ، ولأجل ذلك عمل الخطاب على تراث الماضي ، بإعادة إحياء السنة ومنهج السلف الصالح في الأخلاق والعبادات ، وسار الخطاب الإصلاحي في مسار المنهج السلفي الذي يشكل حصنا حصينا ضد الخرافات والبدع المستحدثة ، فتلخصت الدعوة الإصلاحية (إلى العلم والعمل بكتاب الله وسنة النبي ، والســـير على منهاج السلف الصالح في أخلاقهم وعاداتهم القولية والاعتقادية والعملية ، وتطبيق ما هـــو عليـــه المسلمون من عقائد وأعمال وآداب على ما كان في عهد السلف الصالح ، إذ عدّ الخطاب الإصـــلاحي (ما وافق منهج السلف الصالح أنه من دين الله ، وأن القائم به قائم بدين الله ، أما ما لم يكن معروفا في عهد الصحابة ، فليس من دين الله ، إلا أن الخطاب الإصلاحي لم يصدر أي حكم ضده ، بـــل اعتـــبر الدين حجة عليه ، وأنه ليس حجة على الدين)[305] ، ثم إن الشيخ مبارك الميلي لا يرى منافاة بين تفهم القرآن والسنة ، ودراسة مؤلفات العلماء ، وإن الدعوة إليهما هي حث على الانتفاع بالتراث القـــيم ، وليست تزهيدا في هذا التراث ، ويحتج في ذلك بقوله : "لأن الناظر فيهما يحتاج إلى النظر فيما كتـــب عليهما وما استنبط منهما وما هو وسيلة إليهما ، وقد يتعرف بذلك إلى علوم كونية مجملة فيهما ، هذا إلى تحصيل ملكة البيان من أسلوبهما ، وإحياء طريقتهما في الهداية" [306] .

وانطلق الخطاب الإصلاحي إلى الماضي الإسلامي ، مؤكدا أن صلاح الفرد والمجتمع إنما يكون بالعودة إلى مثل هذا الماضي ، ومن ثم يجب الاهتمام بالموروث الحضاري ، وخاصة في بدايات الإصلاح والنهوض بالأمة ، واستوعب الخطاب الإصلاحي خبرة الماضي في اتجاهه الفكري ، هادفا إلى اكتساب قوة الثقة في ذاته ، بما تؤهله تلك القوة إلى إخراج المجتمع الجزائري من مستنقع الصوفية المنحرفة الـــتي امتلأت بدعا وخرافاتٍ ، ثم يتابع سيره في سبيل ترسيخ العقيدة الإسلامية والتمكين للحـــق في نفـــوس الناس ، لاسيما أن الأمة الجزائرية المسلمة قد تعرضت إلى عدوان فرنسي ظالم ، استهدف كيانها الذاتي ،

---

[305] - **مبارك الميلي** : رسالة الشرك ومظاهره . ص 4

[306] - **مبارك الميلي** : المصدر نفسه . ص 42

وإلى بدع وخرافات دينية وصوفية منحرفة ، استهدفت العقيدة الإسلامية الصحيحة للأمة في سبيل حرب المصالح والماديات ، فحرص الخطاب الإصلاحي على استيعاب خبرة الماضي ، وكأن هذه الخبرة سفينة نوح عليه السلام ، لإنقاذ المسلمين الجزائريين من طوفان تلك البدع والخرافات الضالة المضلة ، إذ (لم تقم ثورة مفيدة في بلد ما إلا سبقتها دعوة للرجوع إلى الماضي البعيد ، ذلك أن هذا الرجوع الذي يظهر في شكل تقهقر إلى الوراء هو نفسه تحرر كبير من أشياء كثيرة وضعتها الأجيال العديدة ، والعصور المختلفة ، والتحرر منها هو تخفيف يسهل السير إلى الأمام بخطى واسعة وإزالتها من الطريق ليفتح أفقا عاليا ، يهدي السائرين للغاية الصحيحة التي يجب أن يوجهوا أنفسهم إليها ، ومن ثم فإن الرجوع بالدين إلى أصله الأصيل ومصدره النقي هو من أجل (إزاحة كل ما ألصقته الأجيال به من آثار الجمود ، والجحود وما غطت به حقائقه الناصعة تأويلات المبطلين ، وتحريفات الجاهلين)[307] ، ورغم ارتباط الخطاب الإصلاحي بالماضي والدعوة إليه إلا أنه لم يقدّس الماضي، و لم يبرأه من أي سلبية ، بل كان صادقا مع الذات ومع الآخرين في تعامله مع الماضي ، ونعلم أن هذا الصدق هو أول الطريق الصحيح نحو الإصلاح ، إذ قال الشيخ مبارك الميلي في عدم خلو عصر النبي ، وعصر السلف من الفتن والبدع : "هذا عصره ؛ أزهر العصور ، وهذه مدينته ؛ أكرم المدن ، لم يخلوَا من المنافقين أحط أصناف المبطلين ، وهذا جيل الصحابة وعهد الخلفاء الراشدين قد تلوثا بالمبتدعين ، فقد حدثت البدع زمنهم من غيرهم ، فكانت على الجهّال ظلمة وفتنة ، ولأولي الألباب نورا ورحمة ، فمصيبة الجهّال فيها أنها قديمة وهم يقدسون كل قديم ، ويرون أن ما تقدم جيلهم من الأجيال هو كمال خالص وغير محض ، وفائدة العلماء منها الاستنارة بآثار السلف في إنكارها والاستعانة بأنظارهم في تخليص السنة منها"[308] .

وبالرغم من أن الشيخ مبارك الميلي لا ينفي الخطأ والزيغ عن الناس في عصر السلف الصالح ، إلا أنه يظن أن أهل زمن السلف هم أفضل من أهل زماننا ، (فهو مثلا يورد قول الحسن البصري في

---

[307] - **تركي رابح** : الشهاب – لسان الإسلام والعروبة والوطنية في الجزائر (1925-1939م)- دورها في نهضة الجزائر الحديثة ، مجلة الثقافة ، عدد 81 ، ص 205

[308] - **مبارك الميلي** : رسالة الشرك ومظاهره . ص 262

القرن الأول لأهل زمانه : "رأيت سبعين بدريا لو رأيتموهم لقلتم مجانين ، ولو رأوا خياركم لقالوا ما لهؤلاء من خلاق ، ولو رأوا شراركم لقالوا هؤلاء لا يؤمنون بيوم الحساب " ، ثم يعقب الشيخ مبارك الميلي على كلام الحسن البصري ، فيقول : "هذا خطاب الحسن لأهل عصره من التابعين وتابعيهم فبماذا يخاطب أهل القرن الرابع عشر")[309] ، وهذا لا يدل أبدا على أن الصلاح لن يبلغ ما بلغه في عصر الصحابة والتابعين ، أو أن الفتن في عصرنا أقوى وأشد ، إذ نحن جميعا نعلم الفتن التي أصابت أهل ذاك الزمان خاصة بعد مقتل عثمان ، وعلي كرم الله وجهه والحسين رضي الله عنهم جميعا .

وأراد الخطاب الإصلاحي أن يؤكد حضور الماضي في الحاضر كأنموذج ومثال ، لكن ليس معنى ذلك أنه يعيد إنتاج التراث البعيد عن الوحي أو الذي يفسر الوحي ، لأن التراث هو إنجاز إنساني ، متطور ومتغير ، وخاضع إلى شروط معرفية واجتماعية وثقافية وتاريخية ، في نشأته وفي تطوره وتغيره ، ومن ثم فلن يصلح لأن يسقط كما هو على الحاضر لأنه مرهون بشرطه التاريخي ، وإنما اعتمد الشيخ مبارك الميلي في خطابه الإصلاحي على منهج السلف الصالح ، لأنه يقوم على الدين الإسلامي بالعقيدة الصحيحة الواضحة ، والأخلاق الكريمة السمحة، مما يجعله معينا على إصلاح الأمة ، كما أن الدين الإسلامي هو أحسن من يعالج هموم الإنسان ومشكلات الفرد والمجتمع ، وهو الذي يسير بهم إلى الحضارة والرقي في شتى مناحي الحياة ، كما أنه سر سعادة الإنسان في الدنيا والآخرة ، وبهذا كان الخطاب الإصلاحي غنيا بتعاليم الدين الإسلامي التي سار عليها السلف الصالح عن أي منهج وضعي في النهضة بالأمة وتسيير شؤون حياتها ، ولذلك فقد اعتمد الشيخ مبارك منهج السلف الصالح عن وعي وبصيرة ، واستمرَّ الحضور القويّ لخطاب التراث في داخل الخطاب الإصلاحي ، كمشروع يمكن إنجازه ، أو كأنه مشروع قيد الإنجاز ، هادفا إلى إصلاح أحوال المجتمع الجزائري ، فأبلى بلاء حسنا في المحافظة على الانتماء إلى أصول إسلامية وعربية والدعوة إلى الكتاب والسنة .

و(يلاحظ أن الدعوة السلفية المعاصرة أو مدرسة التجديد الإسلامي كما يطلق عليها في بعض الأحيان ليست وليدة العصر الحديث فحسب ، وإنما هي تضرب بجذورها في أغوار الماضي الإسلامي

---

309 - **مبارك الميلي** : رسالة الشرك ومظاهره . ص 53

البعيد ، فهي ترجع إلى تراث الإمام أبي العباس أحمد بن تيمية ، وتلميذه ابن القيم الجوزية اللذين عاشا في أواخر القرن السابع والنصف الأول من القرن الثامن الهجري ، وكانت (دعوة ابن تيمية ترتكز على الرجوع إلى الكتاب والسنة في كل شأن من شؤون الحياة ، وإتباع سبيل السلف الصالح من صحابة النبي وأتباعه في فهم الآيات القرآنية ، والأحاديث النبوية المتصلة بالمسائل الفلسفية وخاصة في مسألة الصفات الإلهية ، ومحاربة البدع والمنكرات ، ولاسيما ما اتخذت عنها مظهر الشرك بالله ، كالتمسح بالقبور والصلاة عندها ، وطلب الحاجة منها ، والاستعانة أو الاستغاثة بغير الله كالأولياء ، والأضرحة والتبرك بالأشجار والأحجار)[310] .

ومن خلال هذا الطرح يتبين أن الخطاب الإصلاحي كان جزءا من التراث العربي الإسلامي ، بل قد كان تراثا إنسانيا أنتجه تاريخ المنطقة العربية والإسلامية ، وقد تمثل هذا التراث في الكثرة والتنوع ، إذ نرى فيه من الخلاف والاختلاف الكثير ، ومن الملل والنحل في المذاهب والشيع .

إن التيار الغالب على الخطاب الإصلاحي هو تيار سلفي ، ومرجعيته القرآن والسنة والسلف الصالح ، وهو خطاب معتدل مستنير ، يعمل بالأصول على أساس اعتبار المصلحة الكلية ، بتطبيق الشريعة الإسلامية ، بما يتناسب وأحوال العصر وتطوراته ، وهكذا فقد مارس الخطاب الإصلاحي اهتماماً قويّاً بالتراث ، لكنه لم يكن يعني أن نكون تراثيين تماما في التفكير والسلوك ، ذلك أن البحث عن آليات الخطاب في تشكيل المعنى وفي إنتاج الحقيقة تتطلب منهجية معرفية في نظام العقل ، ومنهجية تاريخية في كيفية الأخذ من هذا التراث ، لكن الخطاب الإصلاحي لم يقبل التراث كله بما فيه وما عليه ، بل نقده بطريق غير مباشرة ، وبما يتطلبه النقد ، دون أن ينحاز إلى مرحلة وأخرى ، رغم أنه يعد مرحلة صدر الإسلام والسلف الأول من الخلفاء الراشدين أحسن مرحلة [311] .

وحاول الشيخ مبارك الميلي أن يعاود استثمار التراث الفكري في تحقيق معنى الإصلاح ، بما يتيح له المقدرة في التعامل مع الواقع الجزائري ، فاستطاع أن يبرهن على أصالة كثير من المفاهيم الدينية ، وكانت محاولته في برهنة تلك المفاهيم ، هي لأجل تطهير الوعي الديني من الخرافات والبدع ، ومن هذه

---

[310] - **تركي رابح** : الشيخ عبد الحميد بن باديس والحركة الإصلاحية السلفية في الجزائر . مجلة الثقافة ، عدد 68 ، ص 31

[311] - **مبارك الميلي** : رسالة الشرك ومظاهره . ص 262

البراهين أن مقياس الخير والشر هو الكتاب والسنة ، ومنهج السلف الصالح ، وفي هذا يقول الشيخ مبارك عن الزردة : " ثم لو كانت الزردات خيرا - وهي كثيرة عندنا - لظهر خيرُها ، أو لقلّت كما قلّ كل الخير ، ولكان السلف أولى بها منا بكل خير ، فهل فعلها النبي ، على قبر سيد الشهداء حمزة ؟ أم صنعها الصحابة على القبر الشريف ؟ أم اتخذها التابعون على قبور الخلفاء أو الشهداء أو غيرهم ممن كل واحد منهم من ألف ممن يزردون لهم اليوم ؟ كلا ، لم يكن شيء من ذلك ... و ما أعرب عنه الكتاب والسنة وكلام فحول الأئمة من مفسرين ومحدّثين و أصوليين ، والفقه إنما يكون من هذه العلوم الثلاثة" [312] .

لقد اتجه الخطاب الإصلاحي إلى الموروث الديني الإسلامي ، فاستمد منه ما يعينه على بناء خطابه ، لكن عودته هذه إلى ذاك الموروث ، قد كان سببها الأول هو الانشغال بهموم الحاضر وطموحات المستقبل .

وظل الخطاب الإصلاحي ينفذ إلى أعماق الماضي ليحس أحاسيس الناس ، ويختبر رغباتهم وآمالهم ، والظروف التي كانت تحيط بهم ، وما مدى تأثرهم بتلك الظروف وتأثيرهم فيها ، و لم يكن أبدا معنى رجوع الخطاب الإصلاحي إلى الماضي إلا استلهاما من روحه ، وليس لأنه يقف على الأطلال ويتغنى بها ، و لم يكن يرفض الآخر ، بل كان يرفض الفكرة الهابطة بالمجتمع بعد أن يتبين قيمة الفكرة ، وأهم فكرة قد تعامل معها بأكبر الاهتمام ، هي فكرة الشرك ، ورأى أنها خطيرة على المجتمع الجزائري المسلم ، على الأقل باعتباره مسلما يسعى إلى إرضاء خالقه [313] ، إذ يقول الله تعالى : ﴿ إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك ﴾ *

وقد رأى الخطاب ضرورة التمسك بالتراث أكثر ، خاصة بعد أنْ أدرك أنّ مآسي المجتمع وهمومه النازلة والأزمات التي حلت به ، كان سببها أصحاب الطرق الصوفية المنحرفة التي ضلت وأضلت كثيرا من الناس .

---

[312] - **مبارك الميلي** : رسالة الشرك ومظاهره . ص 242 و 237

[313] - **مبارك الميلي** : المصدر نفسه . ص 8 وما بعدها

* - **سورة النساء** : الآية 48 و 116

ج - محاربة الطرق الصوفية :

كانت الزوايا في الجزائر قبل الاحتلال الفرنسي تحتل مكانة مرموقة بين المدارس الثقافية الإسلامية في البلاد ، وتنتشر في العديد من المناطق داخل الحدود الجزائرية ، إذن فالزاوية بالنسبة إلى المؤسسات الثقافية في الأقطار العربية والإسلامية المعاصرة لها ، كانت تعتبر في غاية الأهمية ، بل إنها كانت تفوقها في نشر الثقافة ، والدعوة إلى الإسلام ، و الطريقة الصوفية في لغة المغرب العربي تعني الزاوية والمرابطين)[314] ، ويبين الشيخ مبارك الميلي أن (الطرق الصوفية الغارقة في البدعة إلى الأذقان هم في الواقع أدعياء التصوف)[315] ، فيقول : (أين أصولهم من أصول الصوفية الأتقياء ... وهي التمسك بكتاب الله والاقتداء بسنة رسول الله ، وأكل الحلال ، وكف الأذى واجتناب الآثام ، وأداء الحقوق)[316]

لكن الطرق الصوفية قد (انحرفت في الغالب إلى الزوايا الفاسدة مع سقوط البلاد تحت وطأة الاستعمار ، وأضحت عميلة للاحتلال وعينا له على الجزائريين ، وتحول جلها إلى إفساد العقائد ونشر الخرافات والأباطيل التي ما أنزل الله بها من سلطان ، ففرقت وحدة الأمة وتماسكها الاجتماعي حتى أصبحت الجماهير الجاهلة تعتقد في شيوخ الطرق الصوفية بأنهم القابضون لأرواح البشر ، وأصبح الطرقيون آلة طيعة في يد الإدارة الاستعمارية لعرقلة نشاط جمعية العلماء ، وقد أوحت إليهم تلك الإدارة - بعد فشلهم في السيطرة على منظمة العلماء سنة 1932م- بتأسيس جمعية تحت اسم "جمعية السنة" ، بهدف تحويل الناس عن جمعية العلماء المصلحين ، ولكنها كانت بناءً أُسِّس على شفا جرف هار فانهار بها)[317] ، إذ (فرّ أولئك الطرقيون من الجمعية وناصبوها العداء واستعانوا عليها بالظلمة ورموها بالعظائم وجلبوا عليها من كل ناحية بكل ما كان عندهم من كيد ، ذلك لأنهم وجدوا كثيرا من

---

[314] - **عبد الكريم بوالصفصاف** : جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في تطور الحركة الوطنية الجزائرية 1931 - 1945 م ، ص 187 و 135

[315] - **عبد اللطيف عبادة** : الشرك ومظاهره عند الشيخ مبارك الميلي وشيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن تيمية . دراسة مقارنة ، مجلة الثقافة ، عدد 85 ، ص 130

[316] - **مبارك الميلي** : رسالة الشرك ومظاهره ، ص 296

[317] - **عبد الكريم بوالصفصاف** : المرجع السابق . 188 و 200 – 201

الآفات الاجتماعية التي تحاربها الجمعية هم مصدرها وهي مصدر عيشهم ، ووجدوا قسما منـــها ممـــا تغضب محاربته سادتهم ومواليهم)[318] .

لكن الخطاب الإصلاحي كان حازما في وقوفه ضد انحرافات أصحاب الطرق والبدع ، إذ درس أحوال الأمة ومنشأ أمراضها ، ووجده كامنا في تلك الطرق المبتدعة ، ورأى أن هذه الطرق هي سبب لتفرق المسلمين ، كما أنها سر الضلال في الدنيا والهلاك في الآخرة ، وأن سر التغلب على الباطل والشر مرتبط بمقاومة تلك البدع والقضاء عليها ، فبدأ يحذر الخطاب الإصلاحي من مشايخ الطرقية ، ومـــن ذلك ما جاء للشيخ مبارك في كتابه تاريخ الجزائر : ("إني بذلا للنصيحة أحذرك من متابعة مشايخ هذا الوقت ، من لا يشمر الاجتماع بهم خلاف المقت ، إذ هم قطاع طريق الله على عباده ، وأعداء الأولياء الداعين إلى سبيل رشاده ، حيث لا همة لهم إلا جمع العرض الفاني ، ولا سعي لهم إلا في تجريد القاصي والداني ، أزاحهم الله من جميع البلاد وأراح منهم الدواب والعباد ... فعليك يا أخي في مثل هذا الوقت بخاصة نفسك ، وتباعد عمن بهم تزيد قاذورات رجسك ، وتابع هدى سيد المرسلين وإمام كل النبيين والمرسلين ، فكافيك التمسك بالقرآن والتمسك على طريق ولد سيد ولد عدنان ، ولا تغرّنك ولو فرضا خوارقُ العادات ، فإنها كما تكون للكرامة ، توجد لقصد الإهانة ، فهذه وصيتي إليك ، قـــد ذكرتهـــا شفقة عليك ، دعاني لذكرها رعايةُ المقام ، فتقبلها مني وعليك السلام") [319] ، ومـــن هـــذه البـــدع والانحرافات التي حذر منها الشيخ مبارك أن الطرقيين (صدوا عن التفسير وافتروا الكذب على العلماء ، فقد قالوا مثلا إن الشيخ عبد الرحمن الثعالبي امتنع عن التفسير فلما ألح عليه تلامذته قال لهم لنخـــرج حتى لا ينقض علينا جدار ولا يخر علينا سقف)[320] .

اعتبر الخطاب الإصلاحي (الطرقَ الصوفية علةَ العلل في الإفساد ومنبعَ الشرور ، وأن كل مـــا هو متفشّ في أوساط العامة من ابتداع في الدين ، وتحريف في العقيدة وإلحاد في الناشئة ناتج عن الطرق

---

[318] - **عبد الكريم بوالصفصاف** : جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في تطور الحركة الوطنية الجزائريـــة 1931 - 1945 م ، ص 374

[319] - **عمار طالبي** : ابن باديس حياته وآثاره . ج 3 ص 47

[320] - **مبارك الميلي** : رسالة الشرك ومظاهره . ص 37

ومرده إليها ، ولذلك وجبت محاربتها ، هذه الطرق المنحرفة من أولى واجباتها الإصلاحية ، وأن هـذه الحرب التي شنها العلماء المصلحون على شيوخ الزوايا وأتباعهم لم تكن من قبيل الصدفة أو من اختيار بعض الأشخاص ، ولكنها كانت فكرة ناضجة توصلوا إليها بعد دراسة عميقة لأحوال المجتمع واكتشاف أسباب مرضه)[321] ، وكشف الخطاب الإصلاحي عن الكثير من الجماعات والطرق التي أسهمت في تشويه صورة الإسلام في أذهان الكثير من الناس ممن لم يعرفوا حقيقة العقيدة الإسلامية ، (فمن شبهات الطرقيين ، قولهم إن كلام الله أجلّ من أن يفسر ، وإن الواجب الاقتصار على المألوف من المؤلفات ، وقد صدوا بذلك عن التفسير ، حتى قالوا إن من يفسر القرآن فيكون تفسيره صحيحا فهو خطأ ، وإن كان تفسيره خاطئا فقد كفر ، ومن (البدع المختلقة أن آمنت الرافضة بنسبة علم الغيب للمخلوق ، وسرت بدعتهم إلى متأخري الصوفية لاندماج الطائفتين بعضهما في بعض ، وانتحال الصوفية كثيرا من العقائد التي ابتدعها الرافضة)[322] ، ومن أوامر الطرقيين (ونصائحهم المسمومة للعامة ما نقل الشيخ مبارك من استغفال الطرقيين للناس قولهم :"سلم تسلم ، سلم للرجال في كل حال ، اعتقد ولا تنتقد ، زوروا تنوروا" ، ثم يشرح الشيخ مبارك ذاك القول : "ومرادهم من الرجال الذين يسلم لهم ويعتقد فيهم من كان على مثل حالهم، وليس علماء الدين ومن كان من أهل الغيرة الناصحين، والمقصود بالزيارة الجدود والمشاهد ، وليس حلقات العلم والمساجد" ، ومن العقائد البدعية للطرق الصوفية وادعاءاتهم الظن - حسب ما أورد الخطاب الإصلاحي- (أنهم يضمنون الجنة للناس ، وأن النار لن تلمسهم ، وربما لمست بعض أطرافهم فقط ، قال الشيخ مبارك : "وكم قائل من الطرقيين لمن رضيه من خدامه : إذا تعرضت للنار يتعرض لها فخذي ، وكم شيخ نقل عنه ضمان الجنة لمن رآه ورأى من رآه إلى ثلاثة أجيال أو سبعة" ... ومن دعاويهم الشنيعة العروج إلى السماء ، وجرهم الشمس مع الملائكة ، والاجتماع بالرسول ، في كل وقت يقظة ، وتصرفهم في العلماء بسلب العلم عمن غضبوا عليه منهم ، ويعبرون عن ذلك بقولهم : "العلماء مصابح ونحن مراوح" ... إنهم يعتمدون في دينهم على الخرافات والمنامات وما يربي هبتهم في قلوب مريديهم من حكايات ، ولا يتصلون بالعلماء إلا

---

[321] - **عبد الكريم بوالصفصاف** : جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في تطور الحركة الوطنية الجزائرية 1931 – 1945 م . ص 204

[322] - **مبارك الميلي** :رسالة الشرك ومظاهره . ص 37 و 129

بمن أعانهم على استعباد الدهماء والرد على المرشدين النصحاء بتأويل ما هو حجة عليهم وتصحيح الحديث الموضوع إذا كان فيه حجة لهم")[323] ، وقال الشيخ مبارك في تبليه الطرقيين ، بأنهم (يعملون على صرف قلوب الناس عن الله إليهم بالرجاء فيهم والخشية منهم والاعتماد في سعادة الدارين عليهم ، وهذا تأله واستعباد لأتباعهم ... وقد وجد في عصرنا من الطرقيين والمرابطين من ينتصب للدعاء ويصرح بكونه واسطة بين الله وخلقه في جلب المحبوب ودفع المكروه ، فإذا رضي عن أحد ضمن له ما يشتهي من حاجات من الدنيا نعيم الآخرة ، وإذا غضب عن آخر توعده بحلول النقمة ، ورضاه وغضبه تابعان لمطامعه فيما في أيدي الناس ، ورأينا من الجهّال المعتقدين في لصوص الدين هؤلاء من يبذل فوق طاقته طلبا لرضاهم عنه وفوزه بدعوة منهم له ، ويشتري ما ينتسب إليهم من شمع وبخور مزايدة بأرفع الأثمان ليقوم ذلك الشيء المشترى مقام دعوة صاحبه ، ففي الانتصاب للدعاء وسؤاله ذريعة إلى الشرك والعياذ بالله"[324]

ويخلط الطرقيون بين عالم الغيب - الذي يعد الركيزة الأساس للعقيدة الإسلامية - وبين عالم الخرافة الذي ساروا فيه ، وحاربه الخطاب الإصلاحي ، فالإيمان بالغيب هو من أهم سمات المؤمنين لأنه يتصل بالله وملائكته والعالم الآخر ، أما عن عالم الإنسان فإنه محكوم بسنن وقوانين كونية ، ولا علاقة لأي ظاهرة طبيعية بسير حياة إنسان دون آخر ، لقد مات إبراهيم ابن رسول الله ، الذي حزن عليه حزنا شديدا ، وصادف موته أن كسفت الشمس ، وظن الناس أنها كسفت لموت إبراهيم لكن الرسول أنكر ذلك نكرانا شديدا ، ويخبر أن الشمس والقمر آيتان من آيات الرحمان لا تكسفان لموت أحد ، ويرى الشيخ مبارك الميلي أن البدع تحرص على البقاء ، بمعنى أن أصحاب الطرق والبدع في كل زمان يعملون جاهدين على أن تبقى بدعهم التي اختلقوها سائرة في ربى الزمن ، إذ "إن شأن البدعة في الواقع هو المداومة ، والحرص على أن لا تزال من موضعها ، وأن تقوم القيامة على تاركها ، فيرمي بالتسفيه والتجهيل ، وينبز بالتبديع والتضليل ، ضد ما كان عليه سلف هذه الأمة والمقتدى بهم من الأئمة ، والدليل على ذلك الاعتبار والنقل ، فإن أهل البدع كان من شأنهم القيام بالنكير على أهل السنة ، إن

---

[323] - **مبارك الميلي** : رسالة الشرك ومظاهره . ص 277 - 281

[324] - **مبارك الميلي** : المصدر نفسه . ص 178و 280

كان لهم عصبة أو لصقوا بسلطان تجري أحكامه في الناس ، وتنفذ أوامره في الأقطار ، ومن طالع غير المتقدمين ، وجد من ذلك ما لا يخفى ، لعله ما لا يحصى ، وأما النقل فما ذكره السلف من أن البدعة إن أحدثت لا تزيد إلا مضيا" [325]

لقد دق الخطاب الإصلاحي للشيخ مبارك الميلي ناقوس الخطر الكبير للطرق الصوفية المنحرفة على العقيدة وسلوك الجزائريين ، هذه الطرق تمثل مظاهر الشرك التي تدنّس كرامة الفرد المسلم وتقتل فيه روح المبادرة والإبداع ، فقد حذر الخطاب الإصلاحي الناس من مغبة الوقوع في حبال الطرقيين)[326] .

إن الخطاب الإصلاحي قد حدد بشكل دقيق مسؤولية بعض الجماعات ، في انحطاط قيم المجتمع الجزائري المسلم وتخلفه وانحرافه عن عقيدته وتراثه الأصيل ، وقد أيقن الخطاب أن فجر المسلمين المرتقب متعلق تعلقا شديدا بمدى تمسكهم بعقيدة التوحيد ، ومدى ابتعادهم عن الشرك ومظاهره ، ولذا فقد عمل الخطاب الإصلاحي على بناء العالم الروحي الأصيل بإحياء الثقافة العربية الإسلامية ، وتصفية طريق الإصلاح من أولئك الذين يحاولون تبديل مساره إلى انحراف في العقيدة ، لذا وجب محاربة الصوفية المنحرفة ، قال الشيخ مبارك الميلي في تصدي الجمعية لتلك الطرق المنحرفة : "وقد كانت جمعية العلماء لأول تكوينها تحتوي على أخلاط من هؤلاء الرهاط ، يحضرون جلساتها لا خدمة لغايتها ولا إعانة لإدارتها ، ولكن عينا فاجرة تبلغ وتشي إلى إدارة الأمور الأهلية ، وما انقضى عام حتى انقضوا على من فيها من المصلحين المرشدين ، ليستبدوا بإدارة الجمعية دونهم ، فعاملهم الله بنقيض مقصودهم ، وخرجوا من الجمعية محاربين ، ولأغراض إدارة الأمور الأهلية منفذين ... إنهم لم يجنوا سوى الإفلاس أمام الأمة ، وأن المصلحين ما زالوا صابرين عاملين وواثقين بالله [327] ، (فبينما كان المرابطون يجمعون الأموال من الأوقاف وغيرها ، ويوزعونها على أتباعهم أو يعيشون منها في حياة الترف والأبهة ، كان

---

[325] - **مبارك الميلي** : رسالة الشرك ومظاهره . ص 116

[326] - **عبد الكريم بوالصفصاف** : جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في تطور الحركة الوطنية الجزائرية 1931 - 1945 م ، ص 200

[327] - **مبارك الميلي** : المصدر السابق . ص 268

العلماء يجمعون الأموال من الشعب ويبنون بها المساجد ، والمدارس ، وينشرون بها الصحف والكتب ، ويدفعون منها أجور المعلمين والأساتذة والوعاظ وغيرهم ممن يشرفون على حركة التعليم ، ثم إن أصحاب الطرق الصوفية قد (استرفوا باسم الدين كل الطاقات الفكرية والمادية للشعب الجزائري الواقع بين مخالب الاستعمار ... وهم من أهم عوامل انحطاط المجتمع الجزائري وتأخره)[328] .

لقد كشف الخطاب الإصلاحي كثيرا من الآفات الاجتماعية التي كانت مصدر معيشة أصحاب الطرق الصوفية ، ووقف موقفا حازما صارما تجاه انحرافاتهم ، معتبرا تلك البدع والضلالات التي أتى بها الطرقيون ، منشأ الأمراض الاجتماعية في جسد الأمة الجزائرية ، وأن بها يتفرق المسلمون الجزائريون وينصبون العداء لبعضهم البعض ، وبقي الخطاب الإصلاحي في الجزائر مرهونا بحامليه في تحقيق نجاحاته على الميدان ، و لم يكن أبدا سجين الفكرة دون العمل ، بل كان يمارس الدعوة الإصلاحية في وعي ورشاد ، يسير إلى القرى النائية والأرياف والمدن ، ويستأنس بأهلها وأناسها ، وينير دروب الناس بالسلوك الحضاري الذي يتميز به في الطريق والنوادي والمدارس والبيوت والمساجد ، لقد خدم مشروع الإصلاح فأحسن الخدمة ، وأفاد المجتمع الجزائري وأعاد إليه روح العقيدة والتمسك بالثوابت ، والاقتداء بالسلف الصالح ، وتقهقر الطرقيون بسرعة أمام التماسك الاجتماعي مع العلماء المصلحين ، ذلك أن الطرقيين كانوا يتسابقون على المستوى المحلي من أجل السلطة ، وتوطيد نفوذهم ، لكن الطرقيين ينهزمون في آخر المطاف - بعد أن تشبثوا بأذيال الاستعمار خلال قرن من الزمن وتعاونوا مع سلطات الاحتلال على تقويض المبادئ الأساسية للإسلام ، واللغة العربية في الجزائر بتجميد الفكر ، ونشر الأكاذيب ، والخرافات الباطلة)[329]

---

[328] - **عبد الكريم بوالصفصاف** : جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في تطور الحركة الوطنية الجزائرية 1931 – 1945 م . ص 191 و 364

[329] - **عبد الكريم بوالصفصاف** : المرجع نفسه . ص 193 و 195

د - الابتعاد عن السياسية :

أعلن الخطاب الإصلاحي عند الشيخ مبارك الميلي دعوته الصريحة والرسمية إلى الإصلاح الديني والتربوي ، بالتمسك بمبادئ الإسلام ومكارم الأخلاق ، والسير في سبيل العلم والمعرفة للقضاء على الجهل والخرافة ، و لم يكن يتناول القضايا السياسية ، إنما عمل على المحافظة على وحدة الأمة الجزائرية وضمانا لوعيها بماضيها ، ومن ثم وعيها بمستقبلها والعمل له ، وسار بالأمة الجزائرية أولا إلى تحقيق كيانها بالعلم ومبادئ العقيدة ، حتى يستقيم مزاجها ، إذ إن الخطاب الإصلاحي قد أدرك منذ البدء أن سبب بقاء الاحتلال الفرنسي لمدة قد طالت ، يكمن في انحراف المجتمع عن عقيدته الدينية الصحيحة ، وانحطاط الفكر لديه ، وأن تغيير الحال يتطلب تغيير النفس أولا ، لأن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ، لذلك ظلت فكرة الإصلاح الديني حاضرة في خطاب الشيخ مبارك الميلي منذ الوهلة الأولى التي بدأ فيها الخطاب الإصلاحي ، لكنه لم يكن يعالج المسائل السياسية ، و لم تكن تلك المسائل تشكل له هاجسا ، ليس لكونه يجهل أمر السياسة وخطرها على المجتمع ، أو لكونه بعيدا عنها ، وإنما ابتعد عن السياسة والخوض فيها ، لأنها لم تكن لتستطيع تحقيق أهدافه ، التي تتلخص في تصحيح انحراف العقيدة في أذهان الناس ، وإصلاح المجتمع السائر في طريق الانحراف ، ولأجل ذلك عمل على الابتعاد عن المسائل السياسية التي من شأنها أن تعرقل النشاط الإصلاحي في المجتمع)[330] ، وسلك الخطاب الإصلاحي طريق الحكمة والرشاد حتى يحافظ على استمراريته في خدمة الإصلاح في ظل الاحتلال الفرنسي ، (إذ إن إبقاء باب المفاهمة بالتي هي أحسن مفتوحا مع الحكومة هو من أجل نيل المطالب الحقة والوصول إلى ما تتمناه الأمة الجزائرية وترغب الحصول عليه كأمة مسلمة لها دينها ولسانها الخاص وحقها العام في الحياة)[331] ، لأجل ذلك (صيغت القوانين الأساسية للمؤسسات الإصلاحية في العشرينيات بريئة متبرئة مما يمت إلى السياسة بسبب ، فتضمن القانون الأساسي لنادي الترقي بعاصمة الجزائر سنة 1926م مادة تنص على تحريم الخمر والميسر والمناقشات السياسية في النادي ، ويوم تأسست جمعية العلماء المسلمين الجزائرين

---

330 - **عبد الكريم بوالصفصاف** : جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في تطور الحركة الوطنية الجزائرية 1931 – 1945 م . ص 78

331 - **مجموعة جريدة البصائر** . السنة الأولى . ص 28

سنة1931 م ، نصَّ الفصلُ الثالث من قانون الجمعية على أن لا يسوغ للجمعية بأي حال من الأحـــوال أن تخوض أو تتدخل في المسائل السياسية ، بل ذهبت الحركة الإصلاحية قبل تأسيس جمعية العلماء المســـلمين الجزائريين إلى أبعد من ذلك ، سالكة درب (التقية ، وذر الرماد في الأعين حين تحمل مجلـــة "الشـــهاب" الأسبوعية من 1926 إلى 1929 م الديباجة الآتية : "مجلة حرة وطنية تعمل لسعادة الأمة الجزائرية بمســـاعدة فرنسا الديمقراطية")[332] .

كان للشيخ مبارك الميلي من الحكمة والفهم ، ومن الشجاعة والحزم ، ما يمكنه أن يكون سياسيا خبيرا ، خاصة وهو مطلع اطلاعَ الخبير على تاريخ الجزائر ، وميراث الأمة العربية الإسلامية[333]، وكلاهما قد امتلأ بشؤون السياسة ، مما يؤكد نضجه ورجاحة عقله في إمكان معالجة المواضيع السياسية في زمنه ، لكن خطابه الإصلاحي لم يدع إلى إصلاح سياسي ، ونحن نعلم أن الحديث في أمر السياسة هو حديث عن الاحتلال الفرنسي ، ثم إن السياسة لن تقوى على معالجة تلك الآفات الاجتماعية التي برزت في المجتمع الجزائري ، فلا بد من مناسبة الدواء للداء وإلا ما حدث الشفاء .

إن الشيخ مبارك الميلي في خطابه ، قد امتثل لدعوة الشيخ عبد الحميد بن باديس - رئيس جمعية العلماء - في التظاهر بعدم الانشغال بالسياسة ، إذ سلك مسلك التقية بإعلانه عن اجتناب حركته الدينية التهذيبية العملَ السياسي [334] .

وقد كان الشيخ مبارك الميلي يدرك جيدا هدف الشيخ عبد الحميد في إبعاد السلطة الفرنسية عن شؤون الدين الإسلامي ، إذ إن هدف الإصلاح هو ضمان الحفاظ على العقيدة الإسلامية الصحيحة للجزائريين ، وحماية الجمعية في مهدها مما يمكن أن يوقفها عن العمل ، و لم يكن ذلك في نهاية المطاف إلا أسلوبا بارعا في التعامل مع المحتلين من زعيم مجرب حكيم[335] ، وبعد وفاة الشيخ عبد الحميد بن باديس (طلب الأمين العام للولاية العامة في فرنسا من الجمعية أن تصدر فتوى بأن الذي يحارب فـــي

---

[332] - **صالح خرفي** : المدارس والمعاهد العليا ، دورها في النهضة العربية الحديثة . المجلة الجزائرية للتربية ، عدد 4 ، ص 38

[333] - **أحمد حماني** : الصراع بين السنة والبدعة . مجلد 2 ، ص14- 15

[334] - **عمار طالبي** : ابن باديس حياته وآثاره . ج3 ، ص 308

[335] - **فهمي جدعان** : أسس التقدم عند مفكري الإسلام في العالم العربي الحديث . بيروت ، عام 1981 م ، ط 2 ، ص 346

صفوف الجيش الفرنسي ضد ألمانيا يعتبر مجاهدا ، فأجابه الشيخ مبارك الميلي بأن الجمعية تضم علماء دين وليس علماء سياسة ، والحرب بين ألمانيا وفرنسا ليست حربا دينية ، وإنما هي حرب سياسية ، فعلى فرنسا أن تلجا في هذا الموضوع إلى عالم سياسي)[336] .

و لم يثبت أن الشيخ مبارك الميلي قد ابتعد عن السياسة لضبط مصالح الأمة ، أو لأن السياسة مفسدة ، وإنما كان يحاول بعدم الخوض في القضايا السياسية ، أن يبعد عن الخطاب تهمة التحزب السياسي[337]

ثم إنه لا يمكن للخطاب الإصلاحي أن يتناول السياسة ، في حين يغرق المجتمع الجزائري في وحل تلك البدع والخرافات ، التي ستكون نتائجها وخيمة على الأمة ، إن استفحل داؤها ، فلا بد إذن من مراعاة مقتضى الحال والظرف ، (فإذا كانت الدعوة الإصلاحية مبنية على المثل العليا لمفهوم الحرية الإنسانية ، والكرامة البشرية عند الإسلام ، فأية حاجة في هذا الإصلاح إلى إظهار (البعد السياسي وهو كامن في الحركة الإصلاحية ، وضمير مستتر في ثناياها)[338]

لقد تجنب الخطاب الإصلاحي في البداية الخوض في المسائل السياسية ، إستراتيجية منه في سير العمل الإصلاحي ، وتمكنه في المجتمع الجزائري ، ليعيَ المجتمعُ بذلك الثقلَ الذي ينتظره ، ثم لا بد من ضبط العلاقة مع الرحمن حتى يكون الله عونا للجزائريين على قهر الاحتلال ، وصد كل ما يترل بالأمة الجزائرية إلى الحضيض من تلك الآفات والبدع والخرافات .

واعتقد العلماء (أن شروط الاحتفاظ بنجاحهم المتواصل هي أن يظهروا تحت مظاهر دينية وثقافية ، رغم أن نشاط الجمعية كان يختلط في كثير من الأحيان مع نشاط الأحزاب السياسية سواء خلال الثلاثينات والأربعينات)[339]

---

336 - **محمد الميلي** : مناقشة حول خلافة ابن باديس ، مجلة الثقافة ، عدد 81 ، ص 172

337 - **وزارة الشؤون الدينية الجزائر** : آثار الإمام ابن باديس . ج 5 ، ص 532

338 - **صالح خرفي** : المدارس والمعاهد العليا ، دورها في النهضة العربية لحديثة . المجلة الجزائرية للتربية ، عدد 4 ، ص53

339 - **عبد الكريم بوالصفصاف** : جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في تطور الحركة الوطنية الجزائرية 1931 - 1945 م ، ص 318

لكن الحكومة الفرنسية اكتشفت أن الخطاب الإصلاحي ابتعد عن تناول القضايا السياسية حتى لا يجلب المتاعب ، إذ كان (العلماء حسب تقارير الإدارة الفرنسية يجتنبون الدخول في الحلبة السياسية علنيا ، ولكنهم كانوا يمارسونها تحت غطاء الدين والثقافة ، كما أنهم كانوا يرفضون المشاركة في الحملات الانتخابية لكي يبتعدوا عن كل موقف من شأنه أن يسيء إلى سمعتهم ، كما أن اللجان الرئيسة للجمعية تمثل نوادٍ سياسيةً خالصةً تلتحم في نظام ديني واحد ، وتضم جميع الاتجاهات السياسية والحزبية ، فقد اكتشف (الساسة الفرنسيون أنفُسهم بأن جمعية العلماء ؛ جمعية سياسية في ثوب ديني)[340]

ويقودنا الحديث عن اجتناب الخطاب الإصلاحي الخوضَ في مسائل السياسة ، إلى التساؤل عن وطنية الخطاب ، إذ اشتهر (الجزائريون بحب وطنهم والذود عنه وحماية حدوده ضد الغزاة على مدار التاريخ ... ولذلك فإن الجيوش العربية الإسلامية التي ذهبت لفتح الجزائر في القرن الأول الهجري من أجل نشر الإسلام وجدت صعوبة كبيرة في تحقيق مهمتها ولقيت مقاومة عنيفة من الجزائريين ، و لم تتمكن من فتحها إلا بعد عدد من الغزوات استمرت سنوات طويلة ، ولكن عندما دخل الجزائريون إلى الإسلام أصبحوا من أشد المسلمين إيمانا به وتعلقا به ورغبة في نشره وحماسة في حماية ثغوره وذودا عن مقدساته)[341] .

والأكيد أن الخطاب الإصلاحي المولود من رحم معاناة الشعب الجزائري من الطرق الصوفية المنحرفة والاحتلال الفرنسي الغاشم ؛ هو خطاب وطني ، إذ إن الخطاب الإصلاحي يبين في مرات عديدة تلك الوطنية ، لكنه ينفي عن وطنيته المطالبة بالاستقلال عن فرنسا صراحة ، وهذه الازدواجية شبيهة جدا بما أوردناه في حديث تجنب السياسة ، فنفي المطالبة بالاستقلال عن فرنسا ، ليس حبا لبقاء فرنسا في بلاد الجزائر ، بل إنه السير وفق إستراتيجية مستقبلية ، وإرادة حكيمة لبناء مجتمع قادر على

---

[340] - **عبد الكريم بوالصفصاف** : جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في تطور الحركة الوطنية الجزائرية 1931 - 1945 م ، ص 317 – 318 و 323

[341] - **رابح تركي** : التعليم القومي والشخصية الجزائرية 1931- 1956م . الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، عام 1981م ، ط 2 ، ص 60

جلب استقلاله بنفسه ؛ مجتمع لا تدب فيه الخرافات ولا تفعل فيه البدع فعلتها ؛ مجتمع قوي بالعقيدة الصحيحة ؛ مجتمع أصيل ، يعرف كيف يحافظ على تراثه ، ويبني مستقبله ، لذلك نرى الخطاب الإصلاحي – وكأنه- ينفي العمل للاستقلال عن دعوة المصلحين ، إذ يقول الشيخ مبارك في الرد على اتهام الطرقيين لدعاة الإصلاح :("... كإلقائهم إلى الحكومة بأنا وطنيون نعمل للاستقلال ، وبثهم بين العامة أنا وهابيون معتزليون إلى أقوال ، هي أبعد في الخيال من أحاديث الأغوال")[342] ، ومن خلال قول الشيخ مبارك يتبين لنا أنه يوهم المحتل بأن الوطنية التي يؤمن بها المصلحون ، هي وطنية دينية ، لا تسعى للانفصال عن فرنسا ، لكن المصلحين من العلماء كانوا في المقابل (يعدون عقول الأطفال ، ويحضرون للمستقبل جيلا مسلحا بالثقافة العربية والمبادئ الإسلامية والقيم الوطنية ، رغم أن فرنسا ليست لديها الثقة الكافية في العلماء تجاه قضية العمل من أجل الاستقلال ، إذ إن الحكومة الفرنسية أصبحت تدرك جيدا أن في خبايا تعليم الناس دينهم ؛ خبايا سياسية [343]، لذا عملت هذه الحكومة على اقتلاع جذور الثقافة العربية والقضاء على الشخصية الوطنية دون جدوى ، لأن جمعية العلماء المسلمين الجزائريين قد عملت بالمقابل على إحياء اللغة العربية وتجديد العاطفة الدينية الصادقة ، وتستر الخطاب الإصلاحي في الجزائر تحت الغطاء الديني والتربوي اللذين تقودهما جمعية العلماء وأعوانها للوقوف ضد الإدارة، وهذا بمثابة أسلوب مقاومة من نوع آخر، ومن ثم فقد (اعترفت السلطات المحلية بخطورة العلماء على السيادة الفرنسية في الجزائر ، وأهمية الدور الذي قامت به مؤسسات الجمعية على جميع المستويات في توعية الجماهير الجاهلة التي كانت مستعدة للهضم والاستيعاب، وقد كانت الأفكار الإصلاحية الناضجة تشكل ضربة قوية ضد الوجود الفرنسي في الجزائر ، ومن هذا يتبين أن (العلماء قد كانوا مصلحين وطنيين ، هم مصلحون لأنهم ثاروا على الأوضاع القديمة المتردية ، ودعوا إلى التجديد في الحياة وفي المعتقد ، وهم وطنيون ؛ لأنهم اتخذوا من القرآن وسيلة أساسية للدفاع عن الشخصية الوطنية وتطعيم الأجيال المبادئ الوطنية ، والأفكار القومية ، وقالوا بالإسلام ستعيش الجزائر

---

[342] - **مبارك الميلي** : رسالة الشرك ومظاهره . ص 105

[343] - **عبد الكريم بوالصفصاف** : جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في تطور الحركة الوطنية الجزائرية 1931 – 1945 م . ص 318 و 323

ورأى الفرنسيون أن الجمعية (تستر القومية بستار ديني ، وتخفي الوطنية بغطـــاء العلـــم والعربيـــة ، وأنـــها تعمل للجامعة العربية أو الإسلامية)[344]

إن القصد من وراء الوطنية هو العمل للاستقلال ، ولا يكون استقلال أمـــة إلا إذا تحركـــت الوطنية في نفوس أفرادها ، لذا فالطرقيون يخبرون الحكومة أن الدعوة الإصلاحية إنما هي دعوة وطنية من أجل نيل الاستقلال ، وهدفهم في ذلك واضح هو تأليب رأي الحكومـــة علـــيهم حـــتى يوقفـــوهم ويحاربوهم ، وقد تفطن الخطاب الإصلاحي لمثل هذه المؤامرات ، فأوهموا فرنسا بأن وطنيتهم لا تعـــني المطالبة بالاستقلال ، وأنهم يعيشون في ظل الوطن الفرنسي ، لكن هذا لا يعني أبدا نفي عمل المصلحين من أجل الاستقلال ، ولا يعني الإذعان الكامل للاحتلال الفرنسي ، ولا يعني أبـــدا عـــدم الرغبـــة في الاستقلال ، إنما هي إستراتيجية الخطاب من أجل الاستمرار ، والعمل على تخليص المجتمع الجزائري من مظاهر الفساد والبدع والخرافات والشعوذة ، وبث روح العقيدة الصـــحيحة في النفـــوس ، إعـــدادا للمجتمع من أجل نيل حريته في الأخير

د - الدعوة إلى التعليم :

أدرك الخطاب الإصلاحي دور التربية والتعليم في دعوته الإصلاحية ، وفي تحقيق أهدافه المتعلقة أساسا بالعقيدة والفكر ، فركّز الخطاب الإصلاحي على التعليم الإسلامي ، على أن يكون التعليم باللغة العربية ، وقد عُدّ الشيخ مبارك الميلي (من الرواد الأوائل الذين أسسوا الحركة الإصـــلاحية التعليميـــة العربية في الجزائر مباشرة بعد تخرجه في جامع الزيتونة ، وإقامته بقسنطينة عام 1925م ، وبداية ممارسة التعليم بالمكتب العربي بسيدي بومعزة)[345] ، وكان خطابه الإصلاحي (ينهض بالتربية والتعليم ، تثبيتا للعقيدة الإسلامية الصحيحة، وتمكينا للغة العربية ، وتشبثا بالتراث الذي خلّفه السلف الصالح في أمـــور الدين ، وبالتراث الفكري الجزائري في الثقافة الوطنية ، نحو ما قال جمال الدين الأفغاني : " لا جمـــاعة

---

[344] - **عبد الكريم بوالصفصاف** : جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في تطور الحركة الوطنية الجزائريـــة 1931 – 1945 م ، ص 212 و 321 - 322

[345] - **علي بن الطاهر** : مبارك الميلي وجهوده في الحركة الإصلاحية في الجزائر 1897- 1945 . ص 115

لقوم ، لا لسان لهم ، ولا لسان لقوم لا آداب لهم ، ولا عزة لقوم لا تاريخ لهم ، ولا تاريخ لقوم إذا لم يقم منهم أساطين تحمي وتحيي أثار رجال تاريخها ، فتعمل عملهم ، وتنسج على منوالهم ، وهذا كله يتوقف على تعليم وطني بدايته الوطن ، ووسطه الوطن ، وغايته الوطن)[346]

ويجعل الخطاب الإصلاحي الجهلَ سببا عظيما في تفشي الضلالات ، وانتشار الشرك ، وفي هذا يقول الشيخ مبارك الميلي : "فإن نسبة الغيب المطلق إلى الأولياء ، مما شاع وذاع وملأ الحزن والقاع ، وهو شرك بإجماع ، وإنما حسّنه الجهل والقعود عن العلم ، حتى فقد طلابه وتنوعت عقباته وصعابه ، ولم يبق من أهله إلا من يدعي فقه الفروع على قلة ، وجمود)[347] ، إذ (كانت التربية والتعليم عاملين أساسيين في تحقيق الشخصية القومية للجماعة ، ولأجل ذلك اهتمت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين منذ البدء بإنشاء المدارس العربية في شتى أنحاء القطر ، وكانت أول المدارس التي أسستها الجمعية : مدرسة التربية والتعليم بقسنطينة سنة 1936م ، ومدرسة الشبيبة الإسلامية بالجزائر ، ومدرسة تهذيب البنين بمدينة تبسة ، ولعل الدور الإيجابي الذي تلعبه المدرسة في حياة المجتمع هو الذي جعل جمعية العلماء تحاول مباشرة عملية الإشراف الكامل على التعليم العربي في الجزائر حتى تضمن تخريج الإطارات العربية)[348]، وجاءت مدارس العلماء المصلحين (كرد فعل للمدارس الاستعمارية التي كانت تحاول هدم مقومات الشخصية الجزائرية بتعليم الجزائريين آداب الغربيين ، وتاريخ الغاليين ، ولغة الفرنسيين)[349]

أدرك الخطاب الإصلاحي (دور التعليم في تحقيق مقاصد العقيدة الإسلامية الصحيحة ، فركز في دعوته الإصلاحية على ضرورة اتخاذ سبيل العلم وفق ما يخدم الشريعة الإسلامية ، وأن يكون هذا الأخذ كثيرا واسعا ، بأن يتعلم أكبر عدد من المسلمين الجزائريين ، ليتخرج من أوساط هذا المجتمع علماء ينيرون درب المستقبل ومجد الأمة ، فحث الخطاب الناس على تعليم الصغار والكبار ، من البنين

---

[346] - **عبد الكريم بوالصفصاف** : جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في تطور الحركة الوطنية الجزائرية 1931 – 1945 م ، ص 150- 151

[347] - **مبارك الميلي** : رسالة الشرك ومظاهره . ص 136

[348] - **عمار طالبي** : ابن باديس حياته وآثاره ، ج 3 ، ص 49

[349] - **عبد الكريم بوالصفصاف** : المرجع السابق . ص 152

والبنات ، وجعلهم مسؤولين أمام التاريخ وأمام الله يوم القيامة على إهمالهم تعليم الناشئة العلوم التي تنطبق مع مقومات الشخصية ، فأقيمت دروس في الوعظ والإرشاد الديني في المساجد ونُظّمت محاضرات في التهذيب ، وشؤون الحياة العامة في النوادي ، كما سعت الجمعية إلى إصلاح أسلوب التعليم بقسميه المكتبي والمسجدي ، وقضت على تلك الأساليب العتيقة العقيمة)[350]

ويرجع اهتمام الخطاب الإصلاحي بالتعليم المسجدي إلى (كون المساجد الكبرى في العالم الإسلامي ورثت أمانة النهوض بالرسالة التربوية ، وما من شك في أن هذه المساجد اعتبرت لفترة طويلة وقرون متوالية جامعات إسلامية ، يشهد لها التاريخ بالسهر الأمين على الإسلام والعروبة ، وعلى توفير المعرفة في حدود الزمان والمكان والإمكان ، لأجل ذلك فقد اعتمدت الحركات الإصلاحية بناء المسجد والمدرسة معا ، فهي تصلح للدين والدنيا ، فما قام مسجد إلا واحتضن مدرسة أو معهدا في رحابه)[351] ، ومثال ذلك أن (افتتحت بميلة جمعية حياة الشباب برئاسة الشيخ مبارك الميلي أعمالها ، وبنت مسجدا جامعا تقام فيه مجالس الوعظ وصلاة الجمعة والجماعة ، ينهض بخدمة العلم والدين)[352]

وحرصا من الخطاب الإصلاحي على مكانة العلم والعلماء ، فقد دافع عن العلماء في مرات عديدة ، ومن ذلك رده وإنكاره على من احتج بسكوت العلماء ، قال الشيخ مبارك الميلي : (أبعد هذا يحتج محتج لتقرير بدعة بسكوت من يعرفه من العلماء عنها ؟ على أن العلماء العاملين لم يتواطئوا على السكوت ، وقد نقلنا في هذه الرسالة من الأقوال ما تعرف به استمرار الإنكار على البدع في كل زمان ، وأن ما نكرناه على أهل زماننا نكره من قبلنا على أهل زمانهم ، و لم ينفرد بهذه الخطة التقي ابن تيمية رحمه الله ، وإن انفرد بالشهرة فيها)[353] ، ومن ثم فإن الخطاب الإصلاحي يرتكز على العلم

---

[350] - **عبد الكريم بوالصفصاف** : جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في تطور الحركة الوطنية الجزائرية 1931 – 1945 م ص 152 - 153

[351] - **صالح خرفي** : المدارس والمعاهد العليا ، دورها في النهضة العربية الحديثة. المجلة الجزائرية للتربية ، عدد 4 ، ص 35 و 47

[352] - **مجموعة جريدة البصائر** . السنة الأولى . ص 28

[353] - **مبارك الميلي** : رسالة الشرك ومظاهره . ص 295

في تصديه بشدة لبعض المسائل الخطيرة في الفقه والعبادات ، لكونها من البدع والخرافات ، ليوضح بذاك التصدي حكم الإسلام ، و لم يكن ليستطيع تبيان ذلك الحكم ، والتصدي لتلك المسائل إلا بالعلم ، فرغم المضايقات التي تعرض لها الخطاب الإصلاحي إلا أنه حقق نجاحا عظيما في ضبط العقيدة وتصحيحها في أذهان الناس ، وتطهير المجتمع الجزائري من مظاهر الشرك ، والرجوع بهم إلى كتاب الله وسنة نبيه الكريم ، ليستنيروا بهذا العلم النفع في دينهم ودنياهم ، فكان الخطاب الإصلاحي بذلك أشبه بغيث ساقه الله إلى أرض ميتة، فأحياها الله من بعد موتها ، فإذا كان المطر سبب ساقه الله لإحياء الأرض ، فإن الله سبحانه قد ساق الشيخ مبارك الميلي بخطابه الإصلاحي إلى إحياء الأمة الجزائرية رفقة بقية المصلحين .

إن التعليم هو الذي يصنع العقول التي تفكر ، فترفض أمرا ما أو تقبله على أساس الحق ، وليس على أساس الطمع أو الخوف ، وإن التعليم ليمنح الشخصية وعيا عميقا ، فهو الحصن المنيع للأمة في المحافظة على قيمها الأصيلة ، وثبات جذورها إن هبّت العواصف ، وهو الذي يحفظ الأمة من الزلل الشنيع والانحراف الكبير ، وهو السبيل الأول لنهضة الأمة الإسلامية حين يقوم على منهج السلف الصالح ، ونظرا (لأهمية التعليم العربي الذي أولته جمعية العلماء المسلمين الجزائريين عناية كبيرة ، فقد عقدت الجمعية في شهر سبتمبر 1937م مؤتمرا للأساتذة ومعلمي المدارس العربية الحرة بنادي الترقي بهدف تبادل الآراء بخصوص التعليم في المدارس والمساجد والنظر في أساليبه ونظمه ، من أجل الوصول إلى توحيد المناهج وطرق التدريس الخاصة بالتعليم العربي الحر في المدارس الخاضعة لجمعية العلماء)[354] ، وإذا كانت (الإدارة الفرنسية قد سمحت في أول الأمر بنشاط الجمعية في ميدان التعليم ، فإنها كانت تقصد بالتعليم القرآنَ ، وبالمدارس الكتاتيبَ ، أما تدريس الحساب فكانت تقصد به قضية الميراث ، وبالأحرى تقسيم التركة بين الوارثين ، أما التاريخ فقد سمحت بتدريسه ، على أساس أن لا يتجاوز

[354] - **عبد الكريم بوالصفصاف** : جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في تطور الحركة الوطنية الجزائرية 1931 – 1945م . ص 155

السيرة النبوية ، وأما الجغرافية فكان هدف تدريسها في رأي الإدارة الفرنسية معرفة الجزيرة العربية ، أي معرفة البيئة التي بعث فيها النبي محمد)[355] .

و لم يكن الخطاب الإصلاحي مركزا اهتمامه على التعليم الوعظي والتوجيه فحسب ، بل اعتمد على برامجَ عمليةٍ تفيد المجتمع ، وترتبط باحتياجاتهم اليومية ، من خلال بناء المدارس وتأسيس الجرائد والأندية ، وإقامة الدورات ، (فأنشئت مدارسُ حرة لتلقين تعليم عصري يرسخ المبادئ الإصلاحية)[356] ، وكلها تقوم بأعمال قد لمس الناس أثرها الإيجابي ، كما بالغ الخطاب الإصلاحي في الاهتمام باللغة العربية إلى درجة اعتبارها من شعائر الدين الإسلامي ، إذ قرر الشيخ مبارك الميلي حسب ما ورد في جريدة المنتقد في اليوم الثالث من شهر سبتمبر من عام خمسة وعشرين وتسعمائة وألف للميلاد "1925/09/03م" ، قوله : ("من أعرض عن اللغة العربية فقد اعرض عن ذكر ربه ، ومن يعرض عن ذكر ربه نسلكه عذابا صعدا")[357] .

و لم يهمل الخطاب الإصلاحي عند الشيخ مبارك الميلي الاهتمام بالمرأة وحسن تعليمها ، بل رآه واجبا ، حيث نادى بتحرير المرأة ، وتعمير المدارس الإصلاحية بالبنين والبنات (بحجة أن فساد العقول وانحطاط الأخلاق كانا شاملين في الأمة ذكورها وإناثها)[358] ، إذ (فرضت على المرأة قيود مفتعلة مست بحقوقها ، وجعلتها ضحية للجمود والتعسف والظلم ، مما كان سائدا آنذاك من تقاليد قبلية بالية لم ترد في الإسلام و لم يعمل بها سلف هذه الأمة ، ثم إن الاحتلال الفرنسي قد (حاول دفع المرأة الجزائرية إلى تغيير شخصيتها تغييرا جذريا ، تبتعد به عن نمط عيشها الموروث ، وترتمي

---

[355] - **عبد الكريم بوالصفصاف** : جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في تطور الحركة الوطنية الجزائرية 1931 – 1945م . ص 159

[356] - **أبو القاسم سعد الله** : الحركة الوطنية الجزائرية 1900- 1930 . ج 2 ، ص 82

[357] - **علي بن الطاهر** : مبارك الميلي وجهوده في الحركة الإصلاحية في الجزائر 1897- 1945م . ص 125

[358] - **عبد الكريم بوالصفصاف** : المرجع السابق . ص 329

في أحضان طريقة الحياة الفرنسية)[359] .

وقدم الخطاب الإصلاحي للشيخ مبارك الميلي حججا شرعية ومنطقية يؤيد بها تعليم المـــرأة ، منها أن (المرأة شقيقة الرجل في الإنسانية، فلتكن شريكته في التربية والتهذيب فلا ينبغي أن تحرم مـــن ينابيع العلم والتربية ، وإنها الأم والمدرسة الأولى التي فيها يتلقى الأبناء معلوماتهم الأولية ، ثم إن الأنثـــى مكلفة في حكم الإسلام بمثل ما يكلف به الرجل لا يفترقان إلا فيما يرجع للقوة والســـيادة فيخـــتص بالرجل ، كالإمامة وولاية مناصب الحكم وإلا فيما يعود إلى الضعف والحنان فيختص بالأنثى ، كما أن المرأة شريكة الرجل في منزله وقرينته في حياته لا غنى لأحدهما عن الآخر ، فلا بد مـــن تشـــاركهما في التهذيب وتقاربهما في التثقيف ، ورد الخطاب الإصلاحي للشيخ مبارك على الذين دعوا إلى عدم تعليم المرأة وخروجها بحجة الخوف عليها من الاختلاط ، وحفاظا على عفافها وعلى حيائها لأن الحياء هـــو أجمل ما في المرأة ، وتلك الحجج توجب تعليم المرأة ما تعرف به دينها وإدارة منزلها وتربيـــة أولادهـــا وذلك ممكن بطريقة التلقين الخالي من الكتابة)[360] ، فرأى الشيخ مبارك الميلي أن الرأي القائل باتخـــاذ التلقين وسيلة لتعليم البنت ، هو (رأي غير مجد ، بل هو تعمد لترك البنت في الجهالة ، وهكذا فـــإن المسألة التي ينبغي أن تكون محل نقاش بين العلماء ليس تعليم البنت من عدمه ، بل إيجاد طريقة الجمع بين تعليمها والمحافظة على أنوثتها)[361] .

آمن الخطاب الإصلاحي بتعليم المرأة ، إذ (افتتحت جمعية حياة الشباب برئاسة الشيخ مبـــارك الميلي أعمالها ، وبنت مسجدا جامعا على صفة تسهل على المرأة حضور مجالس الوعظ وصلاة الجمعـــة والجماعة ، وتكفل المحافظة على حجاب ذاتها ، ورفع الحجاب عن عقلها ، استعدادا للنهوض بخدمـــة

---

[359] - **علي بن الطاهر** : مبارك الميلي وجهوده في الحركة الإصلاحية في الجزائر 1897م - 1945م . ص 130

[360] - **عبد الكريم بوالصفصاف** : جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في تطور الحركة الوطنية الجزائرية 1931 – 1945م ، ص 329- 330

[361] - **علي بن الطاهر** : المرجع السابق . ص 133

العلم والدين ، فالنساء في نظر الخطاب الإصلاحي سواسية مع الرجال في طلب العلم وتصحيح العقيدة ، قال الشيخ مبارك : (إن النساء شقائق الرجال في الإنسانية ، شقائقهم في التكاليف الشرعية ... ولأرواحهن كأجسادهن معدة وقوت ، وقد كلفهن الله بتصحيح العقيدة وإقامة الصلوات وغير ذلك من فصل الواجبات وترك المنهيات ... وإذا كان الإسلام يطلب من الأنثى ما يطلب من الذكر ، فلا معنى لإهمال جانب المرأة ، بل يذهب الشيخ مبارك إلى أبعد من ذلك ، إذ يعتبر الإعراض عن تعليم المرأة جناية كبيرة جدا ، فيقول : (وإذا كان الإسلام قد جعل الرجال قوامين على النساء ، فإن الإعراض عن تيسير طرق العلم عليهن والقيام بفروض دينهن جناية لا تعادلها جناية ، ثم يقدم الخطاب الإصلاحي دعوته المرأة إلى المشاركة في الأعمال الخيرية التي تخدم العلم والدين ، يقول الشيخ مبارك الميلي : " إن جمعية حياة الشباب قد رأت أن تعتني بجانب الروح ، فاشترت دارا لتعليم الصغار ذكورا وإناثا ، وعزمت على بناء مسجد كبير للذكور والإناث ... وحيث إن المشروع للذكور والإناث فليشارك في تكوينه الذكور والإناث . واعتبر الخطاب الإصلاحي (المرأة من الأمة كالروح من الجسد ، والراحة من اليد ، إذا صلحت صلحت الأمة كلها ، وإذا فسدت فسدت الأمة كلها ، وهي المدرسة الأولى التي تلقى في طور الأمومة على ولدها كأم كل كائن حي دروسا علمية يتخذها منارا يهتدي به في الظلمات ، لذلك كانت نصف الرجل ، الذي تتوقف عليه الرجولة الكاملة)[362] .

هـ - اعتماد الصحافة وسيلة لنشر الدعوة الإصلاحية :

مارس (أفراد طلبة البعثة الجزائرية التي أوفدها ابن باديس إلى تونس ، نشاطا فكريا وأدبيا ، وشاركوا في الكتابة في الصحف والمجلات التونسية ، لكن الميلي انصرف بكلية إلى الدراسة ، وكرس جهده للإفادة من الوسط العلمي الزيتوني ، وانكب على المطالعة والدرس ، و لم يشارك في الحياة الفكرية والأدبية إلا في مناسبة واحدة ، حيث نشرت له الصحافة التونسية بضعة أبيات ، شارك بها في تشطير مقطع شعري وطني ، إذ دعاه إلى تشطيره الشيخ محمد السعيد الزاهري ، وقد كان التشطير – خلال

[362] - **مجموعة جريدة البصائر** . السنة الأولى . ص 28 و 59

هذه الحقبة من العشرينيات - أسلوبا شعريا رائعا ، ووسيلة من وسائل المنافسة الأدبية ، فضلا عن استعماله لتحقيق بعض الأغراض السياسية ، إذ يعمد الشاعر إلى كتابة بعض الأبيات الوطنية ، وإثارة الرأي العام وتنبيه وعيه ، بطريقة غير مباشرة ، إذ لم تكن الظروف آنذاك تسمح بالنقد المباشر والمناهضة العلنية)[363] .

ثم أخذت الحركة الإصلاحية التي قام بها علماء الإسلام والفقهاء طريقها نحو التطور عن طريق دروسهم ، وبين تلاميذهم ومديريهم ، ودعت ضرورات تعميمها في كل الأوساط إلى مضاعفة الجهد ، باتخاذ كل الوسائل الممكنة آنذاك لتحقيق هذا التطوير ، والتعميم والشمول ، فدعت الحاجة إلى تنظيم صحافة ، إذ (كان لزاما أن تؤسس صحافة تبلغ للناس الدعوة إلى الإسلام الخالص والعلم الصحيح بالكتاب والسنة وهدي صالح سالف الأمة ، وطرح البدع والضلالات ومفاسد العادات ، إذ إن الصحافة هي الأداة المشروعة المعترف بها لكل جمعية لنشر دعوتها والدفاع عن نفسها) [364] ، فبدأ الشيخ مبارك الميلي يعتمد على (الكتابة الصحفية بعزيمته التي حملها على مشروعه الذي وجد أستاذه عبد الحميد بن باديس قد بدأ العدة لانطلاقته) [365] ، ولأجل تحقيق هذا الهدف ؛ أسست الحركة الإصلاحية (صحفا ، في كل أنحاء البلاد ، بواسطة هؤلاء العلماء والفقهاء المنبثين في كل نواحي الوطن ، فكانت صحف : "المنتقد" ، و"الشهاب" ، و"الإصلاح" ، و"صدى الصحراء" أولى هذه الصحف الإصلاحية الداعية إلى الله على بصيرة)[366] ، ولما كان (هدف العلماء المصلحين في الجزائر ، هو إصلاح المجتمع من كل جوانبه ، والنهوض به من رقدته الطويلة ، فقد اتخذوا من الصحافة وسيلة أساسية منذ 1925م لنشر أفكارهم الجديدة ، وتمزيق ركام الجمود الذي سيطر على المسلمين في الجزائر حوالى قرن من الزمن ، وعندما تأسست جمعية العلماء سنة1931م ، جعلت الجمعية من الصحافة الوسيلةَ الأولى لنشر دعوتها ومبادئها وأهدافها بين الجزائريين ، وسلاحا خطيرا تستخدمه ضد خصومها

---

[363] - **محمد الصالح الجابري** : المؤرخ الجزائري مبارك الميلي في الصحافة التونسية . مجلة الثقافة ، عدد 102 ، ص 19- 20

[364] - **عمار طالبي** : ابن باديس حياته وآثاره . ج3 . ص 28 و 61

[365] - **علي بن الطاهر** : مبارك الميلي وجهوده في الحركة الإصلاحية في الجزائر 1897- 1945م . ص 143

[366] - **مجموعة جريدة البصائر** . السنة الأولى . ص (ح)

من الإدارة الاستعمارية ، ورجال الطرق الصوفية ، وضد كل من أصبح يسير في ركاب المحتلين)[367] .

واهتم الخطاب الإصلاحي بالصحافة اهتماما بالغا ، حتى كاد يؤرخ لها ، كيف لا وهي لسانه المبين ، قال الشيخ مبارك الميلي في فصل "إلى الدين الخالص" - عند حديثه عن ابتداء الحرب على حكومة القطب - : " أول صحيفة دعت إلى تحرير الأمة من ضغط ديوان الصالحين ، هي صحيفة المنتقد سلف الشهاب ، وأعلنت في صدر أول عدد منها مبدأها الانتقادي ، وأول استخفاف وسخرية بحكومة القطب وديوانهما ، نشرته تلك الصحيفة في عددها السادس ، من مقال لنا تحت عنوان : "العقل الجزائري في خطر" ، فاستاءت لها الدوائر الطرقية ، وقال الشيخ مبارك الميلي في التعليق على نشر قصيدة الشيخ الطيب العقبي في جريدة المنتقد : (ولكن أتى الوادي فطم على القرى ، إذ حمل العدد الثامن في نحره المُشرق قصيد : "إلى الدين الخالص" ، للأخ داعية الإصلاح الشيخ الطيب العقبي أمد الله في أنفاسه)[368] .

و (تأسست جريدة النجاح الحرة سنة 1919 م ، ثم جريدة المنتقد سنة 1925م ، وهي جريدة سياسية تهذيبية انتقاديه ، وخلال العام نفسه "1925 م" تأسست جريدة الشهاب لصاحبها الشيخ عبد الحميد بن باديس ، وكانت جميع هذه الجرائد بقسنطينة ، وفي بسكرة أسست جريدة الإصلاح سنة 1926م ، التي كانت تنشر أفكار الشيخ الطيب العقبي ودعوته الإصلاحية بعد عودته من الحجاز ، أما جريدة الشهاب التي تحولت إلى مجلة سنة 1929م ، فقد استلمت قيادة الحركة الإصلاحية من أول يوم ، وورثت الأقلام التي كانت تكتب في الجرائد قبلها)[369] .

---

[367] - **عبد الكريم بوالصفصاف:** جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في تطور الحركة الوطنية الجزائرية 1931– 1945 م . ص 139

[368] - **مبارك الميلي** : رسالة الشرك ومظاهره . ص 283– 284

[369] - **عبد الكريم بوالصفصاف** : المرجع السابق . ص 80

وتوسعت إسهامات الشيخ مبارك الميلي في الصحافة الإصلاحية (بما كتبه من مقالات في الصحف التي أنشأها زملاء له في الحركة الإصلاحية في نهاية العشرينيات مثل : "البرق" ، "الإصلاح" ، "وادي ميزاب" ... حرصا منه على توسيع دائرة الفكرة الإصلاحية وتعميمها على أوسع نطاق ، وفي مختلف الأوساط ، متابعا بذلك كل مستجدات الحياة الوطنية الجزائرية الزاخرة بالقضايا السياسية والدينية ، ثم وأسهم الشيخ مبارك الميلي في الكتابة في الصحف التي أصدرتها جمعية العلماء المسلمين الجزائريين منذ محاولاتها الأولى بتأسيس منبرها الإعلامي ، ليكون لسان حالها [370]

ولقيت الصحافة صعوباتٍ جمةً وعراقيلَ في طريق نشر الخطاب الإصلاحي ، إذ (حارب الاحتلال الفرنسي الصحافة الوطنية العاملة على تثقيف الشعب ، ومن أمثلة ذلك أن بادر الاحتلال الفرنسي بإغلاق جريدة "المنتقد" للشيخ عبد الحميد بن باديس نهائيا ، بعد أشهر قلائل من صدورها حيث لم يصدر منها إلا 18 عددا)[371] .

وبدأ الخطاب الإصلاحي يتجه بقوة نحو الصحافة ، باعتبارها السبيل الأحسن والأقوى لتمرير أفكاره إلى أكبر عدد من الناس ، وأوسع نطاق من الجزائر ، ولما كان القانون يجيز حق إصدار الصحف فقد سارعت نخبة من العلماء في قسنطينة بتأثير من الشيخ ابن باديس إلى إنشاء جريدة "المنتقد" ، ثم تأسست جريدة الشهاب حيث أسسها ابن باديس في العام 1925م ، مع اصطناع نوع من المرونة السياسية التي برع فيها ، خلال عقدين من الزمن فخفف اللهجة ، وسار على خطة المنتقد ، في محاربة الطرق الصوفية ومخالفتها لروح الشريعة الإسلامية ، ولنشر فكرة الإصلاح)[372] ، وهنا يزداد عزم الشيخ مبارك في توظيف كتاباته (في التأسيس للفكر الإصلاحي بتناوله قضايا الأمة لإحيائها حياة عملية لا نظرية ، وذلك عبر صفحات "الشهاب" إلى أن توقفت عن الصدور ، ومن أهم مقالاته في هذه الجريدة مقال له بعنوان "ابن ملجم القرن العشرين" ، إذ عبّر فيه بقوة وبأسلوب متهكم في تشنيع

---

[370] - **علي بن الطاهر** : مبارك الميلي وجهوده في الحركة الإصلاحية في الجزائر 1897-1945م . ص 145- 146

[371] - **عمار طالبي** : ابن باديس حياته وآثاره . ج 3 ، ص97

[372] - **عبد الكريم بوالصفصاف** : جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في تطور الحركة الوطنية الجزائرية 1931- 1945 م . ص 80 و 140

الطريقة العليوية وشيخها ، مستثمرا الحادثة في تنوير أنصار الحركة الإصلاحية بحقيقة الطرقية وأباطيلها)[373] ، وقد سجلت أسبوعية الشهاب أصداء هذا المقال في صفوف قرّائها ، كما جاء في رسالة بعثها شاب يناصر الحركة الإصلاحية ويؤيد مقال الشيخ مبارك الميلي ، ومما جاء في تلك الرسالة رسالة قول الشاب : ("إنك تتكلم بصراحة وحرية ولا تداري ولا تركن على المداراة ... أنت اليوم يا بيضاوي صاحب الراية ، إننا نعلق عليك الآمال في هزم هذا الجيش الجرار ؛ جيش الشعوذة والتضليل")[374] .

نجحت الشهاب في نشر الإصلاح ، ومحاربة البدع والطرق الصوفية الضالة ، فأعادت للدين صفاءه ، وقد عبر الشيخ ابن باديس عن ذلك فقال : (فإن مجلة الشهاب تفخر بأنها أُنشِئَت للحركة الإصلاحية ، ورافقتها في جميع مراحلها ، وأنها هاجمت البدع في معقلها ، وواثبت الخرافات في أيام عزها واشتدادها ، وساورت الأباطيل على احتفالها واستعدادها ، لم تهن لها عزيمة في موقف من المواقف التي تخور فيها العزائم وترتجف الأفئدة ... ، وكتبت جريدة الشهاب تقول : " بقدر تمسك الأمة بأسباب العلم كان رفضها للجمود والخمود والخرافات والأوضاع الطرقية المنحدرة للفناء والزوال ، حتى أصبح القطر الجزائري كله يكاد لا يخلو بيت من بيوته ممن يدعو إلى الإصلاح وينكر الجمود والخرافة ومظاهر الشرك القولي والعملي ، وأصبحت البدع والضلالات تجد في عامة الناس من يقاومها وينتصر عليها ") [375] .

ويرى الشيخ مبارك الميلي ضرورة أن تعنى الصحافة فيما تنشره من دراسات ومقالات بما يخدم فهم عامة الناس ، فهم أحوج إلى عمل الصحافة ، وأن المستوى المرموق الذي تطفح به مجلة أو أخرى يباعد بينها وبين الفائدة المرجوة منها ، ذلك أن (إدخال القواعد الإصلاحية في مخاطبة كل الطبقات - في رأي الميلي- قد يكون عائقا من الكتاب في اجتناء ثمرات أقلامهم ، وعقبة تصد القراء عن الانتفاع

---

[373] - **علي بن الطاهر** : مبارك الميلي وجهوده في الحركة الإصلاحية في الجزائر . 1897-1945م . ص 144

[374] - **أحمد حماني** : صراع بين السنة والبدعة . مجلد 2 ، ص45

[375] - **تركي رابح** : الشهاب– لسان الإسلام والعروبة والوطنية في الجزائر (1925- 1939 م) - دورها في نهضة الجزائر الحديثة . مجلة الثقافة ، عدد 81 ، ص 206

بنصح النصحاء ، وقد جاء في الكتاب المبين هداية عامة ، فكان خاليا من الأوضاع الخاصة والاصطلاحات العلمية ، وعلى قدر الاغتراف من بيان الكتاب العزيز يحصل الارتواء للقراء ، والتأثير من الكتاب وتلك غاية العاملين المخلصين ، ولأجل ذلك أقامت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين برنامجها الإصلاحي على إصدار الصحف والمجلات السيارة التي تهم الأكثرية المطلقة من الشعب الجزائري ، الذي كان بحاجة إلى تبسيط العلوم المختلفة ، نظرا لافتقار القارئ الجزائري إلى أبسط وسائل التثقيف والإرشاد ، وعملت جرائد الجمعية على شحن عقل الإنسان القارئ ، بكل الأفكار الإصلاحية التي قد تغير له مسار حياته من خلال تغيير تصوراته في الدين والحياة ، ودعا الشيخ مبارك الصحافة إلى خدمة القارئ العادي بالدرجة الأولى ، وعدم اقتصارها على مخاطبة جمهور العلماء في دائرة مخصوصة)[376]

وكانت الصحافة (تنقل الصراع المحتدم بين المصلحين والطرقيين ، إذ بدأ هذا الصراع منذ تأسيس جمعية العلماء عن طريق الحرب الصحفية والأفكار الإصلاحية التي يتلقاها الشباب في مدارس الجمعية ، لاسيما وأن الجزائر كغيرها من أقطار العالم الإسلامي كانت تضطرم بمختلف النزاعات والعقائد والآراء ، والمذاهب والمبادئ التي قد تكون عند التأمل فيها ليست من الدين في شيء ، لكن جرائد الطرقيين في بداية انطلاقها كانت تبين أن النزاع القائم بين جمعية العلماء وشيوخ الزوايا إنما هو نتيجة لخلاف في مسائل دينية جزئية ، حسب تصريح رئيس جمعية علماء السنة الشيخ الحافظي سنة 1933م ، الذي نشر بيانا في جريدتي"الإخلاص" و"النجاح" بهدف توقيع الصلح بين جمعيته وجمعية العلماء المصلحين ، وادعى أن الحرب القائمة بين الجمعيتين لم تكن إلا بسبب خلافات عقائدية طفيفة ، وبالرغم من ذلك فإن إحدى جرائد الطرقيين كتبت مقالا سنة 1938م تؤكد فيه استمرار الحرب ضد المصلحين وجمعية العلماء)[377] ، فرد عليها أحد أئمة الإصلاح في جريدة البصائر ، (قال في سخرية وتعجب : " لتفتخر الجزائر بمثل هذا الكاتب، ولتفتخر الأمبار رؤساء البلديات وسائر المعاكسين

---

[376] - **محمد الصالح الجابري** : المؤرخ الجزائري مبارك الميلي في الصحافة التونسية . مجلة الثقافة ، عدد 102 ، ص 24 – 25

[377] - **عبد الكريم بوالصفصاف** : جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في تطور الحركة الوطنية الجزائرية 1931– 1945 م . ص 199 - 201

الجزائريين ، أيريدُ هذا الكاتب عدم الإصلاح في العلوم والفنون والمعارف والدين ؟ إن مدينة الجزائر التي كان بها ستون مسجدا حين كان السكان المسلمون لا يتجاوزون بضعة آلاف أصبحت الآن فيها أربعة مساجد ، والسكان يناهزون مائة ألف ... أبهذه المخازي يريد هذا الكاتب مقاومة الإصلاح لتزداد الخرافات انتشارا ، وبناء القبب وزيارة النساء للقبور ... والجلوس عليها والتمسح إلى الأموات من الأولياء في قبورهم ، ألهذا الغرض يقاوم الإصلاح ؟ ")[378]

لكن الصحف الإصلاحية التابعة لجمعية العلماء لم تكن تقتصر على محاربة الطرقية والرد على كتاباتها ، لكن أهم عبء حملته على كاهلها - رغم العراقيل والصعوبات- هو محاربة الاستعمار بكل أشكاله ، والعمل على إحياء الشخصية الجزائرية وربطها بالوطن العربي والإسلامي ، وإبراز معالم التاريخ الوطني من أقدم العصور حتى أيامها ، إذ (إن المتصفح للصحف العربية في الجزائر خلال عقد الثلاثينات يجد فصولا كاملة من كتب العلماء المؤرخين ، كانت تنشرها الصحافة المذكورة لقراء العربية مستهدفة اطلاع الجمهور على مراحل الكفاح ، الذي سجله الأجداد في مختلف العصور ضد المحتلين الأجانب)[379]

وعالجت صحافة جمعية العلماء الجزائريين مواضيع تنم عن الأفكار الإصلاحية ومنها : إقامة مدارس عربية للمسلمين الجزائريين ، وتعليم الناس ، كما حاربت البدع والخرافات الدينية والطرق الصوفية المنحرفة ، والانحطاط الأخلاقي الذي انتشر في المجتمع الجزائري ، ولأجل تحقيق هذه الأهداف ، نهضت جرائد الجمعية بدور فاعل في تحريك عجلة الإصلاح ، بالتركيز على نشر الخطابات الإصلاحية [380] .

وتطلب ذلك تطوير أساليب الإخراج والإعداد الفني للجريدة ، على أساس مراعاة الوضوح والترغيب وإثارة الاهتمام ، ولا غرابة في فاعلية الدور الإصلاحي للجريدة ، إذ قام على إعداد صفحاتها النيرة رجالُ الدعوة والإصلاح في الجمعية ؛ فهي اللسان الناطق باسمهم ، المتميزة بالحكمة والبصيرة

---

[378] - **عبد الكريم بوالصفصاف** : جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في تطور الحركة الوطنية الجزائرية 1931 – 1945 م . ص 143

[379] - **عبد الكريم بوالصفصاف** : المرجع نفسه ، ص 201 - 202

[380] - **مجموعة جريدة البصائر** . السنة الأولى . ص 5 - 6

والاعتدال ، كما جعلت مصلحة المجتمع الجزائري والمحافظة على تماسكه في العقيدة والثوابت أهم أولوياتها [381]

ولعل أهم جريدة كانت أكثر فاعلية في نشر الخطاب الإصلاحي ، هي جريدة البصائر ، منذ أن أذنت السلطات الفرنسية لجمعية العلماء بإصدار هذه الجريدة ، الصادرة يوم الجمعة فاتح شوال يوم عيد الفطر عام 1354هـ ، الموافق ليوم 27 ديسمبر 1935م ، وقد صدرت في عهد حكومة الواجهة الشعبية الاشتراكية الفرنسية ، فكانت إيذانا ببدء عهد جديد من كفاح النهضة الوطنية [382] ، وتعد هذه الجريدة من أشهر الصحف العربية التي ظهرت في العصر الحديث ، ومن أكثر الجرائد الجزائرية رواجا في الداخل وفي الخارج [383]

بدأ الشيخ مبارك الميلي مقالاته في جريدة البصائر مع أول أعدادها ، إذ بدأت هذه الصحيفة بنشر حلقات "الشرك ومظاهره" منذ عددها الخامس الصادر في الواحد والثلاثين من شهر جانفي سنة 1936م ، إلى العدد الخامس والأربعين 45 الصادر في نوفمبر 1936م ، بمجموع سبعة عشرة مقالة ، كما أن الشيخ زوّد البصائر بمادة إعلامية يبرز فيها العمل الميداني في نشر أفكار ومبادئ الإصلاح في مختلف الأوساط ، تحت عنوان : " تفقّد الشعب : حياة الإصلاح في البلدان التي زرناها " [384] . ثم تولى مسؤولية إدارة تحرير جريدة البصائر خلفا للشيخ الطيب العقبي بعد انتقالها من الجزائر إلى قسنطينة ، ابتداء من العدد الرابع والثمانين الصادر يوم الجمعة 29 أكتوبر 1937م ، كما بينه شعار الجريدة في العدد ذاته ، وفي الزاوية اليمنى للصفحة الأولى ، كُتب : "رئيس التحرير مبارك الميلي" إضافة إلى مقاله الافتتاحي الذي أوضح في مضمونه مباشرته لمهامه بوصفه مديرا ورئيسا للتحرير) [385]

---

[381] - **مجموعة جريدة البصائر** . السنة الأولى . ص 30

[382] - **المصدر نفسه** . ص (ج)

[383] - **علي مرحوم** : نظرة على تاريخ الصحافة العربية الجزائرية . مجلة الثقافة . العدد 43 ، ص 23 – 36 .

[384] - **مجموعة جريدة البصائر** . ص 33 و 249 و 364

[385] - **علي بن الطاهر** : مبارك الميلي وجهوده في الحركة الإصلاحية في الجزائر ، 1897- 1945م . ص 147

وبلغت (حصيلة مبارك في إدارته لتحرير جريدة البصائر تسعين عددا على مدار اثنين وعشرين شهرا ؛ أي نصف عمر الجريدة في تسلسلها الأول "1935 / 1939م" ، وهي الصحيفة الرابعة التي أصدرتها جمعية العلماء المسلمين الجزائريين)[386] .

ولأن الشيخ يدرك أهمية علاقة الجريدة بقرائها وكتابها ، فقد عمل على نسج هذه العلاقة بتبصر وحكمة ، لأن ذلك يعزز مكانة الجريدة ويشركهم في تحمل المسؤولية ، وفي ذلك يقول الشيخ مبارك في الذكرى الثالثة من نشأة جريدة البصائر : ("وقد دخلنا السنة الثالثة آملين من الكتاب أن يؤدّوا ما عليهم من حقوق أدبية من القراء ، وأن يقضوا ما عليهم من واجبات مادية ، لتقوم بمهمتها الدينية والاجتماعية ، وجعل الشيخ مبارك - كعمل تجديدي - فاتحة كل سنة ذكرى صدور البصائر ، معتبرا إياها عيدا ثالثا للإصلاحيين ، وفي هذا يقول : "فقد بزغت شمس هذه الصحيفة على العالم الإصلاحي بعد طول انتظار ، فكان يومئذ للمصلحين ثالث أعياد : عيد الفطر ، وعيد الجمعة وعيد إشراق هذه الصحيفة" ، ويجعل الشيخ مبارك للسنة القمرية أهمية ، فيدعو عبر جريدة البصائر إلى اتخاذ السنة الهجرية لحساب الناس ، حيث يقول : "الرجاء من كل غيور على الإسلام والعروبة مهتم بحياتهما وقوتهما أن يعد عمر نفسه بالسنيين القمرية")[387] .

---

[386] - **علي بن الطاهر** : مبارك الميلي وجهوده في الحركة الإصلاحية في الجزائر ، 1897-1945م ، ص 147

[387] - **علي بن الطاهر** : المرجع نفسه . ص 151

الفصل الثالث :

دراسة فنية في الخطاب الإصلاحي

عند الشيخ مبارك الميلي

رسالة الشرك ومظاهره - نموذجا -

أولا : التوظيف اللغوي في الخطاب الإصلاحي :

أ - توظيف الضمائر :

من التوظيفات اللغوية للخطاب الإصلاحي توظيف الضمائر ، ومن ذلك توظيف التاء ؛ الضمير المتصل ، مضافا إليها ميم الجماعة (تم) توظيفاً جديداً إذ يدل بها على العتاب واللوم وكذا التوبيخ ، موجهاً خطابه إلى أصحاب الطرق مباشرة ، فالخطاب الموجه إلى (أنتم) الذي مثله في نصوصه، يفيد التحدي ، فهو يخاطبهم ويشعرنا بكل الصفات الذميمة التي يمتلكها الآخر من النفاق ، والشرك ، وابتداع أعمال تدل على الغواية والابتعاد عن كل مظاهر الرشد ، يقول الشيخ مبارك دون أن يخلّ ببنية النص ، أو عناصر الربط التي تحقق الانسجام النصي فيه : " أين أنتم من هذا يا من اتخذتم من القبور والمزارات أوثانا مودة بينكم في الحياة الدنيا ؟ وشيدتم عليها القصور ورفعتم القباب وأشركتموها برب الأرباب ؟ وجاوزتم ذلك تكثيرا لمظاهر الشرك فبنيتم على غير القبور ؟ واتخذتم من شجر البطم والسدر وغيرهما ذات أنواط تعلقون به الخرق والخيوط وتسرجون له الأضواء وتعطرونه بالمباخير والرياحين ؟ وجاوزتم ذلك إغراقا في الشرك إلى الصخور الضخمة والأودية الموحشة ؟ واستبدلتم بالتبرك المسنون تبرككم المبتدع المألوف " [388] ، وفي هذا الخطاب يواجه الشيخ مبارك أصحاب الطرق ويقف في وجههم ، ويرميهم بنقده ، ثم يتصدى لهم بضمير (نحن) ، لينتقل من ضمير المخاطب (أنتم) المذنبون إلى ضمير المتكلم (نحن) الذي يستعمله بمعنى أنا المصلح ، ثم يعود إلى ضمير (أنتم) لإبداء الحرص على هداية أصحاب الطرق وتحذيرهم من مواصلة طريق الغواية ، حتى يفهم من خلال ضمير (أنتم) أن الشيخ مبارك إنما ينتقد ويوبّخ لأجل هدف إصلاحي هو إيقاظ ضمير الطرقيين ، وتحريك الوازع الديني في أنفسهم ، يقول الشيخ مبارك : "ها قد أوضحنا لكم ما في الزيارة من رشد وغي ، فكونوا عباد الله الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، ولا تكونوا ممن حقت عليهم

---

[388] - **مبارك الميلي** : رسالة الشرك ومظاهره . ص 229

كلمة الله : ﴿ سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها وإن يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا وإن يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلا ﴾ * "[389]

وفي أغلب الخطاب الإصلاحي عند الشيخ مبارك في حديثه عن نفسه أو أعماله ، يوظف الضمير (نحن) الدال على الجماعة والفاعلين كدلالة على المشاركة الكاملة في عملية الإصلاح مع الجماعة ، يقول الشيخ مبارك في ضابط الكرامة : " وبعد ، فنحن نثبت كرامات الأولياء ، ولا نقيد من ناحية العقل قدرة الله بنوع منها ، ولكنا نقيدها من طريق الشرع ، بغير ما أعلمنا الله أنه من خواص الألوهية ، حتى لا نغلو فيها غلوا ينتهي إلى الشرك ، والعياذ بالله " [390] ، ويمضي في كثير من خطاباته معبرا عنً ضمير (الأنا) بالضمير (نحن) ، ليؤكد ذوبان الأنا في الضمير الكلي ، إذ يقع على عاتق الضمير (نحن) حمل الهمّ العام ، وتحميله الفعل العام ، ويستعمل ضمير (نحن) للدلالة على أن الحركة الإصلاحية التي يحمل فكرها الشيخ مبارك هي صاحبة الفعل الإصلاحي ، وهذا مطلوب منه كي يبرز صورة من يلتزم بمبادئه مع الجماعة ، تجاه أفراد المجتمع ، يقول الشيخ مبارك في خلاصة معنى الولاية : " وإذا أجدت النظر فيما جلبناه ألفيت مرجع الولاية إلى النصرة ، والعون في محبة وعطف ، وإنما أطلنا فيما نقلنا من تفاصيل استعمالاتها ، ليسهل عليك فهم تصرفات القرآن فيها إثباتا ونفيا ومدحا وذما وعطفا " ، ويقول في عدم جدوى التفرقة بين الجاهلية الغابرة والحاضرة في الدين : " وقد قدمنا معنى الألوهية والعبادة ، فتذكره ، ثم أجد النظر في حال مسلمي اليوم تجد منهم من ألهوا المخلوق وعبدوه ... وقد كشفنا الغطاء على معنى الشرك وصورنا حقيقته عند العرب ومن قبلهم في فصول مرت ، فارجع إليها تر تلك التفرقة غير مجدية ..." [391]

---

* - **الأعراف** : 146

[389] - **مبارك الميلي** : رسالة الشرك ومظاهره . ص 229

[390] - **مبارك الميلي** : المصدر نفسه . ص 121

[391] - **مبارك الميلي** : المصدر نفسه . ص 101 و 108

ويستعمل الشيخ مبارك (الياء) ؛ الضمير المتصل المفرد الذي يعود على المتكلم – ويقصد بـــه الشيخ مبارك نفسه- وهو ضمير للفرد وليس للجماعة ، ويستعمله في حال كون حديثه يشكل اختلافا مع الجماعة ، كما يدل هذا الضمير (الياء) على الرأي الخاص بالشيخ مبارك في مسألة ما ، ومن ذلك قوله بعد أن أورد وجها من وجوه التبرك : "والتبرك على هذا الوجه عندي معقول ... " [392]

وفي توجيه خطاب الشيخ مبارك إلى المتلقي مباشرة يستعمل الضمير (أنت) ، فمرة يوجه هذا الخطاب إليه بصيغة الأمر ؛ لكنه الأمر المقترن بفعل الشرط ، وجواب فعل الشرط ، نحو قوله : " أجد النظر في حال مسلمي اليوم تجد منهم من ألهوا المخلوق وعبدوه ... فارجع إليها تر تلك التفرقة غـــير مجدية " [393]

وفي مرات أخرى ، يستعمل الضمير المستتر الذي تقديره (أنت) لمشاركة المتلقي الاهتمـــام والمتابعة لما يخبره به ، نحو قوله مثلا : " وترى الشيخ محمد عبده في تفسير المنار يتبرم عن قصور عبـــارة المتقدمين " ، وقوله : " فأنت ترى من هذا إثبات بعض الأخبار للتبرك " [394]

كما أنه يستعمل الضمير المستتر والمتصل (أنت) مسبوقا باستفهام ، تأكيدا على مرارة الواقع والتحسر عليه ، نحو قوله : " ألست ترى في أوساطهم قبابا تبذل في تشييدها الأموال ، وتشد لزيارتهـــا الرحال ؟ ، أم لست تسمع منهم استغاثات وطلب حاجات من الغائبين والأموات ؟ أم لم تعلم بـــدور تنعت بدار الضمان ، تشتري ضمانتها بالأثمان ؟ ، أم لم تجتمع بذرية نسب للمرابطين إعطاؤها بقـــوة غيبية ؟ أم لم تتكرر عليك مناظر مكلفين إباحيين يقدسون بصـــفتهم مـــرابطين أو طـــرقيين هـــذا إلى اجتماعات تنتهك فيها كل الحرمات باسم الزردات" [395] .

---

[392] - **مبارك الميلي** : رسالة الشرك ومظاهره . ص 96

[393] - **مبارك الميلي** : المصدر نفسه . ص نفسها

[394] - **مبارك الميلي** : المصدر نفسه . ص 83 و 96

[395] - **مبارك الميلي** : المصدر نفسه . ص 102

ويستعمل الشيخ مبارك الضمير (أنت) ، ليرغب المتلقي في الحق ويذكره بالعقيدة الصحيحة ، ويصرح بأن العقيدة والعودة إلى ماضي السلف هو الأمل في تخليص الإنسان من هموم الدنيا والدين ، إنه يتحدث في الأعم الأغلب عن تراث السلف كوسيلة للخلاص من الشرك ومظاهره ، يقول الشيخ : " وإذا عرفت معنى الولي شرعا من القرآن والحديث وكلام أهل السنة والجماعة ، فإياك أن تعدو ذلك الحد الذي فيه إن كنت تؤمن بالله واليوم الآخر وما صح عن نبيه ، أما إن كنت تركن إلى علم المتقدمين أو تقبل أقوال الأشاعرة ، أو تثق بآراء الصوفية ، فإن القشيري ولد في القرن الرابع وهو من الطبقة الثالثة ثم هو في الصوفية أشهر ، وعلى الحسن من أحوالهم أغير ، وإن بقي بعد هذا في قلبك من شيء : ﴿ فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ، ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعّد في السماء ﴾ * "[396] ، ويتبين من خلال امتزاج ضمير المخاطب (أنت) مع ضمير المتكلم (أنا) كلَفُ نفسِ الشيخ مبارك بهمِّ المخاطب ، مما يكشف عن المعاناة التي تثقل كاهل الإصلاحيين ، ففي قوله : " واعلم يا أخي – وفقنا الله وإياك لمرضاته ، وجعلنا ممن يخشاه ويتقيه حق تقاته أن لحوم العلماء مسمومة "[397] ، يظهر كيف يذوّب الشيخ مبارك الأنا في المفرد المخاطب (أنت) ، ويعتبره جزءا من الذات التي صارت تشعر بوحدة وجدانية مع الحركة الإصلاحية ، مما دفعه إلى أن ينسب المخاطب (أنت) إلى نفسه على هيئة (المضاف والمضاف إليه) وذلك في قوله : (يا أخي) فهو لم يقصد الأخ من أبيه وأمه ، ولكنه قصد المشارك في الدعوة الإصلاحية أو المناصر لها .

ومع ذلك فإن المخاطب (أنت) لا يسلم من الوقوع في الشرك ، لهذا يستعمل الشيخ مبارك الضمير (أنت) في تقديم النصح والإرشاد إلى طريق الحق والتحذير من الوقوع في الضلالة وفساد العقيدة ، ثم يبرر تحذيره للمخاطب (أنت) ، بأن الشرك قريب من أي إنسان مهما كانت درجة إيمانه ، فيجب الحذر من الشرك ، يقول الشيخ مبارك في صور تعليق التميمة وأحكامها : " وقد علمت من الأحاديث السابقة استعظام من استعظم من الصحابة للتعليق حتى قال : الموت أقرب من ذلك ، هذا

---

396 - **مبارك الميلي** : رسالة الشرك ومظاهره . ص 113

* - **الأنعام** : آية 125

397 - **مبارك الميلي** : المصدر السابق . ص 118

على كمال توحيدهم ومعرفتهم بربهم " [398] ، وبالرغم من أن التحذير موجه للمخاطبين الـــواقعين في طريق الشرك ، إلا أن الشيخ مبارك يستعمل الضمير (نحن) في حثهم على الابتعاد عن طريق الشرك ، وهذا يدل على أنه يعتبر أولئك المخاطبين جزءا من المجتمع المسلم الذي ينتمي إليه ، وأنه لا يقصيهم ، قال الشيخ مبارك : " فلندع التمائم وما في معناها ، ولنقوّ إيماننا بآية ﴿ قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكل المتوكلون ﴾ * .

ويقول في رجاء الشفاعة مستعملا الضمير (أنت) ليحسس المسلم المعني بخطابه أنه مسؤول مسؤولية مفردة في الدفاع عن رسول الله ، وطلب الشفاعة له : " أيها الراجي لنيل الشفاعة - حقق الله رجاءك - لا تجعل الرجاء وحده طريقك إليها ولا عمدتك لاستحقاقها فتكون من المغتـــرين ولحـــال المشركين من المشبهين ، ولكن اعمد إلى قلبك فاعمره بالإيمان الخالص من نزعات الوثنيـــة ونزعـــات إبليس عدو أبويك آدم وحواء ، حتى يكون لجنانك السلطان على أركانك ، وأحب نبيك محبة اقتـــداء واستنان ، ولا تنس الصلاة عليه وسؤال الوسيلة له بعد حكاية الآذان ، فإذا فعلت ذلك كان رجـــاؤك للشفاعة مبنيا على حديث أسعد الناس بشفاعتي وحديثي سؤال الوسيلة بعد الآذان ، ومن لم يفعل ذلك وقع تحت الإنذار بسوء مغبة الاغترار بسراب الآمال مع التهاون بصالح الأعمال " [399]

وإذ يستعمل ضمير المخاطب (أنت) ، إنما يريد تحميل المسؤولية تجاه الدين على عاتق كـــل إنسان ، وأن الفرد المسلم ينبغي عليه التعلم والبحث في أمور دينه لأنه سيسأل غدا أمام ربه تعالى ، قال الشيخ مبارك : " أيها المسلم لست مسؤولا غدا عن شيخ ورث المشيخة عن آبائه وجدوده أو اشتراها بعرضه ونقوده ثم هو ليس له من الفضل إلا أنه قد يفوقك في الجهل ويحسن دونك الدجل . ولكنـــك مسؤول عن ربك كيف كانت معرفتك به ؟ وعن رسولك كيف كان جوابك له ؟ وعن كتاب وسنة كيف كان عملك بهما ؟ قال تعالى : حتى إذا جاءوا قال : أكذبتم بآيـــــاتي و لم تحيطوا بها علمـــا أم

---

[398] - **مبارك الميلي** : رسالة الشرك ومظاهره . ص 163

* - **التوبة** : آية 51

[399] - **مبارك الميلي** : المصدر السابق . ص 209 - 210

ماذا كنتم تعملون ؟ ويوم يناديهم فيقول : ماذا أجبتم المرسلين ؟ أم آتيناهم كتابا من قبله فهم به مستمسكون ؟ " [400]

كما يستعمل ضمير المخاطب (أنت) لتثبيت المسلمين على العقيدة الصحيحة ، لأن هذا التثبيت أحسن طريق للابتعاد عن الشرك ومظاهره ، يقول الشيخ مبارك في الطريق إلى الشفاعة : " أيها المسلم اتبع القرآن فيما أرشدك ينفع لك عند الله ، ولا تحد عن سنة رسول الله تشملك - إن شاء الله – شفاعته ، ولا تقنط من رحمة الله وترجو رحمة سواه ، فإنه أرحم الراحمين" [401]

أما ضمير الغائب (هم) فيستعمله الشيخ مبارك للدلالة الإيجابية عندما يتحدث عن السلف الصالح والصحابة رضوان الله عليهم ، فيستعمل الضمير (هم) من أجل الاقتداء بأفعال السلف ، واستشعار عظمة الصحابة في نفس المتلقي ، إضافة إلى الدلالة على توحد السلف من الصحابة الكرام في أمور العقيدة ، يقول في قطع السلف لاتخاذ المزارات : "... الحكم في البناء على القبور وحكمته ، وأجمع الصحابة على العمل به ، فلم يبنوا على الأمكنة التي جلس فيها الرسول في أسفاره إلى الحج والعمرة والغزو ، وهم عالمون بها وشديدو الحب له . ولم ينوطوا بشجرة الرضوان ولا غيرها خيوطا وخرقا ولا وضعوا تحتها مباخر ومصابيح ، ولا قبلوا غير الحجر الأسود أو تمسحوا بشيء من غير أركان البيت ، بل نهى أمير المؤمنين ومحدث هذه الأمة عمر بن الخطاب عن تعمد العدول إلى موضع سجوده صلى الله عليه وسلم في طريق المدينة إلى مكة ، وقطع شجرة الرضوان ، وبين وجه تقبيله للحجر الأسود كما تقدم في الفصل الحادي عشر" [402] .

ويوظف ضمير الغائب (هم) الدال على الجماعة توظيفا معاكسا للتوظيف السابق ، إذ يستعمله هذه المرة للدلالة السلبية على غياب العقل والدين عن نفوس المبتدعة والمنحرفين عن العقيدة الصحيحة ، وللدلالة على شدة نفاقهم ، على أنهم يجتمعون على صفات ذميمة واحدة ، قال الشيخ الميلي في أصحاب الطرقيين أصحاب البدع : "إنك تجدهم يشهدون شهادة الإخلاص ، ثم لا يخلصون لله

---

[400] - **مبارك الميلي** : رسالة الشرك ومظاهره . ص 283

[401] - **مبارك الميلي** : المصدر نفسه . ص 213

[402] - **مبارك الميلي** : المصدر نفسه . ص 228 - 229

بل يفزعون لأوليائهم ، ويخشونهم خشية تالية ، وتراهم يصلون ولكن لا يخشعون ، إلا بين يدي من به يتبركون ، ويتساهلون في إخراج الزكوات ويتشددون في الوفاء بما ينذرون للمزارات والمقامات ، بل يشحون بما هو منها واجب مشروع ، ويسخرون بالمقدار المبدوع ، كالمكيال المقرر في الحبوب للشيخ عبد القادر الجيلاني ، ويصومون رمضان معرضين عن الحجة الشرعية في ثبوته وانقضائه ، متعمدين مخالفتها إلى أوامر رؤسائهم الروحيين من المرابطين والطرقيين ، ويصيرون على الجوع والعطش في زيارة هؤلاء الرؤساء ويألمون لذلك في الصيام لله ويحجون بقلة ، ويزورون ساداتهم بكثرة ، ويطوفون ببعض المزارات ، ويوقتون لها الأوقات ، ويجعلون أعدادا منها تقوم مقام الحج إلى البيت الحرام ، فهل تفرق مع هذا بين جاهلية عصر الوحي ، وجاهلية زمن الاستعباد والبغي ؟ "[403]

إن التباين في توظيف الأساليب وضمائر الخطاب قد عكس توجه الشيخ مبارك الفكري في رؤية حاضره والماضي ، وقد اقتضى أسلوب الخطاب تحقير الصفات والأعمال و لم يحقر أصحابها ، و لم يستعمل ألفاظ السباب والشتم ، لأن المسلم ليس بسباب ولا لعان ولا طعان ، ولأن الغرض من وراء تحقير الصفات والأعمال هو تصحيحها ، وليس التجريح في أصحابها قصدا ، لكنما عقل الشيخ مبارك كان على الدوام يرفض الخرافة والبدعة ، وعاطفته كانت تدفعه باتجاه الثقة في القضاء على الأسباب التي أدت إلى ظهوره البدعة .

ب - توظيف البديع :

زيّن الشيخ مبارك خطابه وشرّفه بالاقتباس من القرآن الكريم والسنة النبوية ، إذ اعتمد الخطاب الإصلاحي أساليب القرآن الكريم وأساليب الحديث النبوي ، لأن القرآن يشرف الخطاب ويجعله أكثر قوة وأكثر إقناعا وتحريكا للمشاعر ، كيف لا وهو أعظم أسلوبٍ إعجازا في البلاغة وتناولا لقصص الأولين

---

[403] - **مبارك الميلي** : رسالة الشرك ومظاهره . ص 102 - 103

وتميز الخطاب الإصلاحي بقصر العبارات ، من أجل ملامسة عواطف الناس ، إذ إن العبارات القصيرة هي أنسب للتعبير العاطفي ، ومن ذلك مثلا قول الشيخ مبارك : " فكم عولوا على ما قولوا ، وأجملوا فيما هولوا ، وبهتوا فيما نعتوا ، وشتموا بما لم يعلموا " ، ومن العبارات القصيرة نجد قوله : "علم الناصحون الفرق بين الولايتين الشرعية ، والشركية ، فأعلنوا به ، وجهله خصومهم المغرضون ، وأخفاه من علمه منهم إيثارا لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها ، فشوهوا وموهوا ، ولبسوا ودلسوا ، وبدعوا ، وشنعوا ، ولمزوا ، ونبزوا ، ولقن ذلك من أعماه الغرض ، كل من في قلبه مرض ، ثم اغتروا ، فهنئوا نفوسهم بالمحافظة على عقيدة أهل السنة والجماعة ، وما سننهم إلا سنة القبوريين ، والطرقيين ، وما جماعتهم ، إلا جماعة المغرورين ، والطماعين " [404] ، وتتولد عن العبارات المستعملة في الفقرتين السابقتين عاطفة الاستياء من أعمال أصحاب الطرق وصنائعهم ، وهكذا يتبين لنا أن الشيخ مبارك يستعمل العبارات القصيرة كلما تحركت عاطفته

ويستعمل السجع ، لاسيما في مقدمات المواضيع التي يعالجها ، ومنها قوله : "غسل الأرض الطوفان ، من وضر الشرك والعصيان ، فلم يبق يومئذ على وجهها ، إلا ناصع الإيمان ، ثم تعاقبت الأجيال حتى حنت الطباع إلى معتاد الضلال ، ففاء الشرك بعد الزوال ، وأرسل الله المرسلين مبشرين ومنذرين : ﴿ وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين ﴾ " [405]

ونلاحظ أن الشيخ مبارك يكثر من السجع في مقدمة القصة ، لأن السجع لا يصلح للتحليل ، إنما السجع هو لتحريك العاطفة وتهيئة النفس ، إنه يضع القارئ في جو القصة ومن ثم في جو النص ، فهو أولا يحرك العواطف ثم يخاطب العقول

كما نلاحظ أنه يستعمل السجع في الوصف ، كما في وصفه الكلدان ومعارفهم ، قال الشيخ مبارك : "وكانت لهم علوم بأرصاد الكواكب ، وتحقق بعلم أسرار الفلك ، ومعرفة مشهورة بطبائع النجوم وأحكامها ، وخواص المولدات وقواها ، وهم نهجوا لأهل الشق الآخر من معمور الأرض ،

---

[404] - **مبارك الميلي** : رسالة الشرك ومظاهره . ص 105و 117

[405] - **مبارك الميلي** : المصدر السابق . ص 68

الطريق إلى تدبير الهيكل لاستجلاب قوى الكواكب وإظهار طبائعها ، وطرح شعاعاتها عليها ، بأنواع القرابين المؤلفة لها ، وضروب التدابير المخصوصة بها ، فظهرت منهم الأفاعيل الغريبة ، والنتائج العجيبة " [406] ، وليس هذا السجع مبالغا فيه كما نرى ، بل إنه يتغير أو يخرج بعضه عن البعض الآخر كلما اقتضى الحال بذلك

كما يستعمل السجع في خاتمة موضوع له علاقة بتبيان أهمية الإصلاح ، ومن ذلك قوله : "و لم تزل وثنية العرب من زمن عمرو بن لحي ، تطفئ وتشتد ، وتنتشر وتمتد ، وتمتص على رقتها أزهار الفضائل ، وتقتص على ضعفها آثار الرذائل ، حتى عم الفساد كل حي وناد ، وقلبت الطباع جل ما للحياة من سنن وأوضاع ، فكان اجتياح تام ، إلى إصلاح عام ، يشمل الفرد والمجتمع ، ويترع بهما كل مترع ، يرجع للعقول رشدها ، وللقلوب طهرها ، وللنفوس تقاها ، ولا يقوى ذلك الإصلاح ، على التغلب في ميدان الكفاح ، إلا أن يصدر عن نفس تثبت للعوادي ، التي تزلزل لها الرواسي ، وتدفع عنها عدوى الأدناس ، ولو اختلطت بكل الناس ، ثم يقوم على أصول مجلوة ، كتلك النفس ثباتا وقوة ، لا تبلي الأيام جدتها ، ولا تنهي الطبيعة مدتها ، بل تصبو إليها العقول في رقيها ، ولا تنبو هي عن الأذهان في هويها " [407]

ونلاحظ أن سجع الشيخ مبارك ، ليس متكلفا ولا غريبا وحشيا ، إنما هو رصين التركيب ، واضح المعنى ، جميل الأسلوب ، فَواصلُه متنوعة فلا يطيل في فاصلة واحدة ، ومن ذلك قوله في رسول الله : "ولقد منَّ الرب الرحيم ، القادر الحليم ، بتلك النفس ، فكانت نفس محمد الفذة في الطهارة والقدس ، وبتلك الأصول المجلوة ، فكانت آيات الكتاب المتلوة ، هنالك نهض الإصلاح نهضته ، وأبلغ العالم دعوته ، فسمع الأصم نبراته ، وأبصر الأعمى آياته ، و لم تزل سيرة ذلك الرسول هي السيرة الراقية ، و لم تزل حجة ذلك الكتاب هي الحجة الباقية " [408]

---

[406] - **مبارك الميلي** : رسالة الشرك ومظاهره . ص 68 - 69

[407] - **مبارك الميلي** : المصدر نفسه . ص 80

[408] - **مبارك الميلي** : المصدر نفسه . ص نفسها

ومن هذا السجع الجميل قوله في آثار الشرك في المسلمين : "إن الأمة ... تراكمت على عقولها سحائب الجهالات ، وران على بصائرها قبائح العادات ، وسهل عليها الإيمان بالخيالات ، فانقادت لعالم طماع ، وجاهل خداع ، ومرشد دجال ، ودليل محتال ، وازدادت بهم حيرتها ، واختلت سيرتها ، والتبست عليها الطرائق ، وانعكست لديها الحقائق ، فتتهمَ العقل ، وتقبل المحال ، وتشرد عن الصواب ، وتأنس بالسراب " [409]

ويستعمل الطباق بكثرة بهدف تبيان البون الواسع بين التوحيد والشرك ومن ذلك قوله : " يحجون بقلة ، ويزورون ساداتهم بكثرة ... التقرب من الأحجار ، والنفور من المرشدين الأخيار ... اعترفنا بدائنا ، وبحثنا عن دوائنا " [410]

ويتطرق خلال مواضيعه التي يعالجها إلى تعريف القرى والمدن تعريفا موجزا ، نحو قوله : " والهامل قرية بالحضنة قرب أبي سعادة بها زاوية كانت تمده بالمال " [411] (يقصد الشيخ عاشور)

ويستعمل الشيخ مبارك الأسلوب السلفي في سرد الحكايات والوقائع ، إذ يوظف ألفاظا اشتهرت في الأسلوب السلفي ، نحو لفظة "حدثني" ؛ وهذه اللفظة معروفة عند السلف في نقلهم للأحاديث والحكايات وما شابه ، والتي عادة تعتمد السمع ، يقول الشيخ مبارك في حكاية عن تقديس الناس لشيوخ الطرق : "حدثني الثقة أن الشيخ يوسف بن الدرويش من شيوخ الطريقة الرحمانية قرب الميلية حدثه عن مريده فلان ، أنه توجه إليه وصلى له ، فجعل هو ينتقل من ناحية إلى أخرى ، ومريده يتبعه مستقبلا إياه ، حدثه هذا الحديث وهو مغتبط بتعظيم مريده له " [412] ، ثم إن الشيخ مبارك قد بدأ رسالته باسم الله الرحمن الرحيم والثناء على الله عز وجل وتوحيده ، ثم الصلاة على رسول الله ، وطلب الرضا من الله للصحابة الكرام ، وختمها في الأخير بتتريه الله عز وجل والصلاة على رسوله ، مما يؤكد سيره على منهج السلف في الخطاب ، قال الشيخ : " وقد انتهينا من

---

[409] - **مبارك الميلي** : رسالة الشرك ومظاهره . ص 99 - 100

[410] - **مبارك الميلي** : المصدر نفسه . ص 103

[411] - **مبارك الميلي** : المصدر نفسه . ص 182

[412] - **مبارك الميلي** : المصدر نفسه . ص 232

تحرير هذه الرسالة في ذي الحجة سنة خمس وخمسين وثلاثمائة وألف . سبحان ربك رب العـــزة عمـــا يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين " [413]

ويستدل بأقوال السلف دون حاجة إلى شرح أو تقرير ما كانت وافيـــة المعـــنى بالغـــة الشرح ، ومن ذلك قول الشيخ مبارك في تعلق الإخلاص بالعادات كالعبادات : "وقد قرر أبو إسحاق الشاطبي في كتاب المقاصد من الموافقات كليات لها تعلق بهذا الموضوع وشرحها وبسط القول فيهـــا ، ونحن نثبتها للاستدلال بها لا لشرحها وتقريرها " [414]

ج - توظيف الألفاظ :

يبدأ الشيخ مبارك الميلي في معالجة الشرك ومظاهره ، بتعريف الموضوع الذي هو بصدد الحديث عنه ، وإنما يتطلب التعرف شرحا للفظ الذي ينبني عليه الموضوع ، وتعريفا يشمل جانبين فيه هما المبنى والمعنى .

أما ما يتعلق بالمبنى فمن ذلك استعمال الخطاب الإصلاحي علم الصوت في شرح اللفـــظ ، إذ يضبط الكلمة من الناحية النطقيّة قال الشيخ مبارك في ضبط لفظ الغفارة والخفارة : "ولفظ الخفارة لا يفترق من الغفارة إلا بالحرف الأول وهو حلقي ، وكـــثيرا مـــا تبـــدل حـــروف الحلـــق بعضـــها من بعض "[415]

ويستعمل الشيخ مبارك الوزن والمثال في الشرح ، ومن مثال ذلك قوله : " تقول شـــركته في الأمر أشركه ، وشركة بفتح الأول وكسر الثاني فيهما ، ويخففان بكسر الأول وسكون الثاني وذلك إذا صرت له شريكا ، وشاركته كذلك وأشركته جعلته شريكا " [416]

---

[413] - **مبارك الميلي** : رسالة الشرك ومظاهره . ص 11 و 295

[414] - **مبارك الميلي** : المصدر نفسه . ص 230

[415] - **مبارك الميلي** : المصدر نفسه . ص 281

[416] - **مبارك الميلي** : المصدر نفسه . ص 56

كما يستعمل تصريف الفعل وبيان مشتقاته في تبيان شرح اللفظ ، ومثال ذلك قول الشيخ مبارك نقلا عن الجوهري : " تقول نسك ينسك فهو ناسك وهم نساك ، كعبد يعبد فهو عابد وهم عباد وزنا ومعنى ، والنسك بضمتين يكون مصدرا بمعنى التعبد والتطوع بالقربة واسما للقربة المتطوع بها ، وجمع نسيكة ، والمنسك بفتح السين وكسرها يرد مصدرا وزمانا ومكانا لذبح النسيكة " [417]

كما يستعمل بيان صور بعض المصادر المشهورة في الاستعمال ، نحو قوله : "والشرك بالتخفيف أغلب الاستعمال ، ويكون مصدرا واسما بمعنى النصيب " ، ونحو قوله أيضا : "واستعمال الكفر في التغطية شائع في لسان العرب"[418]

ويستعمل الشيخ مبارك في تعريف اللفظ بيان المفرد والجمع ، نحو قوله : " والعبادة هي الانقياد والخضوع ، والفاعل عابد ، والجمع عباد وعبدة ، مثل كافر وكفار وكفرة " [419]

كما يتطرق إلى تعريف الشخصيات تعريفا موجزا ، فيعرفها أحيانا بنسبها ، نحو قوله : " ويوسف هذا من أولاد ابن الدرويش ، إحدى فصائل أولاد العابد من متصرفية الميلية ، توفي حديثا " ، ويعرفها حينا آخر باسم مشهور من أسرتها كما في قوله : "الطيب بن الحملاوي وهو أخو عبد الرحمن نسبا وأدبا ... " ، وفي أحايينَ أخرى لا يكتفي الشيخ مبارك بذكر الاسم فقط ، بل يزيد على ذلك تبيان كيفية نطق الاسم ، ويحدد الرسم الإملائيّ أو الهجائيّ لذلك الاسم ، نحو قوله عن العربي بن حافظ : " وهو أحد مشاهير المرابطين معاصر للحسن القشي بقاف بدوية وشين مشددة " [420] ، وربما قصد الشيخ بالقاف البدوية أنها قاف لا تنطق بنطقها الأصلي ، بل تنطق بصوت (gua) في اللغة الفرنسية

---

[417] - **مبارك الميلي** : رسالة الشرك ومظاهره . ص 87

[418] - **مبارك الميلي** : المصدر نفسه . ص 56 و 60

[419] - **مبارك الميلي** : المصدر نفسه . ص 84

[420] - **مبارك الميلي** : المصدر نفسه . 178 و 277 و 281

أما الجانب الآخر فهو المعنى ؛ ومن ذلك مثلا التفسير بالمغايرة وأكثر ما يكون التعبير عنها بلفظ نقيض أو ضدّ أو خلاف ، نحو قول الشيخ مبارك في نقل الفرق بين الكفر والشرك عن أبي الهلال العسكري : "... وأصله كفر النعمة ، ونقيضه الشكر ، نقيض الكفر بالله الإيمان " ، ويفسر اللفظ بالمرادف له ، نحو قوله نقلا عن الجوهري : " والنسيكة كذبيحة وزنا ومعنى ، وتكون بمعنى السبيكة من الفضة "[421]

وينقل شرح اللفظ بالمجاز ، كما في قوله : "والطاعة في مجاز اللغة تكون إتباع المدعو الداعي إلى ما دعاه إليه " [422]

وتتبع الخطاب الإصلاحي تاريخ اللفظ وتطوره ، إذ يذكر الشيخ مبارك سرعة التطور والتغير في جانب معنى بعض الألفاظ ، ويتتبع تاريخها ، فمثلا في ذكر معنى الغفارة ، ذكر الشيخ مبارك منشأ لفظة الغفارة ، ومتى كان منشأها ، ثم يذكر ما ورد في كيفية حدوثها ، ومن ذلك أيضا قوله : " فالغفارة بعد أن كانت ضريبة للقبائل الحربية على من ضعف في ساحة الوغى أصبحت غفارة على من ضعف اتكاله على الله لمن ادعى العزة مع ربه بلسان الحال أو بلسان المقال ، فكان أصلها الحماية من الأشرار ، وصارت للوقاية من الأقدار " [423]

ويوضح تضاد المعنيين في اللفظة الواحدة باختلاف سياقها ، نحو قول الشيخ مبارك في معنى الغفارة : "ويقول كل من القابض والمعطي لصاحبه (أنت غفيري) ، وهي من الأول بمعنى خديمي ، ومن الثانية بمعنى سيدي كما تطلق العرب المولى على الأعلى والأدنى معا " [424]

---

[421] - **مبارك الميلي** : رسالة الشرك ومظاهره . ص 60 و 87

[422] - **مبارك الميلي** : المصدر نفسه . ص 85

[423] - **مبارك الميلي** : المصدر نفسه . ص 252 - 253

[424] - **مبارك الميلي** : المصدر نفسه . ص 251

ويعمل الشيخ مبارك على استيفاء الشرح حتى يتبين المعنى جيدا ، ويجلي الشرح له ، ويتحرى عدم الخلط فيه ، حتى لا يُبقي فيه غموضا أو التباسا ، ومن ذلك أن الشيخ مبارك في تبيان معنى العبادة ، يبين أولا سبب الوقوع في الشرك ، ويقول إن السبب هو المبالغة في تعظيم بعض المخلوقات ، حتى نشأت عبادة غير الله ، ومن ثم فالشيخ يرى الحاجة الملحة لتبيان معنى العبادة لغة وشرعا ، ثم يبين الفرق بين العبادة والطاعة ، ثم ينقل إلى القارئ بعض صور العبادة المعهودة قي العصر الجاهلي ، ليستوفي شرح لفظ العبادة حقه ، وبالرغم من أن الشيخ يورد تعريفا ما ويراه جامعا ، إلا أنه يزيد عليه قول العلماء والمصلحين ما رآه شارحا للتعريف الأول ، ومن أمثلة ذلك أنه في تعريف لفظة العبادة ينقل ما جاء في كتاب المصباح ، ثم ما جاء في الصحاح ، ثم ما جاء في مفردات الغريب ، ثم ما جاء في فروق العسكري ، وبعد أن أورد تعريف لفظة العبادة في الكتب الأربعة ، نراه ينتقي التعريف الأول بوصفه تعريفا جامعا ، إذ يقول الشيخ مبارك : " والتعريف الذي استخلصناه من المصباح يتضمن (معاني كلام الأئمة الأربعة) " [425]

لقد أصبحت المصطلحات أدوات الخطاب الإصلاحي ، في توعية الناس بدينهم ، وإبعادهم عن طرق الغواية والضلال والشرك والبدع والخرافات ، وفي الرد على المضلين ، فحين يهدف المصلحون إلى إحقاق الحق ، فهم يضبطون بذلك الألفاظ ويحددون مفاهيمها حتى لا يزيغ الناس عن سبيل الحق ، في حين أن أعداء الدعوة الإصلاحية والذين يتخذون من الدين وسيلة لكسبهم وتحقيق سلطانهم على الناس ، أولئك هم الذين يحرفون الألفاظ عن معانيها ، حتى يغيب الحق عن الناس وإنما يعد المصطلح وسيلة ضرورية في كشف الحق ودحض الباطل لكونه حاملا للعقيدة وحاملا لكل فكرة إيمانية صحيحة ، ثم إن استعمال المصطلح في غير موضعه أو تحريفه ، - لاسيما عند الخوض في مجال العقيدة - يعرض الأمة إلى خطر الشرك والانحراف عن دينها ، حين يستعمل المصطلح في تنفير الناس عن اعتقاد معين أو ترغيبهم في اعتقاد آخر ، فتلقى إلى مسامع الناس ألفاظ منكرة إلى درجة أن ينخدعوا بها ، ولا عجب أن وصف الأنبياء بالجنون والكهانة والسحر والضلال والسفاهة ، لينفر الناس عنهم ويبغضوهم ولا يتبعوا دعوتهم .

---

[425] - **مبارك الميلي** : رسالة الشرك ومظاهره . ص 83 و ما بعدها

لكن تبديل الألفاظ لن يغير من الحق شيئا ، وإن غيّر عقلية المتلقي وأضله عن الحق ، قال ابن القيم رحمه الله : "ولو أوجب تبديل الأسماء والصور تبدّل الأحكام والحقائق لفسدت الديانات ، وبدلت الشرائع ، واضمحل الإسلام ، وأي شيء نَفَع المشركين تسميتُهم أصنامهم آلهة ، وليس فيها شيء من صفات الإلهية وحقيقتها " [426] .

تميز الخطاب الإصلاحي بدقة الألفاظ ، وتناسبها مع المعاني ، ولا عجب في ذلك إذ إنها مقتبسة من القرآن الكريم والسنة النبوية ، ونذكر من ملامح توظيف الألفاظ في الخطاب ؛ ذكر المذاهب وأسماء الطرق ، وذكر بعض أعمالهم وعقائدهم ، نحو قول الشيخ مبارك : " ومن المعلوم عند الحنصالية وهي شبه من الشاذلية أن شيخهم سوّغ لهم الملاهي وتمتيع النفس بما تشتهي " ، وقوله أيضا : " ويوم النظرة معروف عند التيجانية ..." ، ووصف أصحاب الطرق ، إذ نجد العديد من أوصاف أصحاب الطرق في الخطاب ، ومن ذلك وصفهم في تبليه الناس بعبدة الأحجار [427]

ويستعمل الشيخ مبارك الألفاظ المناسبة لوصف الأعلام والشخصيات الدينية المتميزة ، ومن ذلك مثلا أن أطلق على أمير المؤمنين عمر بن الخطاب صفة أمير المؤمنين ومحدث الأمة [428]

كما يستعمل مصطلحات دينية لها دلالات خاصة ، منها (القوة الغيبية) ؛ ويقصد بها قوة الله ، و (الجاهلية الحاضرة) ؛ ويقصد بها البدع والطرق المنحرفة عن الدين ، قال الشيخ مبارك : " وقد أصبح الناس في جاهليتهم الحاضرة ينذرون لمن يعتقدون فيه من الأحياء والأموات والمزارات ، الأموال والثياب والحيوانات والشموع والبخور والأطعمة " [429] .

---

[426] - **ابن الجوزية** : إعلام الموقعين . تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد . مطبعة السعادة . مصر . ط 1 ، السنة 1955م ، ج 3 ، ص 130

[427] - **مبارك الميلي** : رسالة الشرك ومظاهره . ص 277 و 282

[428] - **مبارك الميلي** : المصدر نفسه . ص 228

[429] - **مبارك الميلي** : المصدر نفسه . ص 92 و 100 و 250

ويستخدم الخطاب الإصلاحي الألفاظ والمصطلحات استخداما مناسبا للغاية ، فوظف مثلا مصطلح (الجاهلية) ، والأكيد أنه لم يقصد به انعدام العلم والمعرفة ، وإنما قصد به ما كان معروفا قبل الإسلام من خضوع الناس إلى الطيش ، وعدم القدرة على الاحتكام إلى رزانة العقل وقوة المنطق

ويطلق الشيخ مبارك مصطلحات جديدة على بعض الأفعال والصفات ، ومن أمثلة ذلك أن أطلق على الشفاعة المثبتة في الكتاب والسنة اسم (الشفاعة الشرعية) ، أما الشفاعة التي نفاها الكتاب ونفتها السنة ، فقد أسماها (الشفاعة الشركية) ، وسمى الناسَ الذين يزورون القبور للتبرك وما شابه من أحوال الشرك والبدع : (أهل القبور) و(القبوريون) ، وسمى (جعل الإنسان مكسبا) بالسعاية ، إذ قال الشيخ مبارك : "ومن الناس من يرى معيشته في السعاية بالعلماء المرشدين" ، وأعطى للمعنى اللغوي تسمية جديدة هي (المعنى الأصلي) ، وسمى النسك - وهو الذبح الذي يتقرب به الإنسان إلى خالقه - بالذبح الديني [430]

ويستعمل الشيخ مبارك الميلي ألفاظا فلسفية ، وألفاظا انبنت عليها المذاهب ، ومن ذلك هذه الألفاظ : (الحلول والاتحاد) ، (القطب) ، (الأبدال) ، كما يستعمل ألفاظا دلت على النبات المشهور في البيئة الجزائرية ، من ذلك قوله : "واتخذتم من شجر البطم والسدر ..." [431]

ويمنح صفات لبعض الألفاظ ، ويعطى تفسيرا لها ، وحكما عليها ، من ذلك قوله : "العز جبروت ، والأمن جبانة ، والسيادة وظيف حكومي ، والغنى فسوق عمومي ، والإباء جناية ، والشمم كبر" ، ومن المصطلحات الموصوفة والمعروفة نجد (الحكاية العاشورية) ؛ نسبة إلى الشيخ عاشور صاحب منار الأشراف ، وملقب نفسه كليب الهامل [432]

---

[430] - **مبارك الميلي** : رسالة الشرك ومظاهره . ص 212 – 213 و 116 و 230

[431] - **مبارك الميلي** : المصدر نفسه . ص 164 – 165 و 229

[432] - **مبارك الميلي** : المصدر نفسه . . ص 104 و 182

إننا نعلم جليا أن الوسائل اللغوية متعلقة بالتطور اللغوي والنمو المصطلحي وهي كثيرة منها : (المجاز والاشتقاق ، والترجمة ، والتعريب والنحت ...) ، ولذلك نرى أن الخطاب في تعريف اللفظ يذهب إلى الاشتقاق ، حينما يكون معنى ذاك اللفظ راجعا إلى جذور اللفظ المذكور وأصل اشتقاقه ، حتى إن خطابات الشيخ مبارك الإصلاحية قد امتلأت بالنقل عن المعاجم وكتب اللغة والمجامع الفقهية والعلمية .

أما عن توظيف الشيخ الألفاظ الشرعية ، فقد احتاج الخطاب الإصلاحي في إيراد الألفاظ الدينية والفكرية للرجوع إلى الأصول الدينية والتراث لمعرفة معنى المصطلح ، كما احتاج إلى تاريخ استعمال اللفظ وتطوره ، وذلك لأجل الحصول على أعلى الدرجات في فهم الخطاب من قبل المتلقين ، فإن للسياق الزمني لدورا كبيرا في تحديد معنى اللفظ بدقة ، ومن ثم فإن تلك الألفاظ الشرعية ومثلها التي وظفها الشيخ مبارك تجعل الأحكام الدينية أكثر ضبطا ودقة ، وإن لها أثرا بالغا في تمسك المتلقي بأحكام الدين والتزامه بها ، فحرص الخطاب الإصلاحي على أن يكون اللفظ الشرعي مناسبا لمعناه حتى عندما يصف أو يحكم ، وهذا ما كان يتبعه السلف الصالح ، قال ابن أبي العز الحنفي رحمه الله : "والتعبير عن الحق بالألفاظ الشرعية النبوية الإلهية هو سبيل أهل السنة والجماعة " [433]

واتبع الخطاب الإصلاحي منهج السلف في استعمال الألفاظ الشرعية ، على نحو ما قال ابن القيم رحمه الله : " ينبغي للمفتي أن يفتي بلفظ النص مهما أمكنه فإنه يتضمن الحكم والدليل مع البيان التام ، فهو حكم مضمون له الصواب ، متضمن للدليل عليه في أحسن بيان ، وقول الفقيه المعين ليس كذلك ... فألفاظ النصوص عصمة وحجة بريئة من الخطأ والتناقض ، والتعقيد ، والاضطراب ... ولما استحكم هجران النصوص عن أكثر أهل الأهواء والبدع كانت علومهم في مسائلهم وأدلتهم في غاية الفساد والاضطراب والتناقض ... والمقصود أن العصمة مضمونة في ألفاظ النصوص ومعانيها في أتم بيان وأحسن تفسير ، ومن رام إدراك الهدى ودين الحق من غير مشكاتها ؛ فهو عليه عسير

---

[433] - **ابن أبي العز الحنفي** : شرح العقيدة الطحاوية . تحقيق عبد الله التركي وشعيب الأرنؤوط . مؤسسة الرسالة . بيروت ، لبنان . الطبعة الثامنة ، السنة 1416 هـ . ج 1 ص 70 - 71

غير يسير"[434].

إن الخطاب الإصلاحي دقيق في استعمال الألفاظ ، ومن أمثلة تلك الدقة توضيح الشيخ مبارك أن نطق الجاهل بالشهادتين لا يمنع عنه وصف الشرك ، إذا كان نطقه بهما عن غير علم بمعناهما ، واستدل على أن المشركين لما دعاهم رسول الله إلى التلفظ بالشهادتين ، رفضوا و لم ينطقوا بالشهادتين لكونهم يعلمون معنى الشهادتين ، ولو أنهم رأوا أن مجرد التلفظ بالشهادتين ينفي عنهم الشرك لتلفظوا بهما [435]

ثم بيّن الشيخ أن العامة لا يفقهون العربية فتجد أحدهم يردد في صلاته : إياك نعبد وإياك نستعين ، فإذا سلم منها ونهض استعان بغير الله ، وقال يا جدي ! ، يا شيخي ! ، وقد استدل على هذه الفكرة بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة ، ثم إن المرء لا يفيده أن ينعت بالمسلم وصفاته النفسانية صفات مشرك ضال أو كتابي معاند ، وفي هذا الشأن يقول الشيخ مبارك : "ثم أجدِ النظر في حال مسلمي اليوم تجد منهم من ألهوا المخلوق وعبدوه ، وتبرؤهم من اللفظ إنما هو لضرورة حكمه الشرعي وجهلهم بالمعنى اللغوي [436] ، لكن مخاطبة الآخر بدعوته إلى فعل ما ، ليس معناه أن الآخر يخلو من ذلك الفعل خلوا تاما ، بل قد يدل الخطاب على الدعوة إلى الاستمرار في ذلك الفعل ، ومثال على ذلك قوله تعالى في آيات عديدة متشابهة : ﴿ يا أيها الذين آمنوا آمنوا ﴾ ، فهذا الخطاب موجه للمؤمنين ، يدعوهم إلى الإيمان ، بغرض حثهم على الاستمرار في الإيمان ، كذلك الدعوة إلى تجنب الشرك بالله في الخطاب الإصلاحي ، لا تعني أبدا أن الذين يدعوهم الخطاب إلى تجنب ذلك الشرك هم مشركون فعلا

ويذهب الخطاب الإصلاحي إلى الدقة في الحكم على الأفعال ، لذلك كان حريصا على الدقة في التعامل مع الألفاظ ، فها هو الخطاب في حديثه مثلا عن تعيين مكان في النذر ؛ يعطي كل صفة أو

---

[434] - **ابن قيم الجوزية** : إعلام الموقعين . ج 4 ص 170 - 172

[435] - **مبارك الميلي** : رسالة الشرك ومظاهره . ص 27 - 28

[436] - **مبارك الميلي** : المصدر نفسه . ص 29 و 44 و 52 و 101

عمل لفظه المناسب بدقة ، يقول الشيخ مبارك : "وتلك الاجتماعات عليها للزردات هي من أعياد الجاهلية ، فلو فرضنا أحدا نذر لها شيئا فهو عاص بالوفاء به ، فإن أضاف إليه التقرب من صاحبها فهو مشرك ، وإن عين الناذر مكانا سالما من تلك الزردات وقصد به إعانة الأحياء من أهله تعين عليه الوفاء في ذلك المكان"[437]

وأبرز الملاحظات التي سجلناها في استعمال الخطاب للألفاظ ، أنه استعمل اللهجة العامية ، سواء تلك الألفاظ العامية أو تلك الألفاظ المأخوذة من اللغة الفرنسية ، ومن هذه الألفاظ العامية المستعملة نجد : (القبوريين والْمرابْطين) ، و (لفظة فاقوا) ، و (إنهم كانوا في بيت كتان نسميه القيطون) ، و (دار الضمان) ؛ وهي دار تشترى ضمانتها بالأثمان ، و (سموه حسب اصطلاحهم مرابطا) ، ولفظة (تصرفه في الجْنون) ؛ وقصد تصرفه في الجن [438]

ولا يترك الشيخ مبارك الميلي اللفظة العامية إلا وقد شرحها بما يقابلها في اللغة العربية الفصيحة ، نحو قوله : "... الشجر المدعو عندنا الهندي : وهو الصبار في لغة العرب ... "[439]

ويورد الشيخ مبارك ألفاظا تدل على الطبخ الشعبي الجزائري ، نحو لفظة (الطْعام) ؛ وهو الكسكس ، و(النشرة) ؛ قال الشيخ مبارك الميلي : "والنشرة في لسان عوامنا طعام يتخذ على ذبيحة من الدجاج غالبا تقربا إلى الجن كي يرفعوا داءهم عن المصاب بهم ، ولا يذكرون اسم الله على الذبيحة إرضاءً للجن" ، وقال الشيخ مبارك عن معنى الزردة : " ... وهي في عرفنا طعام يتخذ على ذبائح من بهيمة الأنعام عند مزارات من يعتقد صلاحهم ، ولها وقتان أحدهما في فصل الخريف عند الاستعداد للحرث ، والآخر في فصل الربيع عند رجاء الغلة ، وقال الشيخ مبارك في معنى الوعدة

---

[437] - **مبارك الميلي** : رسالة الشرك ومظاهره . ص 244

[438] - **مبارك الميلي** : المصدر نفسه . ص 36 و 43 و 113 - 115 و 152

[439] - **مبارك الميلي** : المصدر نفسه . ص 163

في نذر الجاهلية : "والمعنى الثاني للنذر يسميه المحدثون نذر المجازاة والفقهاء النذر المعلق ، وتسميه عامتنا الوعدة " ، ومن الألفاظ العامية ما كان مأخوذا من اللغة الفرنسية نحو (الليصانص) ، حيث قال الشيخ مبارك : "... زيت السيارات المعبر عنه بالليصانص" ، ولفظة (نفرنو) بمعنى نعطي ونزوّد ، ثم قال في حكاية عن الطيب بن الحملاوي : "... فاستفهمته المرأة وهي مسيحية عن ذلك متعجبة فأجابها قائلا : احنا نفرنو الدين على الناس ؛ وكلمة نفرنو فرنسية استعربت إلى العامية يريدون منها معنى العطاء والتوزيع" . ويورد الشيخ مبارك ألفاظا خاصة بالقَسَم عند العامة من السفهاء على حد تعبيره ، حيث يقول : "والحريّم ، بفتح الراء وتشديد الياء تصغير الحرام يمين السفهاء" [440]

ولا يتوقف الشيخ عند إيراد الألفاظ العامية فحسب ، بل إنه يورد الجملة برمتها عامية ويشرحها مبينا خلفية الفكرة فيها ، نحو نقله قول العربي بن حافظ الذي يزعم الولاية : "يا ربي اشبح ونا نشبح وما خايف إلا على جهتك" ، ثم يشرح الشيخ معنى هذا الكلام العامي ، فيقول : "ومعنى اشبح اضغط ، ومراده إظهار التبرم بالناس والضجر منهم ، وأنهم أهل لكل ضغط إلهي ، وأنه مشارك للإله في هذا الضغط قاس فيه ، ولكن يخشى التخفيف من جانب الله" [441]

كما نلمس في الخطاب طابعا أدبيا و لغويا ، حيث يستشهد الشيخ مبارك بالشعر والنثر الأدبي وبالأمثال والحكم ، سواء المأخوذة من واقع العصور الأدبية السابقة ، أو تلك التي أخذها من واقع المجتمع الجزائري المعاصر له ، أو فلنقل الأدب الشعبي الجزائري [442] ، وبفضل لغة الشيخ مبارك السهلة المتناولة ، نفذت معانيه إلى عقل المتلقي وقلبه ، وأبرز ما نسجله من خصائص في الخطاب الإصلاحي ؛ الاحتجاج بالنقل والعقل على حد سواء ، ومن ذلك قوله في مجمل ما جاء في نفي الشفاعة : "ذلك أن الجاهلين بالله من أهل الكتاب والمشركين يقيسون أحوال الآخرة على أحوال الدنيا وأحكام الله على أحكام الملوك ، فإذا كان المجرم في الدنيا قد ينجو من سطوة القانون

---

[440] - **مبارك الميلي** : رسالة الشرك ومظاهره ص 238 و 242 و 247 و 277 - 279

[441] - **مبارك الميلي** : المصدر نفسه . ص 281

[442] - **مبارك الميلي** : المصدر نفسه . ص 202 – 203 و 233

وقضاء الحاكم عليه بشفاعة وجيهة عنده ، كان المجرم في الآخرة قد ينجو من عذاب الله بشفاعة نبي أو ملك أو ولي ، وهو قياس فاسد نقلا وعقلا ، أما النقل فما تقدم من نفي الشفاعة لمن يرجوها من غير الله بغير سببها المشروع ، وأما العقل فإن كل مؤمن بالله يعتقد أنه محيط بكل شيء علما وأنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن ، وأنه يفعل حكمة ورحمة لا رغبة ورهبة ، وملوك الدنيا يجهلون كثيرا من أحوال قصورهم فضلا عما نئى عنهم ويريدون الشيء ثم يرجعون عنه ، ويرغبون في إرضاء أعيان دولتهم ويرهبون إسخاطهم"[443]

ويوظف الخطاب الإصلاحي الأمثال الشعبية ، ويشرحها : قال الشيخ مبارك بعدما أورد حديثا لرسول الله عن رجل دخل النار في تقديم ذباب لصنم : "وهذا كالمثل العام المشهور "أداها بوحجر" ، يعنون أخذ الولاية أبو حجر" ، ثم أردف قائلا :"مثل عامي ؛ ويذكرون أن قائله أحمد الزواوي دفين الجبل غربي قسنطينة ، وأحد شيوخ الطريقة الحنصالية من فروع الطريقة الشاذلية ، قاله لرجل عديم جاء مع الزوار ، فلما انتهى إلى أصل الجبل حمل معه حجرا وصعد يلهث به ، فلما قدم الناس الأموال للشيخ الزواوي ، قدم له هو ذلك الحجر" ، ويورد الشيخ مبارك أمثالا شعبية شعرية ، نحو قوله : " وقال شاعر عامي يخاطب الشيخ عبد القادر الجيلالي من قصيدة :

يا لعرج ولدام الخير يا سيدي نيف عليه وانحزنك وندير السير الى ما درت مزية"[444]

---

[443] - **مبارك الميلي** : رسالة الشرك ومظاهره . ص 211 - 212

[444] - **مبارك الميلي** : المصدر نفسه . ص 233 و 281

د - الاحتجاج بالشعر في شرح الألفاظ :

يعدّ الاحتجاج بالشعر في تفسير الألفاظ وشرحها من أقدم صور الاحتجاج اللغويّ عند العرب ، إذ (روي أن عمر بن الخطاب تساءل عن معنى قوله تعالى : ﴿ أو يأخذهم على تخوّف ﴾ [445] ، فقام شيخ من هذيل ، فقال : هذه لغتنا يا أمير المؤمنين ، التخوف التنقص ... قال عمر : فهل تعرف العرب ذلك في أشعارهم ؟ ، قال : قال شاعرنا أبو كبير الهذليّ :

تخوّف الرّحل منها تامكا قَرِدا كما تخوّف عود النبعة السّفن

فقال عمر : "أيّها الناس عليكم بديوانكم شعر الجاهلية فإن فيه تفسير كتابكم ، ومعاني كلامكم")[446] ، ثمّ أصبح الاحتجاج بالشعر حجة فيما أشكل من غريب القرآن والحديث ، حيث وصفه ابن فارس بقوله : (والشعر ديوان العرب وبه حفظت الأنساب وعرفت المآثر ومنه تعلمت اللغة ، وهو حجة فيما أشكل من غريب كتاب الله ، وغريب حديث رسول الله ، وحديث صحابته)[447]

ويسير الخطاب الإصلاحي على نهج الاحتجاج بالشعر ، إذ يورد معاني المصطلحات والألفاظ لغة واصطلاحا ، فيحتج بالأبيات الشعرية التي تدعم تلك المعاني ، ومن ذلك قول الشيخ مبارك في شرح معنى النسك : " وفي الصحاح : نسكت الشيء : غسلته بالماء وطهرته ، فهو منسوك ، سمعته من بعض أهل العلم ، ثم أنشد :

ولا تنبت المرعى سباخ عراعر ولو نسكت بالماء ستة أشهر"[448]

---

[445] - **سورة النحل** : آية 47

[446] - **أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبيّ** : الجامع لأحكام القرآن . دار الكاتب العربيّ للطباعة والنشر ، القاهرة ، ج10 ، ص110

[447] - **أحمد بن فارس** : الصاحبيّ في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها ، تحقيق : السيد أحمد صقر . مطبعة عيسى البابي وشركائه ، القاهرة ، ص467

[448] - **مبارك الميلي** : رسالة الشرك ومظاهره . ص 84

ومما يلاحظ على الشيخ مبارك في هذا الجانب احتجاجه بأبيات غير منسوبة ، والاكتفاء بقوله : "قال الشاعر" ، أو "أنشد" ، أو "قال آخر" ، أو "قال الراجز" ، ونحو ذلك من العبارات التي تخل بالشاهد اللغويّ ؛ (ذلك أنّه لا يجوز الاحتجاج بشعر أو نثر لا يعرف قائله ، خوف أن يكون لمولد ، أو من لا يوثق بفصاحته ، على حدّ قول السيوطيّ)[449]

ومن احتجاجه بأبيات غير منسوبة إلى ناظميها ، قول الشيخ مبارك في المعنى اللغوي للكرامة : "وقابل الشاعر الكرامة بالمساءة ، ثم يحتج بقول الشاعر :

جزاني الزهدمان جزاء سوء وكنت المرء يجزى بالكرامة

ومثال آخر ، عندما أورد كيف تكون الكرامة عند العامة قال : "...وصاحوا في وجه من نكر عليهم هذا المعنى منشدين : وأثبتن للأوليا الكرامةْ ومن نفاها فانبذن كلامه

وقال في المعنى اللغوي للرقية : "قال الراجز :

لقد علمت – والأجل الباقي- أن لا ترد القدر الرواقي

ويحتج الشيخ مبارك بالشعر في تبيان شرح ما أشكل من لفظ القرآن ، يقول (في اتحاد الرقية والعزيمة عند شرح قوله تعالى ﴿ كلا إذا بلغت التراقي وقيل من راق ﴾ ؛ ويكون المعنى كما قال الشاعر :

هل للفتى من بنات الموت من واقي أم هل له من حمام الموت من راقي

ثم قال : وهذا المعنى للآية أحد قولين فيها نظمهما الديريني في رجزه التيسير بقوله :

وقيل من راق لمن يرقيه من الرقى لعلّه يسقيه

وقيل من يرقى من الملائكه بالروح هل ناجية أم هالكه)[450]

---

[449] - **جلال الدين السيوطي** : الاقتراح في علم أصول النحو، تحقيق وتعليق أحمد سليم الحمصي ومحمد أحمد محمد قاسم ، مطبعة الفيصليّة ، 1988م ، ط1 ، ص55

[450] - **مبارك الميلي** : رسالة الشرك ومظاهره . . ص 119 و 122 و 153 و 155

وينوّع الشيخ مبارك في الاحتجاج بالشعر بين شعراء العصر الجاهلي والأموي ، وغيرهما ، ومثال الاحتجاج بالشعر الجاهلي ، قوله في ذكر معنى الوسيلة الوارد في آية المائدة : "وعبارة ابن عباس أنها الحاجة ، وأنشد قول عنترة :

إن الرجـــــال لهم إليك وسيلة أن يأخذوك تكحلـي وتخضبـي

ومن أمثلة احتجاج الشيخ مبارك بالشعر الأموي ، قوله في معنى النشرة وحكمها : "وتطلق النشرة على السحر كما في معالم السنن عن الحسن ، وأنشد لجرير :

أدعوك دعوة ملهـوف كأن به مسًّا من الجن أو ريحا من النشر)[451]

و نشير إلى أن بعض اللغويين قد عدّوا جريرا من المولدين ، إذ كان يقول الجاحظ : (لقد حسن هذا المولد حتى لقد هممت أن آمر صبياننا برواية شعره ، يعني بذلك جريراً)[452]

و يستشهد أحيانا أخرى بشطر بيت فقط ، كما أنه يأتي بالشعر دليلا مع الأدلة القرآنية والنبوية ، نحو تبيانه الفرق بين العبادة والطاعة ، فأورد قوله تعالى : ﴿ يا أبت لا تعبد الشيطان ، إن الشيطان كان للرحمن عصيا ﴾ ، ثم أورد قول الأعشى : ولا تعبد الشيطان والله فاعبد " [453]

ويستدل الشيخ مبارك بالبيت الشعري على وجود التضاد في الكلمة الواحدة على حسب استعمالها في السياق ، فيبين التضاد الحاصل في اللفظة الواحدة في سياقين مختلفين ، ومن هذا التضاد قوله في معنى الغفارة : "بمعنى سيدي كما تطلق العرب المولى على الأعلى والأدنى معا ، قال الشاعر :

ولن يتساوى سادة وعبيدهم على أن أسماء الجميع موالي [454]

---

[451] - **مبارك الميلي** : رسالة الشرك ومظاهره. ص 186 و 238

[452] - **البيان والتبيين** : أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ، تحقيق وشرح عبد السلام هارون . دار الفكر ، د ت ، ط 4 ، ج1 ، ص321

[453] - **مبارك الميلي** : المصدر السابق . ص 82

[454] - **مبارك الميلي** : المصدر نفسه . ص 251

كما يستدل الشيخ مبارك على الترادف بين اللفظتين ، فيبين الاجتماع الحاصل بينهما ، نحو قوله في معنى الخفارة واجتماعها مع الغفارة : "قال الأصمعي وكذلك خفرته تخفيرا . وأنشد : لأبي جندب الهذلي : يخفرني سيفي إذا أخفر [455]

ولا يكتفي الشيخ مبارك بتعريف اللفظة التي تشكل أساس الموضوع فحسب ، إنما يزيد عليها بشرح البيت الشعري الذي وردت فيه ، ويشرح معنى كل لفظة وردت في ذاك البيت ، الذي استشهد به ، ومثال ذلك أن استشهد على معنى العتيرة بقول الحارث بن حلزة في معلقته :

عننا باطلا ، وظلما ، كما تعـ تر عن حجرة الربيض ، الظباء

ثم يشرح ألفاظ بيت الحارث بن حلزة كلها [456]

ويبدو الشيخ مبارك خبيرا بعلم العروض وموسيقى الشعر حين حدد بحر أبيات ابن عرصون ، وعلق على البيت السادس ، قال بان المنظوم في أبيات لابن عرصون هو من مشطور الرجز ، وفي منظومه أخطاء عربية ، والشطر السادس منها غير مستقيم الوزن ولا ظاهر المعنى ، ولكننا لم نرها في غير تلك الحاشية وأحببنا إيرادها فها هي كما هي :

وقرعة النساء والرجـــــال وأخذ مصحف لأجل الفال

و الخط و الجزم الصغير والكبير من الكهانة ووزرهم كبير

فاعلهم مجرح الشهـــــادة ولا يوم لها على السمادة

وما به اكتسبه حـــــرام نص على ذا كله الأعلام

وكل من يسمع كاهنـــا فقد عصى إله ، ودينـه فقد

لا يعلم الغيب سوى الله العظيم سبحـانه جل إلهنا العليم [457]

---

[455] - **مبارك الميلي** : رسالة الشرك ومظاهره . ص 253

[456] - **مبارك الميلي** : المصدر نفسه . ص 87

[457] - **مبارك الميلي** : المصدر نفسه . ص 140

ويورد الشيخ مبارك المثل والحكمة بالشعر ، نحو قوله في شفاعة المخلوق إلى مثله : "وضـــابط السيئة ما كانت في الشر والفساد ، كالشفاعة عند الحكام لتعطيل الحدود الشرعية ، وعنـــد الحـــانوي ليسقي من كان على مثل حال القائل :

فكيف لنا بالشرب إن لم يكن لنا دارهم عند الحانوي ولا نقد [458]

كما نراه حينا يختم بالشعر ختم الحكمة ، فها هو مثلا في شمول الدعوة إلى الكتاب والسنة إلى سائر الكتب والعلوم ، يقول : " والمكابر يتمثل بقول الشاعر :

وقد تنكر العين ضوء الشمس من رمد وينكر الفم طعم الماء من سقم

وقال في أدلة سد الذرائع : "ولقد أصاب من قال :

إن السلامة من سلمى وجارتها أن لا تحل على حال بواديها

وقال في حكمة مدح الفال وذم الطيرة : "ومما قاله الشعراء في هذا الباب قول لبيد :

لعمرك ما تدري الطوارق بالحصى ولا زاجرات الطير ما الله صانع

تعلـــــــــــم انه لا طير إلا على متطير وهو الثبـــــــــور

الرجز والطير والكهان كلهمـــو مضللون ، ودون الغيب أقفـــال

وقال في القول باستحسان الزردة وما يرد عليه : " فيا ليتها أبقت علينا ديننا فتمثلنا بقول من مضى : إذا أبقت الدنيا على المرء دينه فما فاته منها فليس بضائر

ويقول الشيخ مبارك في ما يسأل عنه غدا : "ويرحم الله القائل :

كلام الله عز وجل قولي وما صحت به الآثار ديني [459]

ويجعل أبيات الشعر التي يستشهد بها ترجمانا لخطابه الوعظي ، فيختار الأبيات الشعرية للتعـــبير عن نصائحه ، يقول مثلا في إثر الحكاية عن المجاوي والونيسي : " ولقد نصح من قال :

ولدتك ، إذ ولدتك أمك بـــاكيا والقوم حولك ، يضحكـــون سرورا

فاعمل ليوم تكون فيه إذا بكـــوا فـــي يـــوم موتك ضاحكا مسرورا [460]

---

[458] - **مبارك الميلي** : رسالة الشرك ومظاهره . ص 202 – 203

[459] - **مبارك الميلي** : المصدر نفسه . ص 42 و 99 و 143 – 144 و 283

ويختم الشيخ مبارك في علة الانحطاط الحاضر بنصائح يوردها في أبيات من الشعر :

رأيت الذنوب تميت القلوب وقد يورث الذل إدمـــانها

وترك الذنوب حياة القلوب و خير لنفسك عصيـــــانها

ثم يقول : وتلك هي التقوى التي قال فيها ابن المعتز :

خل الذنوب صغيـــــــرها وكبيـــــــرها ذاك التقى

واصنع كمـــــاش فوق أر ض الشوك يحذر ما يرى

لا تحقرن صغيـــــــرة : إن الجبـــــال من الحصى [461]

و عند قراءة الأبيات التي يستعملها الخطاب الإصلاحي ، نجد له سمات يتصف بها في الاحتجاج بالأبيات الشعرية ، منها عدم التحرج من معنى البيت ، إذ الهدف هو إيصال الفكرة إلى القارئ ، فها هو مـــثلا يقول في التشنيع بدعوة الاجتهاد : "...ولكنه بهتان مضلل وتعبير يصدق عليه قول الأول :

وعيرها الواشون أني أحبها وتلك شكاة ظاهر عنك عارها [462]

ويتمثل الشيخ مبارك بالأبيات الشعرية من المنظومة الشعرية العلمية ، إذ يورد أبياتا من المـــتن المنظوم الذي يشرح الفقه ويعلمه ، قال في التفرقة بين الجاهل والعالم في مقام الاحتيـــاط : " فتـــرى الفقهاء يكرهون للجاهل دون العالم الاقتصار على غسلة واحدة ، فيما يطلب تثليثه خشية أن تبقى بـــه لمعة ، قال ناظم :

وكرهوا واحدة في الغسل إلا لعالم كذا في النقل [463]

---

[460] - **مبارك الميلي** : رسالة الشرك ومظاهره . ص 56

[461] - **مبارك الميلي** : المصدر نفسه . ص 104

[462] - **مبارك الميلي** : المصدر نفسه . ص 4

[463] - **مبارك الميلي** : المصدر نفسه . ص 200

وقال في شروط الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر : واختلفوا في شرط رابع وهو ظن الإفادة ، فاعتبره من قال :

معرفة المنكر و المعروف والظن في إفادة الموصوف
والأمن فيه من أشد النكر كقتل شخص في قيام الحمر [464]

وعندما تتحرك عاطفة الشيخ مبارك لأمر جلل ، نراه ينقل الشعر ليعبر عن تلك العاطفة ، يقول مثلا في أقسام الشرك وأحكامها : "نعوذ بالله من جملة الشرك ، وتفاصيله قويه وضعيفه ، جليه وخفيه ، ثم يردف قائلا :

إن الأمور دقيقها مما يهيج له العظيم

ويقول في صفة العزيمة في أهل زمانه : فترى المعزم يتلو القرآن بلسانه ، ويهوي إلى لمس الصريعة بأركانه ، ويتحرق لبلوغ أمنيته منها بجنانه ، ثم يورد مباشرة هذا البيت تعبيرا عن ألمه الشديد وأسفه البالغ لما يفعله المعزم :

فهو كالجزار فينا يذكر الله و يذبح [465]

ويستشهد بالشعر ، للإخبار عن عقيدة العرب في الماضي ، إذ يؤكد حقائق الاعتقاد في الأمم السالفة ، فيستشهد بشعرهم ، يقول عن عقيدة العرب في الله وصفاته : "وأما عقيدتهم في علم الله والبعث ، فقال زهير في معلقته :

فلا تكتمن الله ما في نفوسكم ليخفى ، ومهما يكتم الله يعلم
يؤخر فيوضع في كتاب ، فيدخر ليوم حساب ، أو يعجل فينقم [466]

ولا يكتفي الشيخ مبارك بالاستشهاد بالأبيات الشعرية ، بل يزيد عليها بتوضيح كيفية بناء تلك الأبيات وإعرابها ، فيقول : "والله في الموضعين من البيت الأول منصوب ، ويكتم وما بعده من الأفعال ،

---

[464] - **مبارك الميلي** : رسالة الشرك ومظاهره . ص 291
[465] - **مبارك الميلي** : المصدر نفسه . ص 63 و 160
[466] - **مبارك الميلي** : المصدر نفسه . ص 79

مبنية للنائب ما عدا يعلم وينقم آخر البيتين ، وتقدمت صيغة تلبيتهم المحددة لوثنيتهم" [467]

ويقول في ذكر صور العبادة عند العرب : " ومن ضروب عبادتهم لها ، الحالف بها ، قال أوس بن حجر :

وباللات والعزى ، ومن دان دينها وبالله ، إن الله منهن أكبر

ويورد الأبيات التي تذكر أسماء الأصنام ، فقال : وكان من أصنامهم نهم ، بضم فسكون يسدنه رجل يسمى خزاعى بن عبد نهم ، من مزنية فلما سمع بالنبي ثار إلى الصنم فكسره ، وأنشأ يقول :

ذهبت إلى نهم لأذبح عنده عتيرة نسك كالذي كنت أفعل
فقلت لنفسي حين راجعت عقلها أهذا إله أبكم ليس يعقل
أبيت . فديني اليوم دين محمد إله السماء الماجد المتفضل

ثم يورد : " وقال أحد الكلبين ، وقد مر بصنم يدعى سعيرا بالتصغير :

نفرت قلوصي من عتائر صرعت حول السعير تزوره لبنا يقدم
وجموع يذكر مهطعين جنابه ما إن يحير إليهمو يتكلم

ويذكر من أنكر عبادة الأصنام : "ومن العرب من أنكر عبادة الأصنام ، قبل الإسلام ، منهم زيد بن عمرو بن نفيل ، قال :

تركت اللات والعزى جميعا كذلك يفعل الجلد الصبور
و لا هبلا أزور وكان ربا لنا في الدهر إذ حلمي صغير [468]

ويقول في تعليق التميمة: " وتعليق التمائم من فعل الجاهلية ، كانوا يعتقدون أنه يدفع عنهم الآفات ، قال أبو ذؤيب الهذلي :

وإذا المنية أنشبت أظفارها ألفيت كل تميمة لا تنفع

---

[467] - **مبارك الميلي** : رسالة الشرك ومظاهره . ص 79

[468] - **مبارك الميلي** : المصدر نفسه . ص 86 - 88

وقال امرؤ القيس :

فمثلك حبلى قد طرقت ومرضع فألهيتها عن ذي تمائم محول [469]

كما يستشهد الشيخ مبارك بالشعر للإخبار بعقائد الناس في زمانه ، إذ يلخص تلك العقائد في التمثيل بأصحاب الطرق ، فيقول مثلا في ضروب من الكهانة : " وذكر ابن الحاج في كتاب التصوف من حاشيته على صغير ميارة ، ضروبا من الكهانة بعضها منظوم في أبيات لابن عرصون ... :

وقرعة النساء والرجال وأخذ مصحف لأجل الفال
و الخط و الجزم الصغير و الكبير من الكهانة ووزرهم كبير
فاعلهم مجرح الشهادة ولا يوم لها على السمادة
وما به اكتسبه حرام نص على ذا كله الأعلام
وكل من يسمع كاهنا فقد عصى إلهه ، ودينه فقد
لا يعلم الغيب سوى الله العظيم سبحانه جل إلهنا العليم [470]

ويكشف الشيخ مبارك علة الفساد في الطرقية ، ويحذر من خطرها ، ويبين صحيح العقيدة ، إذ يكشف بالشعر ، خطورة أصحاب الطرق ، فيقول مثلا في استلاب الطرقيين للأموال : "ومن نظم الزمخري :

إني على ما أراكم لا أحذركم معرة اللص والأكراد والفسقه
لكني أحذركم من ينبري لكمو في هيئة الزهد لكن همه السرقه
صلاته الرمح والسبيح أسهمه وصومه سيفه والمصحف الدرقه [471]

---

[469] - **مبارك الميلي** : رسالة الشرك ومظاهره . ص 161

[470] - **مبارك الميلي** : المصدر نفسه . ص 140

[471] - **مبارك الميلي** : المصدر نفسه . ص 282

ويقول في أصناف المحاربين لدعوة جمعية العلماء : " وقد قيل :

وهل أفسد الدين إلا الملـــوك و أحبار سوء ورهبـــــانها [472]

ثم يبين الشيخ مبارك بالشعر أيضا أهمية لفظة (الشيخ) وصفاته التي يتحلى بها حتى يستحق أن يسمى كذلك ؛ أي شيخا ، وهو يستشهد بهذه الأبيات ، لينكر على شيوخ الطرق أفعالهم ومنكـــراتهم التي يأتونها ، قال : " قال الشريشي :

و للشيخ آيات ، فإن لم تكن له فما هو إلا في ليالي الهوى يسري

إذا لم يكن لديه علم بظـــاهر ولا باطن فاضرب به لجج البحر

و إن كان إلا أنه غير جـــامع لوصفهمـــا جمعا على أكمل الأمر

فأقرب أحوال العليل إلى الردى إذا لم يكن منها الطبيب على خيـــر

وقد نصح ابن عاشر باستصحاب الشيخ وبين صفته وفوائد صحبته ، فقال :

يصحب شيخا عارف المســـالك يقيه في طريقه المهـــالك

يذكـــــــــــره الله إذا رآه ويوصل العبد إلى مولاه [473]

ويورد قصيدة "إلى الدين الخالص" ، للشيخ الطيب العقبي كاملة ، ومطلعها :

مـــــاتت السنة في هذي البلاد قبر العلم وســـاد الجهل ســـاد

وفي القصيدة ذكر لأنواع من البدع :

كم بنوا قبرا وشـــــادوا هيكلا وارتضوا في سيرهم ذر الرماد

عبد الكل هواء شيخـــــــــه جده ضلوا وضل الاعتقـــــــاد

لست من قوم على أصنـــامهم عكفوا يدعونها فـــــي كل نـــاد

لا أسوق الهدي قربـــــانا له زردة يدعـــــونها أهل البـــــلاد

وفيها إنكار شديد لتلك البدع :

إننـــــي ألعنهم ممـــــــا بدا حاضر فـــي أفكه منهم وبـــاد

وأنا خصم لهم وأنكـــــــــرهم كيفما كانوا جميـــــعا أو فراد

---

[472] - **مبارك الميلي** : رسالة الشرك ومظاهره . ص 269

[473] - **مبارك الميلي** : المصدر نفسه . ص 275

وفيها الوعيد والتخويف بيوم القيامة :

لست منهم لا ولا مني همـــــو ويلهم يـــا ويلهم يوم المعـــــاد
يوم يأتي الخلق في الحشر و قد نشروا نشـــر فراش وجـــراد
يوم لا تنفعهـــــــــــم معذرة ولظى مأواهم بئس المهـــــــاد

وفيها تبيان لمنهج المصلحين :

مذهبي شرع المصطفـــــــى واعتقـــــادي سلفـــي ذو سداد
خطتـــــــي علم وفكر ونظر في شؤون الكون بحث واجتهاد

وفيها النصيحة بالتقى :

إنني أنصحكـــم نصح امرئ ما له غير التقـــى والخوف زاد

وفيها اتكال وإخلاص لله رب العالمين :

مخلصا له دينـــــي ممتثلا أمره لا أمر من زاغ وحـــــاد
حسبي الله وحسبـــــي قربه علمـــه رحمته فهو المـــــراد [474]

ويستشهد الشيخ مبارك بضروب العبادة الصحيحة ، فيعطي أنموذجا شعريا يبين فيه الطريقـــة الصحيحة للتوسل ، ومنه التوسل بصفات الله ، فقال : "... ومنها الأبيات المشهورة المنســـوبة لابـــن القاسم السهيلي ومطلعها :

يا من يرى ما في الضمير ويسمع أنت المعد لكل مـــــــا يتوقع [475]

ويقول في التوسل بالإيمان : " ومنها قول تميم بن المعز بن باديس الأمير الصنهاجي المالكي :

فكرت في نار الجحيم وحرها يا ويلتاه ولات حين منـــــاص
فدعوت ربي أن خير وسيلتي يوم المعاد شهـــــادة الإخلاص [476]

ويقول في التوسل بالعمل الخاص : " ومنها قول محمد بن عبد الله العبدري المالكي :

---

[474] - **مبارك الميلي** : رسالة الشرك ومظاهره . ص 284 - 288
[475] - **مبارك الميلي** : المصدر نفسه . ص 188
[476] - **مبارك الميلي** : المصدر نفسه . ص 189

توسلت يا ربي بأني مؤمـــــن وما قلت إني سامع ومطيـــــع
أيصلى بحر النار عاص موحد وأنت كريم والرسول شفيـــــع [477]

ويقول في تأويل ما ورد في التوسل بالجاه : " وقد أصاب من قال :

ما للعبـــــاد عليه حق واجب كلا ولا سعي لديه ضـــــائع
إن عذبوا فبعدله أو نعمـــــوا فبفضله ، وهو الكريـــم الواسع [478]

ويقول في زيارة التبرك : " وقال ابن عاشر :

وسر لقبر المصطفـــــى بأدب ونيـــــة تجب لكل مطلـــب
سلم عليه ثم زد للصديـــــــق ثم إلى عمر نلت التوفيـــــق
و اعلم بأن ذا المقام يستجـــاب فيه الدعاء فلا تمل من طلاب [479]

و يأتي الشيخ مبارك بالأبيات العديدة يقوي بها المعاني الشريفة التي يدعو إليها ، كما يـــورد في تفضيل علم الكتاب والسنة قول الشاعر :

إن العلـــــوم وإن جلت محاسنـــــــها فتاجها ما به الإيمان قد وجبـــــا
هو الكتاب العزيـــــــز الله يحفظـــــه وبعد ذلك علـــــم فرج الكربـــا
فذاك فاعلم حديث المصطفى فبـــــــه نور النبوة سن الشرع والأدبـــــا
وبعد هذا علوم لا انتهاء لهـــــــــــا فاختر لنفسك يا من آثر الطلبـــــا
والعلم كتر تجده في معـــــــــــادنه يا أيها الطالب ابحث وانظر الكتبـــا
واتل بفهم كتـــــــــاب الله فيه أنت كل العلوم تدبره تر العجبـــــــا
واقرأ هديت حديث المصطفـــى وسل مولاك ما تشتهي يقضي لك الأربـــا
من ذاق طعما لعلم الدين سر بـــــه إذا تزيد منه قال واطربـــــــا [480]

---

[477] - **مبارك الميلي** : رسالة الشرك ومظاهره . ص 190
[478] - **مبارك الميلي** : المصدر نفسه . ص 196
[479] - **مبارك الميلي** : المصدر نفسه . ص 226
[480] - **مبارك الميلي** : المصدر نفسه . ص 47 - 48

ثانيا : منهج الشيخ مبارك الميلي في تأليف رسالة الشرك ومظاهره :

إن (الثروة العلمية الهائلة والمنهج العلمي الراقي اللذين يتميز بهما كتاب : "رسالة الشرك ومظاهره" ، قد استوحاهما الشيخ مبارك الميلي من ثقافته الواسعة واطلاعه الجيد على المراجع والمصادر)[481] ، إذ ذكر الشيخ مبارك لقرائه على صفحات جريدة الشهاب بأنه قد (نقل فيها من نحو مائة كتاب معتبر)[482] ، ووجدنا في قائمة مصادر الرسالة في طبعتها الأولى سنة 1937م ، أن قائمة المصادر والمراجع المثبتة في آخر صفحات الكتاب هي 108 كتابا ، مصنفة إلى ستة أصناف ، الصنف الأول لكتب متن اللغة وفقهها وأدبها ، بمجموع 10 كتب ، والصنف الثاني لكتب التفسير وأحكام القرآن بمجموع 15 كتابا ، والصنف الثالث لكتب الحديث وفقهه ورجاله بمجموع 33 كتابا ، والصنف الرابع لكتب العقائد والمقالات وتهذيب الأخلاق بمجموع 22 كتابا ، والصنف الخامس لكتب الفقه وقواعده وأصوله بمجموع 15 كتابا ، والصنف السادس والأخير لكتب التاريخ والسير والتراجم بمجموع 13 كتابا [483].

ويمزج الشيخ مبارك في تأليفه لرسالة الشرك ومظاهره بين المنهج اللغوي والمنهج السلفي "الأصولي" والمنهج التاريخي [484]

أ - المنهج اللغوي :

يعتمد الشيخ مبارك الميلي في خطابه الإصلاحي على المنهج اللغوي ، إذ يرجع في هذا المنهج إلى أكابر علماء اللغة ، مثل الجوهري والفيومي ، والفيروز آبادي ، والزمخشري ، والعسكري ، والأصفهاني ، وغيرهم ، وله تحليلات لغوية بديعة لمعظم المصطلحات التي يستعملها في كتابه الموسوم

---

[481] - **عبد اللطيف عبادة** : الشرك ومظاهره عند الشيخ مبارك الميلي وشيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن تيمية ، دراسة مقارنة . مجلة الثقافة ، عدد 85 ، ص 121

[482] - **فوزية لوصيف** : التجديد في الفكر العقدي عند الشيخ مبارك الميلي ، دراسة في رسالة الشرك ومظاهره ، رسالة ماجستير ، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية ، نوقشت في 2004 ، ص 176

[483] - **مبارك الميلي**: رسالة الشرك ومظاهره . ص331- 337

[484] - **عبد اللطيف عبادة** : المرجع السابق ، ص 127

"رسالة الشرك ومظاهره" ، كالشرك والعبادة والتبرك والولاية والكرامة والكهانة والسحر والدعاء والوسيلة والشفاعة ، وغير ذلك ، ولا يكتفي الشيخ مبارك بمجرد النقل ، بل يستشهد ويحلل ، ويوفق ويناقش ويعترض ، ويقترح الآراء السديدة في كل المواضيع اللغوية التي يخوض فيها ، وكثيرا ما يستوحي هذه الآراء السديدة من بلاغة القرآن وفصاحة محمد)[485] ، إذ إن الشيخ مبارك في تعريف الألفاظ التي تشكل لبّ الموضوع (يرجع إلى مصادر لغوية نفيسة ، مثل تاج اللغة وصحاح العربية لأبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري "ت 393 هـ" ، والمصباح المنير لأحمد بن محمد الفيومي "ت 770هـ" ، والقاموس المحيط للفيروز آبادي "ت 817 هـ" ، وأساس البلاغة للزمخشري "ت 538 هـ" ، والفروق اللغوية لأبي الحسن العسكري "ت 395 هـ" ، والمفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني ، ونظم التيسير في علوم التفسير لعبد العزيز الدريني "ت 699 هـ" ، وشرح المعلقات السبع للزوزني "ت 496 هـ" ، وشرح القصائد العشر للتبريزي "ت 502 هـ" ، كما يرجع في رسالته "الشرك ومظاهره" إلى أشهر كتب التفسير وأحكام القرآن منها تفسير ابن كثير ، والكشاف للزمخشري والتفسير الكبير لفخر الدين الرازي ، والجواهر الحسان لعبد الرحمن الثعالبي ، وفتح القدير للشوكاني ، وتفسير المنار للسيد رشيد رضا ، وتفسير جزء عم لمحمد عبده ، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ، وأحكام القرآن للجصاص ، وأحكام القرآن لأبي بكر بن العربي ، ويرجع أيضا إلى كتب الحديث والفقه وعلوم الدين والتاريخ المشهورة مثل الموطأ ، وصحيح البخاري ، وصحيح مسلم ، وشرح المنتقى لسليمان الباجي ، وشرح الموطأ للزرقاني ، وفتح المجيد بشرح كتاب التوحيد لعبد الرحمن بن عبد الوهاب ، والدرر المنثور للسيوطي ، والصغرى للشيخ السنوسي ، وترجيح أساليب القرآن على أساليب اليونان للصنعاني ، والفتاوي الحديثة للهيتمي ، والعقيدة السلفية لأبي جعفر الطحاوي ، وفتح الباري للحافظ بن حجر العسقلاني ، ومستدرك الحاكم ، وسيرة الحسن البصري لأبي فرج ابن الجوزي ، ورسالة التوحيد لمحمد عبده ، ورسالة البدع والنهي عنها لابن وضاح ، وتفسير ابن

---

485 - **عبد اللطيف عبادة** : الشرك ومظاهره عند الشيخ مبارك الميلي وشيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن تيمية ، دراسة مقارنة . مجلة الثقافة ، عدد 85 ، ص 121 ، ص 127 - 128

عباس ، والفهرست لابن النديم ، وأخبار مكة للأزرقي ، وسيرة ابن هشام ، والاعتصام والموافقات للشاطبي ، وجامع العلوم والحكم لابن رجب ، ورسالة القشيري ، وفروق القرافي ، وسنن النسائي ، وكشف الخفاء للبيهقي ، وبلوغ الأرام في أدلة الأحكام للحافظ بن حجر العسقلاني ، وتحفة الذاكرين للشوكاني ، والمقدمات لابن رشد ، ونور الاقتباس في وصية النبي لابن عباس ، ورسالة التوسل والوسيلة لابن تيمية ، وصيانة الإنسان للسهسواني ، والمعجم الكبير والمعجم الأوسط للطبراني ، والطبقات للذهبي ، والضوء اللامع للسخاوي ، وكتاب حياة الأنبياء للبيهقي ، ومعالم السنن للخطابي ، والحاشية على شرح الرسالة القشيرية للعروسي ، وتذكرة الحافظ للذهبي ، ورسالة الاختلاف في اللفظ لابن قتيبة ، ومقدمة ابن خلدون ، وزاد المعاد لابن القيم الجوزية ، ونيل الأوطار للشوكاني ، ورياض الصالحين للنووي ، ومختصر خليل ، ورسالة أعلام النبوة لأبي إسحاق الأسفراييني ، وطبقات الشافعية لتاج الدين السبكي ، وكتاب الأم للشافعي ، وكتاب الأنواء لابن قتيبة ، والحاشية على صغير ميارة لابن الحاج ، ورسالة الإعلام بقواطع الإسلام لابن حجر الهيثمي ...)[486] .

و (يعود الشيخ مبارك في بيان كل مسألة من المسائل التي طرحها في "رسالة الشرك ومظاهره" إلى أشهر كتب اللغة العربية ، لأنها الوسيلة الوحيدة التي تسمح لنا بإدراك المعاني التي يرمي إليها القرآن والسنة اللذان يخاطبان المسلمين بلسان عربي مبين ، ويكثر استشهاد الشيخ مبارك بما ورد في الصحاح والقاموس والأساس والمصباح والمفردات والفروق ، وهي أهم كتب اللغة ، ثم يستشهد بالقرآن والسنة ، ويرجع في فهمهما إلى كتب التفسير المشهورة ، وبخاصة الكتب المتعلقة بأحكام القرآن ، ككتاب القرطبي ، والجصاص ، وابن العربي ، كما يستشهد كثيرا بالكتب الخاصة بتفسير السنة النبوية الشريفة ، مثل فتح الباري ، وشرح مسلم للسنوسي ، وبكتب أدلة الأحكام من السنة النبوية ، ككتاب الموطأ وشرحه ، وكتاب بلوغ المرام في أدلة الأحكام)[487]

---

[486] - **عبد اللطيف عبادة** : الشرك ومظاهره عند الشيخ مبارك الميلي وشيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن تيمية ، دراسة مقارنة . مجلة الثقافة ، عدد 85 ، ص 121- 122

[487] - **عبد اللطيف عبادة** : المرجع نفسه ، ص 126

ونلاحظ في الخطاب الإصلاحي عند الشيخ مبارك الميلي اعتماده على التسلسل والترابط المنطقي في تقديم الموضوع ، فنجده مثلا في موضوع "كشف معنى الشرك والحديث عن مظاهره" ، يبدأ بالتمثيل لحال الشرك ، مراعيا التسلسل الزمني في ذلك التمثيل ، حتى يكشف لنا عن واقعه بأدق التفاصيل ، وبعد أن نتتبع تلك التفاصيل المتسلسلة ندرك بأن الشيخ مبارك (يتميز بترتيبه البديع وتسلسله المنطقي الرائع)[488] .

ويوضح الشيخ مبارك لقرائه منهجية تقديم الموضوع ، فيقول مثلا في تقسيم موضوع الزيارة والمزارات إلى مباحث : " والكلام على الزيارة وما يتصل بها في سبعة مباحث هي : زيارة الأحياء ، وزيارة الأموات ، وحياة الأرواح ، وعطايا الزوار ، واتخاذ المزارات ، والسفر إليها ، والغرض من الزيارة " ، ويقول في الغرض من مواد بيان رسالة الشرك ومظاهره : "وفيما يلي نثبت أسماء الكتب التي صرحنا بالنقل منها في صلب الرسالة إظهارا للصلة بين كلامنا وكلام المتقدمين ... ونرسم أمام أغلبها تاريخَ طبعه ، ليصحح من شاء نقلها على نفس النسخة المنقول عنها ، وإذا كان الطبع في غير مصر صرحنا بمدينته أيضا ، ونذكر وفيات مؤلفيها تقريرا لاستمرار دعوة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتأكيدا للثقة بهم ، ومن لم نقف الآن على وفاته أثبتنا تاريخ إتمامه لتأليفه إن أرخه"[489]

ونرى الشيخ مبارك كلما أورد قصة ، يعيد توظيفها في موضوع آخر له علاقة بما قد جرى من أحداث تلك القصة ، فيأتي توظيفه مناسبا ، وها هو مثلا بعد أن أورد قصة شرك الكلدانيين والعرب ، يوظفها في الحديث عن موضوع التبرك وسد الذرائع ، فيقول فيمن اعتقد أن ذوات أصحاب الخوارق مصدر للخوارق الحقيقية أو الوهمية ولا يضيفونها إلى الله ، وفيمن يعتقد أن لهم نفوذا في إرادة الله تعالى وتحكما في قدرته سبحانه يستوجبان التوسط بهم إليه في تحصيل ما قصرت عنه الأسباب ، يقول : "ومن اعتقد هذين الاعتقادين ، فقد اعتقد عقيدة الكلدان في الكواكب أو عقيدة العرب في

---

[488] - **عبد اللطيف عبادة** : الشرك ومظاهره عند الشيخ مبارك الميلي وشيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن تيمية ، دراسة مقارنة . مجلة الثقافة ، عدد 85 ، ص 135

[489] - **مبارك الميلي** : رسالة الشرك ومظاهره . ص 215 و 284

الأصنام ، فكان مشركا صرفا ، وإن أشبه الموحدين في شيء من أقوالهم وأفعالهم الدينية" ، ومن الأمثلة أيضا أنه يربط بين حديثه عن أقسام الفعل الثلاثة للمخلوق ، ووثني الكلدانيين ، رغم أن الموضوع الأول كان في فصل ، والموضوع الثاني كان في فصل آخر ، يقول الشيخ مبارك بعد حديثه عن أقسام الفعل الثلاثة للمخلوق : "والحالتان الأوليان ؛ هما المحكيان في الفصل الثامن ، عن وثنيي الكلدانيين " [490] ، وهو بهذا التذكير يربط عناصر الموضوع بعضها ببعض .

ويزيد الشيخ مبارك على ربط المواضيع بعضها ببعض بتذكير المتلقي بما سبق من الشرح في الموضوع الذي يذكره ، نحو قوله في زيارة استطلاع الغيب : " ... وهذا القصد فاسد منهي عنه لما تقدم في فصل الكهانة من التشديد في إتيان الكهان " ، ويقول في زيارة التبرك : "فإن أراد الانتفاع في قبول الدعاء أو زيارة ثواب الطاعة و لم يرتكب في زيارته مخالفة للشرع كان غرضه مشروعا معقولا كما بيناه في الفصل الحادي عشر" ، ويقول في كتابة القرآن للمرضى وقراءته على الموتى : " فأما كتابة القرآن للمرضى ، فقد تقدم في فصل التميمة قول ابن العربي ... ثم يذكر قوله"[491]

ويسترسل الشيخ مبارك في الموضوع ويفصل فيه ، ثم نراه في ثنايا الموضوع يعود إلى إكمال بقية ما كان في موضوعه السابق ، ليربط بين الفصول في الخطاب ، ومثال ذلك قوله : "وقد جرّنا الحديث على الزردات في الفصل السابق إلى نقل أقوال العلماء في نذور العامة ، فأتينا منها بما يكفي ، ولكن لا نخلي هذا الفصل منها فنثبت فيه ما قاله الصنعاني في سبل السلام ، زيادة في المقام ، ثم يورد قوله"[492]

ويتتبع الشيخ مبارك المعاني في الخطاب متفرعا في الكلام ، معتمدا الاستنتاج من اجل استدراج المتلقي للاقتناع ، ومن ذلك قوله في مسألة القراءة على الموتى : "وكان ملخص جوابي فيها أن كلام الله أرفع الكلام وأن تلاوته أفضل الأذكار ، وأن الأذكار من أفضل العبادات ، وأن العبادات لا

---

[490] - **مبارك الميلي** : رسالة الشرك ومظاهره . ص 93 و 123

[491] - **مبارك الميلي** : المصدر نفسه . ص 225 – 226 و 271

[492] - **مبارك الميلي** : المصدر نفسه . ص 250

تكون إلا لله ، وأن الله لا يقبل منها إلا ما وافق شرعه ، وأن قبولها من المغيبات التي نجزم بحصولها " [493]

وينتقي الشيخ مبارك استشهاداته من أقوال العلماء ، فيجعلها نصوصا شارحة كافية ، فلا يزيد عنها بالشرح ، ومن ذلك قوله في تأويل ما في السنة من الإقسام بالمخلوق : "وأما ما ورد في السنة فقد أبدى فيه الخطابي في معالم السنن أربعة أوجه ، وزاد عليه الحافظ في الفتح وجهين آخرين ، ونحن نقتصر على الوجهين الأولين في كلام الخطابي" ، ويقول في تأله الطرقيين ، بعد أن أورد رسالة تحقيق كلمة الإخلاص لابن رجب : "واستشهد لهذه القاعدة بنصوص من الكتاب والسنة تركنا نقلها اختصارا واكتفاء بما قدمناه في الفصول السابقة " [494]

ولا يذهب الشيخ مبارك إلى الترجيح بين النصوص المختلفة إلا إذا كان اختلافها جليا واضحا ، فهو لا يرجح رواية على أخرى إلا إذا كان بينهما بون شديد و فارق عظيم ، وهو لا يرى ضرورة لترجيح أمر على آخر مادام الجمع بينهما ميسورا [495]

إن الشيخ مبارك الميلي دقيق في إصدار الأحكام على الأفعال التي يمارسها الناس في زمانه ، ومن ذلك قوله في تعيين مكان في النذر : "وتلك الاجتماعات عليها للزردات هي من أعياد الجاهلية ، فلو فرضنا أحدا نذر لها شيئا فهو عاص بالوفاء به ، فإن أضاف إليه التقرب من صاحبها فهو مشرك ، وإن عين الناذر مكانا سالما من تلك الزردات وقصد به إعانة الأحياء من أهله تعين عليه الوفاء في ذلك المكان " [496]

---

[493] - **مبارك الميلي** : رسالة الشرك ومظاهره . ص 272

[494] - **مبارك الميلي** : المصدر نفسه . ص 261 و 280-281

[495] - **مبارك الميلي** : المصدر نفسه . ص 77

[496] - **مبارك الميلي** : المصدر نفسه . ص 244

ب - المنهج السلفي (اعتماد الكتاب والسنة) :

إن منهج الشيخ مبارك الميلي (الأصولي شبيه بمنهج زميليه ابن باديس والإبراهيمي)[497] ، يعتمد (على القرآن والسنة أولا)[498] ، ثم يعتمد (على الإجماع والقياس والاجتهاد ، ولا يخرج عن مذهب مالك ، لكن عدم خروجه عن مذهب مالك لا يمنعه من الاستشهاد بمذاهب أخرى ، إذ يرجع الشيخ مبارك إلى (آراء الفقهاء بدءا بمالك والشافعي ، وبخليل صاحب المختصر ، وابن حاج وغيرهم ، ويكثر استشهاده بالإمام أبي إسحاق الشاطبي الغرناطي العلامة المحقق النظار ، صاحب كتاب الاعتصام ، كتاب الموافقات في المسائل الأصولية وفي محاربة البدعة ... كما يكثر استشهاده في مسائل التصوف بإمام أهل السنة القشيري صاحب الرسالة ، وإتباع الشيخ مبارك للمنهج الأصولي سبّب له مشاكل مع الفقهاء الجامدين ، كما كان إتّباع هذا المنهج سببا في معظم المشاكل التي اعترضت الحركة الإصلاحية ككل ، إذ كان دعاة الجمود هؤلاء ، يستهجنون مواقف الحركة الإصلاحية لأنهم - في نظر هؤلاء الفقهاء - يحاولون فتح باب قد أغلق ويحرم فتحه ، وهو باب الاجتهاد ...)[499]

لكن رجوع الشيخ مبارك إلى المذاهب الأخرى يدل على أنه لا يتعصب لمذهب ما ولا يغفله ، بالرغم من كونه يخطو خطوات المذهب المالكي في أمور الدين ، يقول : "ومن الاحتياط القول بسد الذرائع ، وهو مذهب مالك وأصحابه ومروي عن أحمد بن حنبل ، وبهذا الأصل منع المالكية صورا من بيع العينة وبيوع الآجال ... " [500]

---

[497] - **عبد اللطيف عبادة** : الشرك ومظاهره عند الشيخ مبارك الميلي وشيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن تيمية . دراسة مقارنة . مجلة الثقافة ، عدد 85 ، ص 126

[498] - **مبارك الميلي** : رسالة الشرك ومظاهره . ص12- 13

[499] - **عبد اللطيف عبادة** : المرجع السابق ، ص 126- 127

[500] - **مبارك الميلي** : المصدر السابق . ص 98

ويرد الشيخ مبارك على أولئك الفقهاء الجامدين مدافعا عن الاجتهاد بمعناه الصحيح ، فيقول : (وأما نسبتهم دعاة الرجوع إلى الكتاب والسنة إلى دعوى الاجتهاد والغض من مكانة المجتهدين المتبوعين فلم يستندوا فيها إلى شيء ، ولكنه بهتان مضلل ، فالاجتهاد هو : بذل الطاقة من الفقيه في تحصيل حكم شرعي ظني ، ويضيف قائلا : " وأخرجوا - يعني الأصوليين- عند الاجتهاد ما فيه أدلة قطعية ، من القرآن أو السنة أو اتفقت عليه الأمة من جليات الشرع والإجماع " ، ثم يضيف قائلا : " وواضح من هذا أن وزن الاعتقادات والأخلاق بميزان الكتاب والسنة ، والاتعاظ بمواعظهما أبعد شيء عن موضوع الاجتهاد ")[501] .

إن هذه (الإشارات تبين لنا منهج الشيخ مبارك الأصولي المتمثل في : القرآن والسنة ، والإجماع ، والاجتهاد ، كما نراه (يستشهد بالأشاعرة في مسائل أصول الدين ، ولذلك نستطيع أن نقول بأن الميلي بالرغم من اقتدائه بابن تيمية في محاربة البدعة ، ورغم اطلاعه على الكثير من المذاهب الفقهية والكلامية ، وبالرغم من رفضه التعصب المذهبي ، فإنه يبقى مالكيا في تفسير القرآن ، وفي فهم السنة ، وفي أصول الفقه وفروعه ، وأشعريا في أصول الدين وفي التصوف)[502] .

ويتبع الشيخ مبارك الميلي منهج السلف في تضعيف الأحاديث وتقويتها ، ومن أمثلة ذلك قوله : "قال ابن تيمية في رسالة التوسل والوسيلة بعد إيراده قصة اجتماع مالك والمنصور من الشفاء ، وهذه الحكاية منقطعة ، فإن محمد بن حميد الرازي لم يدرك مالكا لاسيما في زمن أبي جعفر المنصور ، فإن أبا جعفر توفي بمكة سنة ثمان وخمسين ومائة ، وتوفي مالك سنة تسع وسبعين ومائة ، وتوفي محمد بن حميد الرازي سنة ثمان وأربعين ومائتين ، و لم يخرج من بلده حين رحل في طلب العلم إلا وهو كبير مع أبيه ، وهو مع هذا ضعيف عند أكثر الحديث ، كذبه أبو زرعة وابن وارة ..." [503]

---

[501] - **مبارك الميلي**: رسالة الشرك ومظاهره . ص 40

[502] - **عبد اللطيف عبادة** : الشرك ومظاهره عند الشيخ مبارك الميلي وشيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن تيمية . دراسة مقارنة . مجلة الثقافة ، عدد 85 . ص 127. ص 127

[503] - **مبارك الميلي** : المصدر السابق . ص 195

وفي مثال آخر من تضعيف الأحاديث ، يقول الشيخ مبارك في لباس الخرقة وإسناد الطريقة ناقلا عن يعض الشيوخ قولهم : " ثم إن من الكذب المفترى قول من قال إن عليا ألبس الخرقة الحسن البصري ، فإن أئمة الحديث لم يثبتوا للحسن من علي سماعا فضلا عن أن يلبسه الخرقة " ، ثم يعلق الشيخ مبارك على ذلك قائلا : "وقد حاول السيوطي في الحاوي إثبات سماع الحسن من علي ، وليس ذلك بأولى من إنكار أئمة الحديث له ، ثم هو لا يثبت الدعوى الخاصة التي هي لباس الخرقة" ، ثم يقول: " وما زال الصوفية يتفننون في وضع الإسناد ليربطوا طرقهم بعظماء الزهاد ، وإن اشتملت على ضروب من الضلال والفساد ، حتى جاء أخيرا أحمد بن سالم التيجاني فاختصر الإسناد وادعى أنه تلقى طريقته من خاتم الأنبياء من غير واسطة " ، ويقول الشيخ مبارك في مثال آخر عند حديثه عن تبليه الطرقيين للناس : "ويذكرون عن النبي أنه قال : لو اعتقد أحدكم في حجر لنفعه ... ولهذا الحديث صيغ وألفاظ ، وكلها كذب لا أصل لها ، إنما هي من آثار عبدة الأحجار كما في كشف الخفاء " [504]

أما عن أساس قبول الرواية أو ردها في الخطاب الإصلاحي ، فنرى أن الشيخ مبارك يرجع إلى الطمأنة النفسية للرواية ، وما يثبت ذلك قوله : "ومصير أصنام قوم نوح إلى العرب ، تقدم عن ابن عباس في الفصل السابع ، و لم نر في وجه ظهور تلك الأصنام في العرب رواية تطمئن النفس" [505]

---

[504] - **مبارك الميلي** : رسالة الشرك ومظاهره . ص 267 و 282

[505] - **مبارك الميلي** : المصدر نفسه . ص 76

ويمكننا أن نحصر المنهج السلفي للشيخ مبارك الميلي في ثلاثة عناصر هي :

1- تقديم الشرع على النقل ، وإتباع السلف الصالح في الفهم والتفسير

2- رفض التأويل الكلامي ، والرجوع إلى القرآن والسنة وتطويع المفاهيم العقلية لهما ، فالعقل عاجز عن الإحاطة بالحقائق التي أوردها الدين ، صادر عن خالق الخلق

3- الاستدلال بالآيات القرآنية ؛ وللقرآن الكريم طريقته في الاستدلال : منها حث الإنسان على النظر في ملكوت السموات والأرض ، وحضه على كشف أسرار مخلوقات الله سبحانه وتعالى [506]

ويظهر ميل الشيخ مبارك الميلي إلى المنهج السلفي واضحا بينا ، إذ يرجع أولا إلى السنة ثم إلى الأئمة المجتهدين ، ونراه يصرح بذلك في قوله : " فنحن بالعقيدة السلفية قائلون ، ولما مات عليه الأشعري موافقون ، وعلى ضابط السبك ناهجون ، وبفتوى الشيخ أبي عبد الرحمن عبد الله بن عمر مقتدون " [507]

ومن اللافت حقاً ، أن يتخذ الخطاب الإصلاحي المنهج السلفي ، في دعوته ونشر أفكاره الإصلاحية ، لتصحيح العقيدة في أذهان الناس ، وإحياء الثقافة الإسلامية الأصيلة ، وقد نشأ هذا الخطاب في بيئة مالكية ، لكن التزام الفكرة السلفية ، لم يكن معناه أبدا تقديسا للماضي وتتريها له ، إذ إن السلفية في الخطاب الإصلاحي ليست تقليدا أعمى لهذا الماضي بكل فكره وسلوكه ، إنما السلفية في الخطاب الإصلاحي هي إتباع منهج الدين الإسلامي ، وما خطه القرآن الكريم والسنة النبوية والسلف الصالح من الفقهاء والعلماء الذين لم يزيغوا عن حقيقة الإسلام ، إلى هوى النفوس وأطماعها المادية ، وليس أولئك الذين باعوا دينهم بعرض من الدنيا قليل ، إذ لم يأخذ الخطاب الإصلاحي الفكرة السلفية إلا من رجال السلف الذين استلهموا من أصول العقيدة الإسلامية اجتهاداتهم جميعها ، وراعوا في ذلك واقع المجتمع وليس واقع البدعة ، (يقول الشيخ مبارك الميلي في الدعوة إلى السلفية : "إننا ندعو إلى

---

[506] - **عبد اللطيف عبادة** : الشرك ومظاهره عند الشيخ مبارك الميلي وشيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن تيمية . دراسة مقارنة . مجلة الثقافة ، عدد 85 ، ص 122 - 123

[507] - **مبارك الميلي**: رسالة الشرك ومظاهره . ص 25

إتباع أسلاف أسلافنا حتى ينتهي إلى صاحب الشريعة عليه الصلاة والسلام ... و لولا البدع لكنا مثل السلف الصالح في مظاهر حياتنا)[508]

إن (السلفية في الجزائر والمغرب العربي بصفة عامة لم تكن قاصرة على الدعوة ضد البدع ، والخرافات فقط ، بل تجاوزتها إلى حث الشعب على العلم ، والدعوة إلى إصلاح شامل ، ومقاومة الجمود في كل فروع الحياة) [509]

ج - المنهج التاريخي :

يسلك الشيخ مبارك الميلي (المنهج التاريخي بصدد حديثه عن الشرك في قوم نوح وعن الشرك في قوم إبراهيم وعن الشرك في الغرب ، ويستند في منهجه التاريخي على القرآن وعلى التفاسير المشهورة وعلى الأخبار المروية عن المسلمين الأوائل ، وعلى كتب التاريخ والسيرة ، فقد ذكر من أهم مصادره كتاب تفسير ابن عباس ، وكتاب أحكام القرآن للجصاص ، وكتاب الزواجر للهيتمي ، وتفسير أبي السعود ، وتفسير المنار لرشيد رضا ، وذكر من كتب التاريخ كتاب طبقات الأمم لصاعد بن احمد ، وسيرة ابن هشام ، وأخبار مكة للأزرقي ، وكتاب فتح الباري للحافظ ، وكتاب التعريف للسهيلي ، ولا يكتفي الميلي في منهاجه التاريخي بسرد الروايات المختلفة بل يخرج منها في غالب الأحيان برأي سديد ، يستند إلى نص صريح من القرآن أو نقل صحيح من السنة)[510] ، وكانت كتب التاريخ التي اعتمدها الشيخ مبارك في رسالة الشرك ومظاهره ، قائمة ثرية جدا ، كيف لا وهو المؤرخ المدقق العارف بالمصادر التاريخية ، وعلى رأس تلك المصادر : "الشفا بحقوق المصطفى" لأبي الفضل عياض ،

---

[508] - **علي بن الطاهر** : مبارك الميلي وجهوده في الحركة الإصلاحية في الجزائر 1897- 1945م . ص 78

[509] - **تركي رابح** : الشهاب - لسان الإسلام والعروبة والوطنية في الجزائر (1925- 1939م) - دورها في نهضة الجزائر الحديثة . مجلة الثقافة ، عدد 81 ، ص 205

[510] - **عبد اللطيف عبادة** : الشرك ومظاهره عند الشيخ مبارك الميلي وشيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن تيمية . دراسة مقارنة . مجلة الثقافة ، عدد 85 ، ص 128

و"السيرة النبوية" لابن هشام ، وكتاب "الأصنام" للكلبي ، و"الفهرست" لابـــن النـــديم ، و"طبقـــات الشافعية الكبرى" للسبكي ، و"معجم البلدان" لياقوت الحموي ، و"البستان" لابن مريم ...[511]

[511] - **فوزية لوصيف** : التجديد في الفكر العقدي عند الشيخ مبارك الميلي ، دراسة الشرك ومظاهره . ص 178

الخـــــــــــــاتمة

الخـــــــاتمة :

احتكم الخطاب الإصلاحي إلى سلطة دينية أخلاقية مستقاة من الخطاب الديني العام ، وجمع بين المضمون واللغة ، فكان بهذا الجمع مثالا عن الثقافة العربية الإسلامية التي لم تكن تفصل بـــين اللفـــظ والمضمون ، ذلك أن الدلالة تنتج عن السياق اللغوي ، ثم إن الخطاب الإصلاحي يقوم على معيـــارين اثنين هما الصدق الفني والأخلاقي ، إذ نبذ الخطاب وحشيّ الكلام والتكلف والتقعر ، والنبذ هو مـــن السمات الدلالية و الجمالية ، كما انه لم يمدح أحدا إلا بما فيه ، واعتمد الخطاب الإصلاحي الصحة في المعنى والتماسك في التركيب .

ومن خلال دراسة خطاب الشيخ مبارك الميلي خرجنا بمجموعة من الافتراضات والملاحظات المنهجية وهي كالآتي :

تمثلت قوة الخطاب الإصلاحي في قدرته على إحداث تواصل ناجح مع المجتمع الجزائري المسلم ، وسر ذلك هو أن حاز على قدر كبير من الإجماع بوساطة استعمال الإقناع بالمنطق والحجة الدامغة ، واستطاع أن يجسد أفكاره على أرض الواقع ، فليس هو خطابا مجردا .

وأصّل الخطاب الإصلاحي المفاهيم الدينية الإسلامية ، إذ كان ينتقل بالمفهوم من صورته المجردة إلى معناه السلوكي .

وقد تحققت معاني المفاهيم حسب ما هدف إليه الخطاب الإصلاحي من خـــلال الأســـلوب الإنشائي المعبر عن استجابات معينة ، كالأمر والنهي ، والوعد والوعيد والتمني والرجاء ، ومن خلال الإخبار المعبر عن التأصيل والتأكيد والتأييد والتعزيز ، إضافة إلى الاستحســـان والرضـــا والاســـتقباح والسخط ، وهذا قد كان بتقديم البراهين والحجج الصادقة غير المغلوطة ولا الضالة المضلة .

وطرح الخطاب الإصلاحي الحجج لأجل هدف الإقناع والمجادلة بالتي هي أحسن ، محاولة منه للوصول إلى تبيان وجه الحق لإتباعه ، ووجه الباطل من أجل اجتنابه .

كما يستخدم الخطاب الإصلاحي بلاغة الخطاب الحجاجية ، فكان يقلب الحقائق ويستدركها بأدوات منها : "لكن" ، "غير أن" ، وهذا ينبيء بتعدد المواقف والآراء في تلـــك المســـألة ويـــؤدي إلى الترجيح ، فالخطاب الإصلاحي كأي خطاب يهدف إلى الإقناع والتأثير من خلال ما يستعمله من حجة

وبرهان ، واستشهاد واستدلال ، لكن الخطاب الإصلاحي يستمد حججه واستشهاده من مرجعية دينية أولها الكتاب وثانيها السنة النبوية الصحيحة والثالثة منهج السلف الصالح .

لقد بقي الخطاب الإصلاحي في الجزائر مرهونا بحامليه في تحقيق نجاحاته على الميدان و لم يكـــن أبدا سجين الفكرة دون العمل ، بل كان يمارس الدعوة الإصلاحية في وعي ورشاد ، يسير إلى القـــرى النائية والأرياف والمدن ، ويستأنس بأهلها وأناسها ، وينير دروب الناس بالسلوك الحضاري الذي يتميز به في الطريق والنوادي والمدارس والبيوت والمساجد ، لقد خدم مشروع الإصلاح فأحسن الخدمـــة ، وأفاد المجتمع الجزائري وأعاد إليه روح العقيدة والتمسك بالثوابت ، والاقتداء بالسلف الصالح .

إن أهم الأساليب الإصلاحية التي سار عليها هذا الخطاب يمكن أن نحصرها في دائرتين هما :

- دائرة العقيدة الإسلامية الصحيحة وارتباطها بالعمل ، وذلك بالدعوة إلى ما كـــان عليـــه السلف الصالح ، من التمسك بكتاب الله عز وجل ، وسنة النبي محمد ، وتصفية الدين مما لحقـــه مـــن زيادات وبدع مختلقة .

- دائرة العلم والمعارف المتعلقة بالشريعة الإسلامية، وما يمكن أن يخدمها من العلوم الأخرى، وقد أولى الخطاب ذلك عناية كبيرة .

إن الخطاب الإصلاحي هو خطاب مؤثر ، بدأ بالنمو في الجزائر الحديثة منذ أن تبنتـــه جمعيـــة العلماء المسلمين الجزائريين سنة 1931م ، إذ وجد أرضا خصبة ليزرع فيها الأفكار الجميلة ، في شعب له اعتقاد ديني راسخ ، وإن زاغ في تلك الفترة بين الحين والآخر .

وقد تفاعل الخطاب الإصلاحي في الجزائر مع النهضة العربية والعالمية والـــتغيرات الاجتماعيـــة والسياسية التي شهدها العالم العربي والإسلامي ، فحقق توافقا كبيرا وسط النخبة الإصلاحية ، ورفع من قيمتها وتأثيرها في المجتمع الجزائري ، بل امتد تأثيره حتى في السلطة الفرنسية المحتلة ، إذ اهتمـــت بـــه وشجعته في بداية الأمر ، فمنذ مطلع القرن العشرين خطت الأمة خطوات عملاقة في طريق الإصلاح ، وحققت إنجازات مهمة ، حيث نهض الخطاب الإصلاحي بالفكر ، ونجح في حفظ هوية الأمة .

وقام الإصلاح في الجزائر - كما هو شأنه في كل العالم حين ينهض - بالحركة الفعالة ضـــد الجمود ، والسير نحو تحقيق الأهداف التي سطرها ، و لم يكن الخطاب الإصلاحي في الجزائر إلا لينهض بالأمة من سباتها ، كيف لا وهو يشهد نهضة أوربية حملت شعارات الحرية والديمقراطية والتقدم منـــذ القرن الثامن عشر .

وبدأ العمل الإصلاحي بمبادرات المصلحين والمفكرين من أمثال محمد بن عبد الوهاب في الجزيرة العربية ، وجمال الدين الأفغاني في مصر والدولة العثمانية ، ومحمد عبده ورشيد رضا في مصر ، وعبـــد الرحمن الكواكبي في الشام ، ومحمد بلحسن بلحجوي وعلال الفاسي في المغرب ، وعبد الحميـــد بـــن باديس والشيخ مبارك الميلي رفقة أعضاء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في الجزائر ، والطاهر عاشور في تونس ، لكن الخطاب الإصلاحي في الجزائر قد حقق ما لم تحققه الحركات الإصلاحية في المشرق أو المغرب ، وإذا استثنينا حركة الشيخ محمد عبده الإصلاحية ، فإن الحركة الوهابية والسنوسية والأفغانية على سبيل المثال لا الحصر ، كانت قليلة الاهتمام بإصلاح شؤون التربية وتعليم الناس ، بينمـــا كـــان الخطاب الإصلاحي في الجزائر يعلي من ذلك الاهتمام ، وكان ينهض بالتربية والتعليم ، تثبيتا للعقيـــدة الإسلامية الصحيحة ، وتمكينا للغة العربية ، وتشبثا بالتراث الإسلامي .

ويعتقد الخطاب الإصلاحي أن الإسلام ليس مدرسة لعلم الكلام والفلسفة والجدل العقلي ، بل هو مدرسة لترسيخ العقيدة ، وتربية الروح والنفس والقلب ، حيث ارتبط الخطاب الإصلاحي ببـــذل الجهد والاهتمام بتنظيف الدين الإسلامي من الخرافات والبدع التي ألصقت به ، إذ إن الجزائر أثناء الربع الثاني من القرن العشرين ، قد تهشمت فيها المعاني الروحية في حياة الفرد والجماعة ، فركـــز الخطـــاب اهتمامه على كل ما هو جوهري ، و لم يهتم كثيرا بالمظاهر الخارجية ، بل ركز على جوهر الإنسان .

وانصب الخطاب الإصلاحي على العقائد ، واتجه نحو تقويم الأخلاق من أجل تقويم النفس وبناء الفضائل ؛ ذلك لأن صلاح الباطن هو أساس صلاح الظاهر ، وأن العلم بالشيء دافع رئيس إلى العمل به .

إن الخطاب الإصلاحي يدعو إلى مشروع الكائن الإنساني في تحقيق طاعة ربه ، ومن ثم تحقيق ذاته على هذه الأرض ، ولأجل ذلك تعزز الخطاب الإصلاحي بالعقيدة الإسلامية الصحيحة ، ورأى أن الإنسان حر ، وليس عبدا لأحد غير الله خالقه ، يعمل لدنياه كما يعمل لآخرته ، فعمل على دفع الفرد الجزائري نحو التعلم والتقدم ، والتحرر من أوهام الخرافات والشعوذة ، من أجل أن يطلق قدراته الكامنة للعمل الإيجابي .

وأصبح الخطاب الإصلاحي جزءاً من الهوية الجزائرية والتكوين الروحي والفكـــري والنفســـي للمجتمع الجزائري وسعى إلى بناء وحدة بين أفراده ، معتبرا الدين سبيل ذاك المسعى ، ليتواصـــل بهـــا الإنسان مع أخيه الإنسان من أجل سعادة الحياة في الدنيا والآخرة .

إن الخطاب الإصلاحي لم يهدف إلى دعوة الناس إلى التدين باعتبار علاقتـــهم بـــالله تعـــالى فحسب ، بل باعتبار علاقتهم ببعضهم البعض ، وقد جاء في الأثر : لا يشكر الله من لا يشكر الناس ، ثم إن تشريع أحكام الدين هو من أجل بناء الحياة وإصلاحها من النواحي المادية والحضارية المختلفـــة ، وتنمية النفس وتزكيتها ، ولولا خطاب المصلحين من أعضاء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وبالخاصة العلامة الشيخ مبارك الميلي لما تحققت تلك التنمية البشرية الرائعة ، التي أسهمت في إطـــلاق قـــدرات الجزائريين ، والحد من الخوف واليأس عندهم ، فليس معنى كون بلدك محتلة أن تجمد طموحاتك وتوقف حياتك حتى يقضى على هذا الاحتلال .

وألح الخطاب الإصلاحي على نشر المعرفة ، وتعميم التعليم ، ومحاربـــة الخرافـــات والبـــدع والجهل ، وتحكيم منهج السلف الصالح ، فقام على مبدأ الرجوع إلى الماضي وبعثه من جديد ، فكـــان التجديد هو جوهر الخطاب ، يسعى دوما إلى تصحيح الاعتقاد ، وتجديد الدين وتنقيته من الشوائب التي أصابته ، إذ رأى الخطاب الإصلاحي أن سبب انحطاط الأمة وسر تقهقرها راجع إلى تخليها عن الـــدين الحق ، وتمسكها بدين الخرافات والبدع ، وإتباعها الطرق الصوفية المنحرفة والرقصات والشطحات ، لذا فقد تأكد أن النهوض من هذا السبات ، لا يكون إلا بالرجوع إلى منهج السلف الصالح .

وقامت الدعوة الإصلاحية على أساس الرجوع إلى القرآن الكريم والسنة النبوية الصـــحيحة ، وإتباع النبي محمد في كل ما أمر أو نهى ، و لم يأت الخطاب الإصلاحي ببدعة جديدة ينتسب إليها كما فعلت بعض الطرق الصوفية ، بل كان مالكيَ المذهب أشعريا ، وكانت دعوته أساسا للرجوع إلى صفاء الدين ونقائه ، وترك ما علق به من خرافات وبدع وشعوذة ، وما لحقه من رقصات وشطحات صوفية ، قد غدت كصلاة مفروضة في وقت مفروض ، فدعا الخطاب الإصلاحي إلى ترك ما قد وقع فيه النـــاس من شرك في القول أو شرك في العمل ، منكرا في تلك الدعوة مظاهر الشرك والبدع والخرافات إنكـــارا شديدا ، فالتزم منهج الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

وسار الخطاب الإصلاحي عند الشيخ مبارك الميلي- في منهج العقيـــدة الإســـلامية والـــدين الإسلامي- على مذهب أهل السنة والجماعة الذي سار عليه أئمة المسلمين ، وعلى رأســـهم الأئمـــة الأربعة وأتباعهم ، و لم يبتدع ، ومن أهم ما قد نهى عنه دعوة الأحياء أو الأموات من الصالحين أو دعوة الله رب العالمين بوساطتهم ، كما قد نهى عن إشراكهم فيما يستحق به الله العبادة .

وتركزت دعوة الخطاب الإصلاحي إلى عقيدة السلف الصالح في جميع أبواب الاعتقـــاد ، مـــا كانت تخدم العقيدة الإسلامية الصحيحة ، إذ لا يتحقق صلاح الأمة عند الشيخ مبارك الميلي إلا بإعادة إحياء السنة النبوية ومنهج السلف الصالح في العبادات والمعاملات ، والاحتكـــام إلى أحكـــام الـــدين وقواعده ، لهذا فقد كان المصدر الأساس للخطاب الإصلاحي عند الشيخ مبارك هو القرآن الكـــريم ثم السنة النبوية الشريفة ثم أقوال السلف الصالح وكثير من المراجع في الفقه واللغة .

ورغم أن الخطاب الإصلاحي كان يرجع إلى الماضي إلا أنه كان ضد التقليد الأعمى ، إذ كان يتبع العقل في أي تقليد ، ثم إن طريق السلف الذي اتبعه الخطاب الإصلاحي في الجزائـــر هـــو طريـــق الوصول إلى الحق ، وهو يعتمد البحث والنظر والدليل والحجـــة ، عندما يأخذ من ذلك الماضي ، أما في تعامله مع الواقع فهو يعمل على استيعابه وفهمه ، ويعطي له الحلول من هدي العقيـــدة الإســـلامية وتعاليمها ، إذ كان الخطاب الإصلاحي نابعا بالدرجة الأولى من عقيدة الإسلام وشريعته ، فكان كفيلا بنهضة الأمة الجزائرية ، فلم ينقطع و لم ينفصل أبدا عن التأصيل للعقيدة الصحيحة ، وانطلق في الإحياء يبعث روح العقيدة في نفوس الجزائريين .

إن الخطاب الإصلاحي عند الشيخ مبارك الميلي هو خطاب تقدمي ، قد سعى إلى تأكيد قـيم الحرية والمساواة والعدل ، وأراد استنهاض مجد المجتمع الجزائري ، أما الوسيلة التي اختارها الخطاب من أجل تلك النهضة فهي العودة إلى الجذور الصافية والأصول النقية من عقيدة الإسلام ، وهو بهذا خطاب سلفي متقدم ، بمعنى انه لا يدعو إلى الجمود ، حيث لاحظنا كيف أن الشيخ مبارك يقدم خطاباته بعقل مستنير ومعاصر .

لقد ربّى الخطاب الإصلاحي الجزائريين على عقيدتهم وثوابت أمتهم بصدق وإخلاص ، فأحيى الضمائر وأنار العقول ، وغرس الطموح الديني والإنساني في أفراد المجتمع الجزائري ، إذ كانت كلماتـه تنفذ إلى عقول متلقيها وقلوبهم فتنتج أحلى الثمار ، وما ثمار الفكرة الجميلة إلا العمل الجميل ، أساسه الكلمة التي بوساطتها يحصل الفهم بين الناس ، فليست المادة هي الجامعة بين النـاس في الأصـل إنمـا الأرواح التي يمكنها التفاهم والإتلاف ، لذلك عزف الخطاب الإصلاحي عن جنون المادة ، فلم يكـن يطلبها غاية ، وإنما هي مجرد وسيلة لتسهيل سبل الحياة ، وإعانة على تمكين أمر الدين في المجتمع .

ورأى الخطاب الإصلاحي أن إصلاح العقيدة هو أسـاس كلّ إصلاح ، وأن ما يصلح لهـذه الأمة لا يكون إلا بأخذ ما صلح من ماضيها ، فبذل جهدا عظيما في العمـل علـى إحيـاء العقيـدة الصحيحة وعلوم الدين الإسلامي في المجتمع الجزائري ، وكذا على التوجيه السليم لسلوك الفرد الجزائري ليوافق الحق ، ويؤدي به إلى سعادة الدنيا والآخرة ، ثم إن الإصلاح هو دليل الحياة وبوجـوده تكـون الفاعلية والقوة والإشراق والثقة وبغيابه يحل الجمود .

وسار الخطاب الإصلاحي على منهج الخطاب القرآني في قيامه على أسس عقلية وعلميـة وأخلاقية سامية ، ومنها دعوة المخالفين بالحكمة والرفق ، مصداقا لقوله تعالى : ﴿ ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن ﴾ ، إذ كان الهدف من قيام دعوته علـى الرفـق والحكمة هو الوصول بالمخالفين إلى حقيقة الإيمان ، وتثبيت المترددين وضعاف الإيمان تثبيتا على الحق ، وليس الهدف هو التغلب على أولئك المخالفين ووصمهم بالعار ، عار العجز والانهزام ، لأن ذلك ليس من شعائر الإسلام في شيء .

لقد استطاع الخطاب الإصلاحي أن ينتج وحدة الأمة المفترضة بنسبة كبيرة ، كما استطاع أن يقضي بنسبة كبيرة أيضا على عناصر ضعفها ، مستعينا في ذلك بماضي السلف الصالح ، متحريا الصدق والبحث عن الحق والحقيقة ، ملتزما منهج الإصلاح ، واضعا نصب عينيه مصلحة الأمة ووعيها وإرادتها في تحقيق العدالة والحق وتحقيق التقدم والتطور في شتى جوانب الحياة ، وبقيت فكرة العقيدة الإســـلامية حية في داخل الخطاب الإصلاحي ، وغدا الاهتمام بها أقوى من أي وقت مضى .

رأى الخطاب الإصلاحي أن للدين قوةً عظيمة جدا ، فدعا إلى الحفاظ على أصوله الداعية إلى الكمال الإنساني ، وحرص على القيم الأخلاقية بين الناس ، ووضع قرّاءه في إطار هذه الفكرة الرشيدة في الدعوة الإصلاحية .

وكان الخطاب الإصلاحي هادئا ، في النبرة وفي الألفاظ التي ينتقيها لتلك الدعوة الإصلاحية ، فنجح بشكل كبير متجنبا أي مواجهة مع الاحتلال ، تلك المواجهة التي يمكنها أن تشكل عائقا كـــبيرا أمام طريقه قبل أن يتم هدفه في وصول الفكرة إلى أذهان الناس ليعملوا بها ، ويقدم الخطاب الإصلاحي اجتهادا مستقلا مبتكرا في الوقائع المستجدة ، إذ يقوم ذاك الاجتهاد على ما يأتي :

- الفهم الصحيح الدقيق للنص الشرعي .
- الإدراك السليم لمقاصد الشريعة الإسلامية .
- الإحاطة الشاملة بجوانب الواقع المجتهد فيها .

إن المنهج الأمثل في الخطاب الإصلاحي هو أنه قد جمع بين روحانية سنية لا بدعية خرافيـــة ، وبين ماض أثري سلفي ، وعقلانية في غير جدل وتهافت عقيم ، وبين فقه يأخذ من كـــل المشـــارب الصافية ، ليمزج بينها في تناسق وانسجام .

لم يكن للخطاب الإصلاحي قِبل بالإحباط والعراقيل الضخمة التي وضـــعت في طريقـــه ، إلا بانتهاج منهج الأنبياء والمرسلين والصالحين من أسلاف الأمة العربية الإسلامية ، حتى يقدر على إصلاح ما أفسده المفسدون ، فحمل الخطاب مقومات الفكر الإسلامي المستقيم ورســـالة العلمـــاء في الأمـــر بالمعروف والنهي عن المنكر .

لقد ترجم الخطاب الإصلاحي التوجيه الديني والمعرفي والأخلاقي ، الذي تتبناه جمعيـــة العلمـــاء المسلمين الجزائريين في مجال دعوتها إلى العقيدة الإسلامية الصحيحة ومحاربتها البدع والخرافات ومختلف الرذائل والآثام ، وعملها على تربية الناس كلهم على حب الخير والصلاح والتقوى ، وتسير بهـــم إلى طريقة التعامل الحسن فيما بينهم ، وهي الطريقة المستنبطة من كتاب الله تعالى وسنة رسوله محمـــد ، إذ ينهل الخطاب الإصلاحي من منبع العقيدة الإسلامية ، من آيات الذكر الحكيم ، وأقوال النبي الكـــريم ، وأقوال الاجتهاد لخير السلف الصالحين التي بنيت على الكتاب والسنة .

إن المنهج الإصلاحي الذي انتهجه خطاب الشيخ مبارك الميلي قد دعت إليه الضرورة ، ضرورة حفظ هوية الأمة وعدم التنازل عن ثوابتها ، ومحاولة تخليص الإسلام من المفاهيم الخاطئـــة والأفكـــار المتطرفة والدخيلة ومن ألوان البدع والخرافات ، إضافة إلى أنه أراد تمثيل الإسلام أحسن تمثيل بعـــد أن استهانت به فرنسا ومن تبعها ، فكانت خطابات الشيخ مبارك الميلـــي تتميـــز بالوســـطية والتســـامح والانفتاح ، كما كانت تتميز بتأصيل علمي شرعي منهجي مدروس ومتوازن .

ويمكن لنا استقراء ملامح المنهج الإصلاحي الذي سلكه الشيخ مبارك الميلي في خطاباتـــه ، إذ تميز بما يأتي :

- استوعب النصوص الشرعية وتفقّه فيها ، إذ عرف مقاصد الشريعة ، وله دراية عالية بالمصـــالح والمفاسد وبفقه الأولويات .
- استوعب الواقع الإسلامي واستطاع أن يتعمَّق فهمه من شتى الجوانب منها على سبيل المثـــال الجوانب الاقتصادية والفكرية والاجتماعية، وسبل الإصلاحيين والتربويين ، وهكذا تكونت له القدرة على تنزيل النصوص والأحكام على الواقع الإسلامي المنزلة الصحيحة .
- استوعب واقع غير المسلمين عامة وواقع الأمة الفرنسية ، خاصة في الجوانب السياسيـــــــــة والاقتصادية والفكرية ، وعرف واقع العلاقات الفكرية والحضارية بين المذاهب والاتجاهـــات الدينية وغير الدينية .
- حاول تضييق فجوة الخلاف بين المسلمين ، وكان دوما بعيدا عن التعصب للرأي أو التعصـــب لمذهب معين ، أو لمدرسة إصلاحية أو لجماعة أو طائفة ما .
- انفتح على المدارس والمذاهب الإسلامية في الفقه وفي الإصلاح ، وحتى في العقيـــدة ، محـــاولا الاستفادة من هذا التنوع المذهبي والفكري .
- جاء خطابه لينا حتى في مخاطبة المخالفين ، وابتعد عن التشنج واستعمال مصطلحات الـــتكفير والتضليل والتفسيق ، معتمدا على الموضوعية والإنصاف في خطاباته ، ومحاولة تأليف قلـــوب المخالفين ، وإقناعهم بالتي هي أحسن ، واعتماد الحجة والبرهان التي أنارت خطاباته .
- كان وسطيا معتدلا في الخطاب بعيداً عن غلو المتطرفين ، وتفريط المتساهلين .
- كان متمسكا بالثوابت والأصول ، ومحافظا على الهوية الإسلامية ومعتزا بها ، دونما تنازل ولا ذوبان في المجتمع الفرنسي .

إن هذه المنهجية في الخطاب الإصلاحي هي المنهجية الرائدة والمناسبة لما كانت تعيشـــه الأمـــة الجزائرية من تحديات وحصار فرضه الاستعمار الفرنسي .

وآمن الشيخ مبارك الميلي بضرورة دعوة كل فرد جزائري يحمل فكرة الإصلاح ، إلى الإيجابية والمشاركة والعطاء ، ولو بالترر القليل الذي يستطيعه فإنما الغيث من قطرة . وليس بالضرورة أن يكون الإصلاح عملا إيجابيا ضخما ، يغير الموازين رأسا على عقب ، إنما من توفر ذلك هي الهمّـــة والإرادة ، ثم العمل من أجل أن تتحقق المعاني الإنسانية في الإنسان ، ومنطلق هذا كله هو القلب الحي ، إنه منطلق الصلاح ، فهو كما شبهه الحبيب المصطفى مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله ، وإذا فسدت فســـد الجسد كله .

وأدرك الشيخ مبارك الميلي أن الله لم يكن مغيرا نعمةً أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ، وأن الله إذا أراد بقوم سوءا فلا مرد له وما لهم من دونه من وال ، فمضى الشيخ مبـــارك في الحركـــة التصحيحية رغم العراقيل والتحديات ، وطرح المشاريع للتغيير والإصلاح داخل الإطار المرجعي الديني ، القرآن والسنة ، حتى غدا الإصلاح عملا متجددا في حياة الجزائر ، في جوانب عديدة منـــها التربويـــة والاجتماعية والعلمية .

وبالرغم من أن الخطاب الإصلاحي قد حارب عوامل التيه والانحلال في الأمة أثناء مضـــيه في طريق الإصلاح ، إلا أن هذا لا يعني أنه استطاع القضاء عليها إلى الأبد .

إن قـــضية الإصلاح ليست بالهينة اليسيرة ، لذلك فإن الخوض فيها تطلب إعدادا جيدا للمضي في هذا الطريق - طريق الإصلاح - بالعزم والتحدي ، والأخذ بالحظ الموفور من نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية ، ومن التاريخ وتجاربه وأحداثه ، و لم يُعن الخطاب الإصلاحي بجانب واحد فحســـب ، ذلك لأن الإصلاح يتطلب تصوراً شمولياً لتربية الأمة تربية شاملة على الإسلام وقيمه وأحكامه ، وإعداد الكوادر من العلماء والحكماء والأدباء والمصلحين والفلاسفة والأطباء وغيرهم ممن يمثلون آفاق العلـــم والمعرفة .

إن الخطاب الإصلاحي - وإن التزم بأصول الإسلام وأحكامه المحددة والواضحة - قد راعى في لغته اعتبارات الواقع وظروفه وإمكاناته ، ومن ذلك أنه كان مرهونا بالاستطاعة ، فلم يَدْعُ النـــاس - فرادى أو جماعات - إلى ما لا يستطيعونه أو ما لا يتحملونه ، وإنما تُعلم هذه الاســـتطاعة بالرؤيـــة الشاملة والفهم الثاقب والإدراك المتبصر ، الذي يراعي متطلبات الحال والموقف .

الخـــــــاتمة :

لقد التزم الخطاب الإصلاحي عند العلامة الشيخ مبارك الميلي الرجل الذي صـــنعته العقيـــدة الإسلامية ، خطا فكريا واحدا هو خط الإصلاح ، واتبع منهجا واحدا هو منهج السلف الصالح ، وكان له هدف أسمى هو نهضة الأمة بدينها ووطنها ، لقد مدّ الجسور بين جيل الخلافة الإسلامية الصادق دون الزائف منه ، وبين جيل الحاضر من أجل إطلالة مستقبلية متنورة وجميلة .

لقد كان الخطاب الإصلاحي في الجزائر بحق رصيدا عظيما للإرث الجزائري العربي والإسلامي ، حتى غدت معطياته تكوّن جوهر القيم الروحية العميقة لأي فرد منا ، وهو خطـــاب ســـلفي بـــروح العصر ، وله يد عليا في بناء مستقبل الأمة الجزائرية وصناعة الإنسان المسلم الجزائري .

ملحق

أهم مقالات الشيخ مبارك الميلي في مختلف الجرائد :

مقالات منشورة بجريدة المنتقد :

عنـــــوان المقـــال	عدد	صفحة	تاريخ النشر	فكـــــــرة عن المقـــــــال
هل نحن في بدايـــة النهضة.	3	1	1925	نقد للأوضاع الاجتماعية والدينية ، ومقارنة لإيجابيات الحضارة الغربية وعدم الاستفادة منها وإشادة ببوادر النهضة في تأسيس الصحافة الإصلاحية.
المصلحون والمرجفون	14	1	أكتوبر1925	فهم أصول الديانة الإسلامية ، و الحديث عن الأخلاق والتعصب للكتاب والسنة.
حول مقال هـــذه جزائركم تحتضر	18	2	نوفمبر1925	هذا رد على إثارة من عنوان يزرع روح اليأس حسب رأيه نقدا .
العقل الجزائري في خطر	لم أطلع عليه إنما أخبرت عنه شفويا ، وذكره الطالب الباحث عمار ابن طاهر في رسالة ماجستير حول جهو الشيخ مبارك الميلي الإصلاحية ، كما أن قسم الدوريات لا يتوفر على هذا المقال			

مقالات منشورة بجريدة الشهاب :

عنـــوان المقـــال	عدد	صفحة	تاريخ النشر	فكـــــــرة عن المقـــــــال
العدالـــــــــــة بآثارهـــا	4	1	/12/13 1925	مفهوم العدالة قانونيا وبعدها عن واقع الجزائريين وعنصرية المعمرين تجاه السكان الأصليين/ مضمون من قانون
جزء مـــن مقـــال حـــول الشـــرك والقبور	9	4	/01/07 1926	رد على أبي يعلي الزواوي في الاستدلال من الكتاب والسنة حول موضوع الشرك بالقبور.
التعليم الـــديني في الجزائـــر وحـــظ الزوايا منه	13	2	جوان 1926	تشخيص الدين في الزوايا وأثره على المجتمع ورد على أبي يعلي الزواوي.

المؤتمر الإسلامي العام للخلافة .	23	1	22 أفريل 1926	دعوة لتشكيل وفد جزائري للمشاركة في أشغال المؤتمر بالقاهرة / عدم حضور المؤتمر فرصة للاندماجيين الداعين إلى الابتعاد عن العروبة والإسلام / تحسيس فرنسا بضرورة أن يتكلم المسلمون الجزائريون وهذا لمصلحتها.
ابن ملجم القـــرن العشرين	78	؟	1927/1/6	رد على محاولة اغتيال ابن باديس / وصف الطرقيين ومهاجمتهم / دعوة الحكومة لمواجهة هؤلاء القوم الفوضويين.
الأدب الجزائـــري يبعث من مرقـــده بارقة أمل.	83	؟	/2/10 1927	تثمين الأديب محمد الهادي السنوسي في كتابه(شعراء الجزائـــر في العصر الحديث / اللغة العربية في إحياء الأمـــة الجزائريـــة/تـــذكير بانحطاط الأدب الجزائري .
الكتـــــــــاب الإصـــــــلاحيون والضلال الخرافيون	86	؟	1927/3/3	رد تهكمي قوي على أحد كتاب (البلاغ) الطرقية عن مقال الميلي (ابن ملجم القرن العشرين.. بيضاوي) اسم مبارك المستعار .
بين محبي الحقيقة والمتعاونين إلى الوصول إليها المصلحون والسنة	112		أفريل 1936	حوار بين مصلحين : الميلي ؛ الورتلاني حول اسناد حديث النبي لا تنزلوهن الغرف ولا تعلموهن الكتابة يعني النساء وعلموهن الغزل وسورة النور)الذي رواه الحاكم في مشروعه .
تعليم المرأة الكتابة	253- 263	126	أوت/سبتمبر 1936	رأيه الداعي إلى تعليم المرأة الكتابة خلافا لما كان يتحفظ بشأنه بعض الإصلاحيين .

مقالات منشورة بجريدتي السنة والشريعة :

عنـــوان المقال	عدد	صفحة	تاريخ النشر	فكـــرة عن المقـــال
بيان وإرشاد	؟	4	1933	الجمعية من إصدار جريدة الجحيم التي جاءت لترد على جريدة المعيار للطرقيين والصحيفتان فاحشتان في مضمونهما .دعوته القراء لمقاطعتهما.

مقالات منشورة بجريدة البصائر :

عنـــوان المقال	عدد	صفحة	تاريخ النشر	فكـــرة عن المقـــال
الشرك ومظاهره	؟	1	/1/31 1936	سلسلة من 17 حلقة عالج فيها حالة الفساد الذي حصل في عقيدة المسلمين الجزائريين بسبب عدم الفهم الصحيح للإسلام (وبعد أن أقرت بها الجمعية ، نشرت في كتاب مستقل)
حركة العلم والدين . اجتماع تأسيس جمعية حياة الشباب بميلة.	7	2	/2/14 1936	تقرير عن تأسيس جمعية حياة الشباب بميلة وقانونها الأساسي وأعضاؤها وتبرعاتهم
ملخص خطابنا	8	2	/2/24 1936	ملخص خطاب ألقاه بمناسبة تأسيس جمعية حياة الشباب بميلة وحثه الحاضرين على تدعيم طلب العلم من بناء المدارس وأهمية العلم في حياة الإنسان والأمم.
حول مقال الشـــرك ومظاهره	14	7	/4/10 1936	اقتراح إلى رئيس التحرير لجريدة البصائر لتحويل المقال إلى الصفحات الداخلية للجريدة ليعطي فرصة للقارئ لمواضيع جديدة في صدر الصفحة.
تقرير عن تأســـيس الجمعيـــة الدوليـــة الإسلامية الميلية	20	4	ماي 1936	تقرير يوضح تعدد الجمعيات الدينية بميلة كوسائل لنشر مبادئ الإصلاح .
سير الجمعية وأعمالها تفقد الشعب 1		8	/7/17 1936	تقرير عن نشاطات الجمعية برئاسة لتفقد الشعب الجمعية في عدد من مدن الشمال القسنطيني وتأسيس نوع جديد .
(بلاد قبائل 2		8	/7/24 1936	تابع تقرير وفد بمنطقة قبائل
" " 3		8	/7/31 1936	" " "
" " 31		8	/9/7 1936	" " "

لفظة الغفارة	48	4	/12/25 1936	مناقشة لأبي يعلي الزواوي في أن لفظة الغفارة لفظة بربرية الأصل ومعناها الزيارة ، أي أنها أقرب إلى لفظة الخفارة ، ويمكن أن تكون عربية لكنه لم يجزم بذلك.
إلى حكومة الجبهة الشعبية.	65	1	23 1937/4/	موقف صريح من تنكر حكومة الجبهة الشعبية واستمرار قمعها لنشاطات الجمعية في المساجد والزوايا.
الشيخ الفضيل الورتلاني في طريقه إلى أسرته و ما ينصب للجمعية من عراقيل.	86	1 و 2	/11/13 1937	إدانة السلطات الإدارية بمنطقة قترات عمالة سطيف التي منعت الورتلاني من التدريس بمسجد البلدة واقتحمته في صلاة الجمعة.
من يسمع	114	3	/3/20 1938	رد على الزاهري (مدير الوفاق) في اتهامه بدعوته للفتنة باستمرار كتاباته ضد الطرقية.
التعليم والتعلم	114	2	20 1938/3/	التعليم ومسؤولين الطرقيين في منح الجمعية من فتح المدارس والتدريس بالمساجد والنوادي وكذا مسؤولية بعض الموظفين في الإدارة الفرنسية ورجالها.
المعلم	125	؟	أوت 1938	المعلم ومعارفه التي يشبهها بالعسل الذي تجنيه النحلة . المعلم غير الكفء والسيء الخلق.
الحياة للعلم	129	3		عرض لمقال من إحدى المجلات العربية ، تجيز فيه العالم الشريف الرضى أحد علماء النجف بعدم ذكره في خطابه أي لم يمثل علماء السنة فأعاب عليه ذلك ، مذكرا بابن تيمية ومواقفه السنية المعروفة
موقفنا من الصحف الطرقية.	157	؟	/3/17 1939	العوامل التي جعلته لا يساير كتابات صحف الطرقية عن تمادي هذه الصحف في السب والقدح للجمعية وبعض رموزها ، وإن أقلام المصلحين لا تزال قادرة على الرد المناسب كما فعلوا في السابق وهزموا شر هزيمة أقلام الطرقيين.

فهرس المصادر والمراجع

- **القرآن الكريم .**

- **الآمدي** (سيف الدين) :

- الإحكام في أصول الأحكام . دار الكتب العلمية ، بيروت ، عام 1980م ، ج 1
- المبين في شرح ألفاظ الحكماء والمتكلمين ، تحقيق عبد الأمير الأعسم ، بغداد ، 1985م
- منتهى السول في علم الأصول . الجمعية العلمية الأزهرية المصرية ، القاهرة ، د ت ، ج 1

- **الإبراهيمي** (البشير) :

- آثار محمد البشير الإبراهيمي . دار الغرب الإسلامي ، بيروت 1997م ، مجلد 2 .
- أنا . مجلة الثقافة - عدد خاص بالبشير الإبراهيمي- . 1987م
- سجل مؤتمر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين . المطبعة الجزائرية الإسلامية ، قسنطينة ، 1935م
- عيون البصائر . الشركة الوطنية للنشر والتوزيع . الجزائر ، ج 2

- **إبراهيم** (عبد الله) :

- الثقافة العربية والمرجعيات المستعارة . المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء ، سنة 1999م ، ط 1
- السردية العربية . المركز الثقافي العربي ، بيروت ، لبنان ، عام 1992م

- **ابن باديس** (عبد الحميد) :

- آثار عبد الحميد بن باديس . مطبوعات وزارة الشؤون الدينية ، دار البعث ، قسنطينة ، عام 1982م ، ج 3
- مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير . مطبوعات وزارة الشؤون الدينية ، دار البعث للطباعة والنشر ، قسنطينة ، عام 1982م ، ط1

- **ابن تيمية :**
- مجموع فتاوي شيخ الإسلام ابن تيمية . جمع وترتيب عبد الرحمن بن قاسم بمساعدة ابنه محمد . مكتبة المعارف ، الرباط ، المغرب ، ج 1

- **ابن جني :**
- الخصائص . تحقيق محمد علي النجار . الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، عام 1999م ، ط 4 ، ج1

- **ابن الجوزية :**
- إعلام الموقعين . تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد . مطبعة السعادة . مصر ، السنة 1955م ، ط1 ، ج 3

- **ابن خلدون :**
- المقدمة. دار الشعب بالقاهرة ، د ت

- **ابن ذياب** (أحمد) :
- جوانب نضالية من حياة الشهيد محمد الأمين عمودي . مجلة الثقافة ، عدد 86

- **ابن الطاهر** (علي) :
- مبارك الميلي وجهوده في الحركة الإصلاحية في الجزائر 1897-1945م . بحث مقدم لنيل شهادة الماجستير في التاريخ المعاصر ، قسم التاريخ ، كلية العلوم الإنسانية ، الجامعة الإسلامية ، قسنطينة 2001 م

- **ابن ظافر الشهري** (عبد الهادي) :
- استراتيجيات الخطاب ، مقاربة لغوية تداولية. دار الكتاب الجديد المتحدة ، بيروت ، 2004م ، ط1

- **ابن فارس** (أحمد) :
- الصاحبيّ في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها ، تحقيق : السيد أحمد صقر . مطبعة عيسى البابي وشركائه ، القاهرة . د ت .

- **ابن نبي** (مالك) :
- وجهة العالم الإسلامي ، مقدمة الكتاب لمحمد المبارك . دار الفكر ، دمشق ، سوريا ، سنة 1986م

- **برهييه** (اميل) :
- الفلسفة اليونانية . ترجمة جورج طرابيشي بيروت ، دار الطليعة ، سنة 1987 م

- **بوالصفصاف** (عبد الكريم) :
- جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في تطور الحركة الوطنية الجزائرية 1931– 1945م دار البعث للطباعة والنشر ، قسنطينة ، ط 1 ، عام 1981م

- **تركي** (رابح) :
- التعليم القومي والشخصية الجزائرية 1931 – 1956 م . الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، عام 1981 م ، ط 2 .
- الشهاب – لسان الإسلام والعروبة والوطنية في الجزائر (1925- 1935)- دورها في نهضة الجزائر الحديثة . مجلة الثقافة ، عدد 81
- الشيخ عبد الحميد بن باديس والحركة الإصلاحية السلفية في الجزائر . مجلة الثقافة ، عدد 68

- **التهاوني** :
- كشاف اصطلاحات الفنون. تحقيق : لطفي عبد البديع . الهيئة العامة للكتاب ، القاهرة ، سنة 1972م ، ج 2

تودروف (تزفتان) :

- اللغة والأدب في الخطاب الأدبي . ترجمة سعيد الغانمي . المركز الثقافي ، بيروت ، عام 1993م

- **التونسي** (خير الدين) :

- أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك ، تحقيق : منصف الشنوف . الدار التونسية للنشر ، تونس ، السنة 1972 م

- **الجابري** (محمد الصالح) :

- أزمة الإبداع في الفكر العربي المعاصر ، أزمة ثقافية أم أزمة عقل . القاهرة ، إبريل / مايو / يونيو 1984 م

- الخطاب العربي المعاصر . دار الطليعة ، بيروت ، عام 1982م .

ج- المؤرخ الجزائري مبارك الميلي في الصحافة التونسية. الثقافة ، مجلة تصدرها وزارة الإعلام والثقافة بالجزائر ، سنة 1989م ، عدد 102

- مبارك الميلي في الصحافة التونسية . مجلة الثقافة ، عدد 102

- **الجاحظ** (أبو عثمان عمرو بن بحر) :

- البيان والتبيين . تحقيق وشرح عبد السلام هارون . دار الفكر ، د ت ، ط 4 ، ج 1

- **جدعان** (فهمي) :

- أسس التقدم عند مفكري الإسلام في العالم العربي الحديث . بيروت ، عام 1981م ، ط 2

- **الجرجاني** (علي بن محمد) :

- التعريفات . مكتبة لبنان ، بيروت ، عام 1978م

- **جواد** (عبد الستار) :

- اللغة الإعلامية ، دراسة في صناعة النصوص الإعلامية وتحليلها . منشورات دار الهلال للترجمة ، عمان ، عام 1998م

- **الجيلالي** (عبد الرحمن) :
- من وحي ذكرى مرور أربعة عقود سنوية على وفاة العلامة النابغة الشيخ مبارك الميلي . مجلة الثقافة ، مجلة تصدرها وزارة الثقافة والسياحة بالجزائر ، السنة الرابعة عشرة ، مارس- أبريل 1984م ، عدد 80
- **الحافظ** (م حمد مطيع) و **أباظة** (نزار) :
- تاريخ علماء دمشق في القرن الرابع الهجري . دار الفكر ، دمشق ، عام 1986م ، ج 2
- **الحداد** (محمد) :
- حفريات تأويلية في الخطاب الإصلاحي العربي، بيروت ، دار الطليعة ، 2002 م ، ط 1
- **الحنفي** (ابن أبي العز) :
- شرح العقيدة الطحاوية . تحقيق عبد الله التركي وشعيب الأرنؤوط . مؤسسة الرسالة . بيروت ، لبنان ، الطبعة الثامنة ، السنة 1416 هـ . ج 1
- **حماني** (أحمد) :
- صراع بين السنة والبدعة . دار البعث ، قسنطينة ، الجزائر 1984م ، مجلد 2
- **خرفي** (صالح) :
- المدارس والمعاهد العليا ، دورها في النهضة العربية الحديثة . المجلة الجزائرية للتربية ، مجلة فصلية يصدرها المعهد التربوي الوطني تحت إشراف وزارة التربية الوطنية ، السنة الأولى ، الفصل الرابع ، عام 1995م ، عدد 4
- **الخطيب** (محمد الدين) :
- حياته بقلمه . مطبوعات جمعية التمدن الإسلامي ، دمشق ، عام 1979م / 1399 هـ

- **دبوز** (محمد علي) :
- أعلام الإصلاح في الجزائر . مطبعة البعث ، قسنطينة ، سنة 1980م ، ج4 ، ط1
- أعلام الإصلاح في الجزائر من عام 1921 إلى 1975م . مطبعة البعث ، قسنطينة ، عام 1978م ، ط 1 ، ج 3
- نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة . المطبعة العربية ، عام 1969م ، ط 1

- **الداية** (فايز) :
- علم الدلالة العربي بين النظرية والتطبيق ، دراسة تاريخية تأصيلية نقدية . دار الفكر ، دمشق ، سنة 1996م ، ط 1

- **دي سوسير** (فرديناند) :
- دروس في الألسنية العامة . ترجمة صالح القرماوي وآخرين ، الدار العربية للكتاب ، ليبيا- تونس ، 1985م

- **الزمخشري** :
- الكشاف . دار الكتاب العربي ، بيروت ، عام 1987م ، ج 4

- **ستوتارد** (لوثروب) :
- حاضر العالم الإسلامي . تعليقات شكيب أرسلان. د ت ، ج1

- **سعد الله** (أبو القاسم) :
- تاريخ الجزائر الثقافي . بيروت، دار الغرب الإسلامي ، 1998 ، مجلد 7
- الحركة الجزائرية . معهد البحوث والدراسات العربية ، القاهرة ، مصر ، السنة 1975م ، ج 3 .
- الحركة الوطنية الجزائرية 1900- 1930م . الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، عام 1983م ، ط 3 ، ج 2

- **سوكحال** (نور الدين) :
- الشيخ بيوض إبراهيم ومنهجه في الإصلاح . رسالة ماجستير ، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية ، معهد أصول الدين ، قسم الدعوة والإعلام ، قسنطينة ، الجزائر

- **السيد يسين** :
- بحثا عن هوية جديدة للعلوم الاجتماعية في الوطن العربي . مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، عام 1986م .

- **السيوطي** (جلال الدين) :
- الاقتراح في علم أصول النحو ، تحقيق وتعليق أحمد سليم الحمصي ومحمد أحمد محمد قاسم ، مطبعة الفيصليّة ، 1988م ، ط 1

- **شولتر** (روبرت) :
- السيمياء والتأويل . ترجمة سعيد الغانمي . المركز الثقافي ، بيروت ، عام 1993م

- **صاري** (الجيلالي) و **قداش** (محفوظ) :
- الجزائر في التاريخ ، المقاومة السياسية 1900-1954م ، الطريق الإصلاحي والطريق الثوري ، ترجمة عبد القادر حراث . المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، عام 1987م

- **طحان** (ريمون) :
- الألسنية العربية. دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، عام 1981م ، ط 2

- **طه عبد الرحمان** :
- اللسان والميزان . طبعة المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، عام 1998م

- **عبادة** (عبد اللطيف) :

- الاجتهاد عند الشيخ عبد الحميد بن باديس . مجلة الثقافة ، السنة الخامسة عشرة ، أبريل 1985 م ، العدد 86

- الشرك ومظاهره عند الشيخ مبارك الميلي وشيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن تيمية- دراسة مقارنة- . مجلة الثقافة ، السنة الخامسة عشرة ، يناير- فبراير 1984م ، عدد 85

- **العسلي** (بسام) :

- الأمير الخالد الهاشمي الجزائري ، انطلاقة الاستعمار من الجزائر إلى العالم الإسلامي . دار النفائس ، بيروت ، لبنان ، السنة 1984م

- **عصفور** (جابر) :

- عصر البنيويّة ، من ليفي شتراوس إلى فوكو . دار الأفاق العربية ، بغداد ، عام 1985م

- **العقيل** (عبد الله) :

- من أعلام الحركة والدّعوة الإسلاميّة المعاصرة . مكتبة المنار الإسلاميّة ، الكويت ، عام 2001 م

- **فركوس** (صالح) :

- المختصر في تاريخ الجزائر ، من عهد الفينيقيين إلى خروج الفرنسيين (814 ق.م – 1962 م) . دار العلوم للنشر والتوزيع ، عنابة ، السنة 2002 م

- **فوكو** (ميشيل) :

- حفريات المعرفة. ترجمة : سالم يفوت . المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، عام 1987م

- **قاسم** (محمود) :

- مناهج الإصلاح في الشرق منذ أواخر القرن التاسع عشر حتى عصر النهضة المعاصرة ، فكرة جمال الدين الأفغاني عن الإصلاح . مجلة الثقافة ، عدد 81

- **القرطبيّ** (أبو عبد الله محمد بن أحمد) :
- الجامع لأحكام القرآن . دار الكاتب العربيّ للطباعة والنشر ، القاهرة ، ج 10

- **عقلة عرسان** (علي) :
- مقاربة في الخطاب العربيّ . مجلّة الفكر السياسيّ ، مجلة فصليّة تصدر عن اتحاد الكتّاب العـــرب بدمشق. صيف 1999 م

- **طالبي** (عمار) :
- ابن باديس حياته وآثاره . دار المغرب الإسلامي 1983م ، ط2 ، ج 3

- **كرد علي** (محمد) :
- المعاصرون . دار صادر ، بيروت ، السنة 1993 م ، ط 2

- **الكفَوي** (أبو البقاء) :
- الكليات . طبعة مؤسسة الرسالة ، بعناية عدنان درويش ومحمد المصري ، بيروت ، 1992م

- **لوصيف** (فوزية) :
- التجديد في الفكر العقدي عند الشيخ مبارك الميلي ، دراسة في رسالة الشرك ومظاهره ، رسالة ماجستير ، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية ، نوقشت في 2004م

- **الماكري** (محمد) :
- الشكل والخطاب . المركز الثقافي العربي ، بيروت 1991م

- **مجموعة جريدة البصائر** :
- لسان حال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين جمعها محمد حسن فضلاء . دار البعث للطباعـــة والنشر ، قسنطينة عام 1984م ، ط1 ، السنة الأولى

- **مرتاض** (عبد المالك) :
- نهضة الأدب العربي المعاصر في الجزائر . 1925- 1954م ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، عام 1983م ، ط 2
- **مرحوم** (علي) :
- نظرة على تاريخ الصحافة العربية الجزائرية . مجلة الثقافة ، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية ، الجزائر ، شباط (فبراير) آذار (مارس) 1978 م . العدد 43
- **المسدي** (عبد السلام) :
- الأسلوبية و الأسلوب . الدار العربية للكتاب ، ليبيا . عام 1997م
- **مكدونيل** (ديان) :
- مقدمة في نظريات الخطاب ، ترجمة وتقديم عز الدين إسماعيل . المكتبة الأكاديمية ، القاهرة ، عام 2001م
- **ممريش** (محمد العربي) :
- مالك بن نبي والاتجاه الحضاري في الحركة الوطنية بين الحربين 1920- 1938م . مجلة الثقافة ، عدد 85
- **ميلز** (سارة) :
- الخطاب . ترجمة يوسف بغول . منشورات مخبر الترجمة في الأدب واللسانيات ، جامعة منتوري ، قسنطينة ، مطبعة البعث ، قسنطينة 2004م
- **الميلي** (مبارك) :
- تاريخ الجزائر في القديم والحديث . الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، سنة 1967م
- رسالة الشرك ومظاهره . دار البعث ، قسنطينة ، ط 3 ، السنة 1982م

- **ناصف** (مصطفى) :
- اللغة والتفسير والتواصل . سلسة عالم المعرفة ، عام 1995م
- **نجيب** (مصطفى) :
- أعلام مصر في القرن العشرين . وكالة أنباء الشّرق الأوسط . عام 1996م
- **ولد أباه** (السيد) :
- التاريخ والحقيقة لدى ميشيل فوكو . الدار العربية للعلوم ، بيروت ، سنة 2004م ، ط 2
- **يقطين سعيد** :
- تحليل الخطاب الروائي . المركز الثقافي العربي ، بيروت ، عام 1989م ، ط 1

معاجم وقواميس :

- **ابن منظور**:
- لسان العرب . طبعة دار الجيل ودار لسان العرب ، بيروت ، عام 1988م ، مجلد 2
- **العدناني** (محمد) :
- معجم الأخطاء الشائعة . مكتبه لبنان ، بيروت ، عام 1980م ، ط 2
- **علوش** (سعد) :
- معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة . الدار البيضاء ، عام 1985م
- **كحّالة** (عمر رضا) : معجم المؤلّفين . دار إحياء التّراث العربيّ بيروت ، د.ت
- **مجمع اللغة العربية** :
- معجم ألفاظ القرآن الكريم . الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية ، القاهرة ، 1996م ، المجلد 2
- المعجم الوسيط . أخرجه إبراهيم مصطفى وآخرون ، دار الدعوة ، استانبول ، عام 1989م

- **مجموعة مؤلفين :**
- المنجد في اللغة والإعلام . دار المشرق ، بيروت ، السنة 2003م ، ط 26
- **المنجد في اللغة العربية المعاصرة**
- دار المشرق ، بيروت عام 2000م
- **الموسوعة الفلسفية العربية :**
- معهد الإنماء العربي ، مج 1 ، بيروت ، 1986م
- **نويهض** (عادل) :
- معجم أعلام الجزائر ، من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر . مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر ، بيروت ، لبنان ، ط 2 ، السنة 1980م
- **يعقوب** (إميل) :
- قاموس المصطلحات اللغوية والأدبية . دار العلم للملايين ، بيروت ، عام 1987م

مجلات :

- مجلة الثقافة : مجلة تصدرها وزارة الإعلام والثقافة بالجزائر . الأعداد 38 ، 43 ، 68 ، 80 ، 81 ، 85 ، 86 ، 87 ، 102 ، من سنة 1977 م إلى سنة 1989م

المجلة الجزائرية للتربية، مجلة فصلية يصدرها المعهد التربوي الوطني تحت إشراف وزارة التربية الوطنية عدد 04 ، سنة 1995 م

- مجلة الفكر السياسي ، مجلة فصلية تصدر عن اتحاد الكتاب العرب بدمشق سنة 1999م

وثائق :

نسخة من سجلات شهادات الميلاد والوفاة . صادرة عن بلدية ميلة ، اعتمادا على تصريح أدلى به السيد دريدي محمد ، رقم الشهادة 100 .

مراجع باللغة الأجنبية :

- [1] Jurquet Jacquess : La révolution nationale algérienne et le parti communiste français . éditions du centenaire2^{eme} éditions . Paris . année 1979 . P 20 et suivante

فهرس الموضوعات

المـــقـــدمـــة ..... 2 – 16

مدخل : مفهوم الخطاب الإصلاحي 18- 41

أ - الخطابُ لغـــــــة 18- 19

ب - الخطاب اصطلاحا 19- 20

ج - الخطاب عند الغرب القدامى والمحدثين 21- 26

د - الخطاب عند العرب القدامى والمحدثين 27- 30

هـــ - رواد الخطاب الإصلاحي في العالم العربي والإسلامي الحديث 31-41

الفصل الأول : التجربة الاصلاحية في الجزائر بين النظرية والتطبيق ..... 43 - 88

أولا : نشوء الخطاب الإصلاحي في الجزائر 43

1- الواقع الجزائري في ظل الحملات الاستعمارية 43

أ - الحياة السياسية والاجتماعية ..... 43 - 47

ب- الحياة الدينية 47- 49

ثانيا : عوامل ظهور الخطاب الإصلاحي وتطوره 50

أ - العوامل الخارجية 50- 54

ب - العوامل الداخلية 54- 58

ج - تأسيس الخطاب الإصلاحي 59- 62

د - الصعوبات التي واجهت الخطاب الإصلاحي 63- 66

هـــ- رواد الخطاب الإصلاحي في الجزائر 67- 72

ثالثا : الخطاب الإصلاحي لدى جمعية العلماء المسلمين الجزائريين 73

أ – رواد الخطاب الإصلاحي في جمعية العلماء المسلمين الجزائريين 73- 79

ب- مفهوم الخطاب الإصلاحي عند كبار المصلحين في جمعية العلماء المسلمين الجزائريين 79-83

ج - أهداف الخطاب الإصلاحي عند جمعية العلماء المسلمين الجزائريين 83- 88

الفصل الثاني : الخطاب الإصلاحي عند الشيخ مبارك الميلي 89

أولا : تعريف بالشيخ مبارك الميلي 90

أ - ولادته ونشأته 90- 96

ب - أعماله الإصلاحية 96-101

ج - آثاره العلمية 102- 107

د - ثناء أهل العلم و الفضل عليه 108- 110

ثانيا : مفهوم الخطاب الإصلاحي عند الشيخ مبارك الميلي 111- 114

ثالثا : مظاهر الخطاب الإصلاحي عند الشيخ مبارك الميلي 115

أ - الدعوة إلى العقيدة الإسلامية 115- 117

ب - التمسك بالتراث 118- 122

ج - محاربة الطرق الصوفية 123- 128

د - الابتعاد عن السياسية 129- 134

د - الدعوة إلى التعليم 134- 140

هـــ - اعتماد الصحافة وسيلة لنشر الدعوة الإصلاحية 140- 148

الفصل الثالث : دراسة فنية في الخطاب الإصلاحي عند الشيخ مبارك الميلي

- رسالة الشرك ومظاهره نموذجا - 149- 194

أولا : التوظيف اللغوي في الخطاب الإصلاحي 150

أ - توظيف الضمائر 150- 156

ب - توظيف البديع 156- 160

ج - توظيف الألفاظ 160- 170

د - الاحتجاج بالشعر في شرح الألفاظ 171- 182

ثانيا : منهج الشيخ مبارك الميلي في تأليف رسالة الشرك ومظاهره 183
أ - المنهج اللغوي 183- 188
ب - المنهج السلفي (اعتماد الكتاب والسنة) 189-193
ج - المنهج التاريخي 193- 194

الخـــــــــــــاتمة 196- 206
ملحق : أهم مقالات الشيخ مبارك الميلي في مختلف الجرائد 207- 210
فهرس المراجع والمصادر 211- 223
فهرس الموضوعات 224- 226